



جامعة امدرمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

# الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول

دراسة تحليلية نقدية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب / احمد الطيب خوجلي عباس

إشراف الدكتور/ بابكر بدوي دوشين

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَمَّا بَعْدُ فَاذْكُرُونِي أَنِّي مَشْكُورٌ

قال تعالى

{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } ( ١١٤ ) سورة طه

صدق الله العظيم

## الإهداء

أقدم هذا البحث إلى روح أبي الطاهرة وفاء و عرفانا لما قدمه لي في حياتي العملية. ثانيا إلى أمي ذلك الحنان المتدفق والمعين الذي لا ينضب أمد الله في عمرها. ثالثا إلى زوجتي المخلصة الصابرة التي عاشت معي هذا البحث لحظة بلحظة وتعبت معي حتى إكماله. وأخيرا إلى أبنائي إيهاب، إسلام والصغير أكرم الذي كان مولده مع بداية هذه الدراسة، حفظهم الله ورعاهم.

## الشكر

في البدء أتقدم بجزيل شكري إلى الأستاذ والمربي الفاضل الدكتور/ بابكر بدوي دوشين، الذي فتح لي باب منزله وأعطاني من وقته الغالي الكثير وأرشدني في هذه الدراسة حتى أكملت فجزاه الله خيرا، أتقدم بالشكر أيضا إلى أخي العزيز الدكتور احمد حسن قرينات الذي قام بمراجعة وتصحيح هذا البحث رغم ظروفه ومسئوليته وأسرة مكتبة جامعة الخرطوم لما وجدته من مساعدة في توفير الكتب والمراجع. كما أتقدم أيضا بالشكر أيضا إلى الدكتور محمد خوجلي احمد الذي قدم لي الكثير و من خلاله أسرة مكتبة كلية التربية جامعة الخرطوم، والشكر موصول إلى النقابة العامة لعمال التربية والتعليم ممثلة في رئيسها الأخ/ عوض صالح النولوقفته ومساعدته لي معنويا وماديا، وإدارة التعليم الثانوي بمحلية الكاملين ممثلة في الأستاذ/ الفاتح احمد محمد علي ذلك المربي الفاضل الذي أعطاني الكثير فجزاه الله خيرا. وأسرة مدرسة المسعودية الثانوية بنين وبنات، وأسرة مدرسة إسماعيل يوسف الثانوية المشتركة بالتكلة، وموصول لكل من وقف معي في هذه الدراسة برأيه وتوجيهه وتشجيعه وأولا وأخيرا لله العلي القدير الذي وفقني لإكمال هذه الدراسة.

## التمهيد:

### التغيير الذي طرأ على الحياة العباسية

تعدُّ الثورة العباسية التي قامت في القرن الثاني الهجري من الثورات التي غيرت مسيرة التاريخ الاسلامي فكرياً وسياسياً وثقافياً، حيث امتدت " ١٣٢ - ٦٥٦هـ - ٧٥٠ - ١٢٥٨م) وهي فترة طويلة تربو على خمسة قرون بحوالي ربع قرن " ٥٢٤ عاماً هجرياً"، وهي من الثورات الكبيرة التي أراد بها أصحابها الإصلاح الاجتماعي كهدف أساسي حيث انهدم ذلك في فترة بنى أمية، وقد عملت هذه الثورة على القضاء على الأمويين بمساعدة العنصر الفارسي. كما ساعدت بعض العوامل الداخلية التي أضعفت من قوة الامويين، مثل ثورة ابن الزبير وابن الأشعب ويزيد بن المهلب من جانب وثورة الخوارج من جانب آخر. أضف إلى ذلك العوامل التاريخية والسياسية التي كان لها أثر كبير في انتقال الخلافة للعباسيين ونهاية الامويين.

وبعد أن انتقلت السلطة من الأمويين إلى العباسيين بعد الصراعات المريرة التي كادت أن تعصف بالدولة الإسلامية نتيجة الخلافات السياسية. سيطر العباسيون على زمام الامور ونقلوا العاصمة إلى بغداد لتكون حاضرة الدولة، بدلاً من دمشق التي اتخذها الامويون من قبل. وقد توارث عرش هذه الدولة عدد من الخلفاء العباسيين، ومن أشهرهم علي التوالي ابو عبد الله السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)<sup>(١)</sup> - ابوجعفر المنصور (١٣٦-١٥٨)<sup>(٢)</sup> - المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ) ، هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) الأمين (١٩٣-١٩٨هـ) المامون (١٩٨-٢١٨هـ) المعتمد (٢١٨-٢٢٧) والواثق (٢٢٧-٢٣٢) هؤلاءهم الخلفاء الذين اسسوا هذه الدولة ونهضوا بها سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، وقد شهد هذا العصر تحولا كبيرا في حياة الناس وخاصة الفكرية والادبية .

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ١٢٣/٩ ط. القاهرة

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ١٥٤/٩ ط. القاهرة

ويرى بعض المؤرخين أن الفترة التي بدأت بقيام الدولة العباسية إلي استيلاء بني بويه علي بغداد (١٣٢-٣٣٤) هي الفترة التي ازدهرت فيها الحياة الادبية واللغوية والفكرية علي نحو واسع النطاق ، حيث اهتم الخلفاء والولاة بالشعراء والادباء والعلماء ، واغدقوا عليهم الهدايا والهبات، وانفقوا علي نقل العلوم والمعارف نفقات هائلة ، وفي عهدي الرشيد ، والمأمون كان يعطي المترجم ، وزن الكتاب ذهابا ، وكذلك قامت حركة ترجمة واسعة نقل خلالها كثير من العلوم والمعارف التي كانت تذخر بها الثقافات والحضارات الاخرى .

## الحياة الاجتماعية والثقافية:

عندما فتح العرب العراق والشام ومصر ورثوا ما فيها من حضارات مختلفة ساسانية وكلدانية وبيزنطية ، وسامية قديمة ومصرية، وأخذوا يكتبون تراثهم العربي الخالص، وقد غلبت الحضارة الساسانية علي العباسيين ، ويظهر ذلك جلياً في بناء بغداد ، فقد بالغ العباسيون في المعمار في شتي المجالات: الدور والقصور والطرق وتنظيم المدن وترتيب الحدائق وغيرها من المشاريع التي تؤدي إلي استقرار الأوضاع. ولقد ظهرت معالم الترف والنعيم علي الدولة العباسية في البذخ الذي كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة، وممن اتصل بهم من الفنانين والشعراء ، ومن العلماء والمثقفين، وكأنما كتب علي الشعب أن يكبح ليملاً حياة هؤلاء جميعاً بالنعيم، وعليه أن يتجرع طعم البؤس والشقاء بسبب طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه مما أدى إلي ظهور طبقات في المجتمع، طبقة تنعم بالحياة إلي غير حد وأخري تشقي إلي غير حد، وكانت خزائن الدولة هي المعين الغدق الذي هياً لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض ، حتى قالوا أن المنصور خلّف حين توفي أربعة عشر مليوناً من الدينانير وستمائة مليون من الدراهم<sup>(١)</sup>.

لقد تطورت الحياة في شتي جوانبها في العصر العباسي الأول، ومن المؤكد أن دراسة التطور الاجتماعي والفكري تكون له أسبابه المقنعة المندمجة حتى الوصول إلي القمة، وليس سقوط دولة في يوم وقيام دولة غيرها مكانها يعني وجود حد فاصل مميز بين عهدين في التطور، ومن هذا المنطلق فأن قيام الدولة العباسية لا يعني أن عوامل التطور والتغيير قد ظهرت فجأة معها أو لأنها كانت منعدمة قبلها، فالدولة الأموية نفسها تطورت وأصبحت صورتها في آخر أيامها تخالف صورتها في بداية أمرها، وكما يقول أحمد أمين: (إنّ الدولة الأموية لو قدر

(١) المسعودي: ص ٢٣٢.

لها أن تستمر في الحكم الزمني الذي حكمته الدولة العباسية لظهر علي يديها من الحركات العلمية والإصلاحات الاجتماعية قريب مما ظهر علي يد العباسيين<sup>(١)</sup> لقد تغيرت الحياة في الدولة العباسية تغيراً واسعاً، وبهذا التغيير انتقلت الأمة من بقايا حياة البداوة إلي الحضارة ومن خشونة العيش أحياناً إلي رخاء النعمة، وشارك الشعراء والأدباء في هذه الحياة الناعمة مشاركة واسعة. وليس من العجيب أن يختلف الشعراء في هذا العصر عما كانوا عليه في العصور السابقة ، لأن الشعراء الذين أقاموا في المدن في العصور السابقة علي هذا العصر كانوا قلة كعدي أبي زيد ، وأميرة بن أبي الصلت وحسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة . ومعلوم أن الدولة الأموية كانت تعتمد العنصر العربي ، وكان الشعراء من أهل البادية يفتدون إلي البصرة والكوفة الحجاز أو نجد وكثرتهم ليست متحضرة، أما في العصر العباسي فقد ترك الشعراء البوادي واتجهوا إلي المدن، وفازت بغداد والبصرة والكوفة بنصيب وأفر منهم، كما أظهرت طبقة من الشعراء الموالي فهم ليسوا من أهل البادية ولا من عشاق المثل الأعلى في الحياة الاجتماعية العربية.

وكانت موارد الدولة العباسية كثيرة ، وكانت تمنح الشعراء وغيرهم من العلماء والأطباء والمغنيين كثيراً، حتى أصبح الشعراء والمغنون طبقة مترفة تلبس الحرير والديباج ، وبالغ النساء الحرائر والجواري في الزينة والأناقاة . ( ويقال أن دنائير جارية البرامكة كانت تتحلي بعقد من الجواهر بلغت قيمته ثلاثين ألف ديناراً، وكان الرشيد قد أهداه إليها)<sup>(٢)</sup>.

لكن الشيء المؤكد أن حياة الترف التي أصابت الشعراء والعلماء كانت تعبيراً عن حب الدولة وتقديرها لجمهورهم، وذلك لأن العصر العباسي لا سيما الفترة الأولى تمتاز بأن كان من تولي فيها عرش بغداد من الخلفاء والعلماء الذين رغبوا في العلم وأجلّوا العلماء والأدباء وسهلوا مهمتهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم ، وقربوهم وجالسوهم وحادثوهم ، وعتّلوا علي آراءهم ، فلم

(١) أحمد أمين: صحي الإسلام ، ١/٢ ط ١.

(٢) الأغاني، طبعه الساسي، ١٦/١٣٢.



يبقى ذو قريحة أو علم أو أدب إلّا يمّم دار السلام ونال جائزة وهدية أو راتباً<sup>(١)</sup>، وفي هذا المجتمع الجديد ظهرت طبقة الرقيق والجواري وكثرة مجالس الغناء وتعددت دور المجانة واللهو والشراب وكانت مترعة بالغلّمان، وكانت قيمة الجارية ترتفع بقدر ما تجيد من أمارات اللهو والترف والتحضر وفي مقدمتها الغناء والرقص، وزدحمت الدور بالرقيق من الجواري وكان الرجال عامة يفضلون علي الحرائر، وصوّر الجاحظ ذلك فقال: (قال بعض من أحتج لليلة التي من أجلها صار أكثر الإماء أحظي عند الرجال من المهيرات<sup>(٢)</sup>) إن الرجل قبل أن يملك الآمة يكون قد تأمل كل شيء منها وعرف ما خلا حظوة الخلوة، فأقدم علي إبتاعها بعد وقوعها بالموافقة ، والحرّة إنما يستشار في جمالها للنساء والرجال بالنساء أبصر).<sup>(٣)</sup>

والذي يلفت النظر في هذا العصر حظوة الجواري عند الرجال، حيث كنّ يزحمن بيوت الخلفاء والولاة وسراة الناس، ومعروف أنّ ذلك الأمر اتسع كثيراً في العصر العباسي الأول<sup>(٤)</sup>، وقد كان أكثر الخلفاء من أمهات أعجميات<sup>(٥)</sup>، فالمنصور أمه حبشية والهادي والرشيد أمهما الخيزران رومية، والمأمون أمه فارسية ، وكان للرشيد زهاء ألفي جارية، وكان للمتوكل أربعة ألف ، وشيء خطير الدلالة في تطور الحياة الاجتماعية بسبب كثرة الجواري وشيوعهنّ مع إيثارهنّ، هو اتجاه العباسيين إلي التوسع في تعليمهنّ وخاصة الغناء ، وذلك لأن الغناء كان قد تطور تطوراً كبيراً في ظل الدولة العباسية، وإن الناس انشغلوا به وكانت له مدارس ، وقد انفق الخلفاء الأموال الطائلة علي الغناء والمغنيين ، وعن طريق الغناء والطرب والرقص شاعت في المجتمع أفانين الرقة والتظرف وصاحب ذلك تطور في الأزياء وفي أدب الطعام والسمر خاصة في عهد الرشيد ، وكل ذلك

(١) جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية. ٣٦/٢.

(٢) المهيرة : الحرّة الغالية المهر

(٣) رسائل الحاجظ: ط ١ ، السندوبي ، ص ٢٧٤.

(٤) أحمد أمين: ضحى الإسلام ط ١، ٩/١.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ط ٤ ، ٣/٤٠٤-٤٠٥.

نتاج طبيعي نسبة للترف والنعيم الذي ترفل فيه الدولة العباسية ، وقد نلمس التطور في الأدب وسائر العلوم ولذلك يعتبر العصر العباسي الأول عصر تجديد وإبداع وابتكار في شتى ضروب المعرفة. ولكن هذا التطور كان له خطورته إذ عمّ المجون طبقات المجتمع وفي مقدمتهم الشعراء ، وذلك لاختلاط الناس بالفرس وانتشار العادات الفارسية في المجتمع العربي، وأصبحت الخمر والغزل بالمراد ومنادمة الجوّاري مسائل قد عمّ بها البلاد، وأصبحت الحانات أماكن لهو لا حدود لما يرتكب فيها من آثام.

ويتضح من ذلك أنّ العصر العباسي كان عصر حرية اجتماعية نتج عنها هذا التطور الهائل في العادات والتقاليد والأخلاق والقيم عند الطبقة المترفة ، ولم يكن ذلك شأن كل المجتمع، بل كان هناك من يرفضون كل هذا المنكر ويحاربونه وينفرون منه، وهذا الصراع الاجتماعي بين المجانة وأفكارها وبين التدين والهروب منه صورّه الشعر تصويراً واضحاً، كما ظهر عند بشار بن برد و أبي نواس وأبي العتاهية من جهة أخرى في مرحلة نسكة.

وينبغي أن نشير بعناية هنا إلى أنّ الحرية لم تكن في الجانب الاجتماعي فحسب، بل كانت طابعاً يميز الحياة الدينية والفكرية ، فقد كانت الحرية بصفة عامة من سمات هذا العصر إلا ما يمس الدولة والخلافة ، ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في أيامهم من المجوس وغيرهم، هذا إلى جانب تعدد الفرق والنحل والمذاهب والأهواء ( فكانت الأفكار من حيث مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يُكره الرجل علي معتقده أو مذهبه) (١).

وفي هذا الجو تميزت اتجاهات كان لها تأثيرها في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية مثل الزندقة والشعبوية والزهد وغيرها من المؤثرات الأدبية التي كان لها أثر مباشر في الحياة الأدبية.

---

(١) جورج زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية ٣٢٧/٢.

## التطور الثقافي والنهضة العلمية:

كان لاتساع الدولة العباسية ووفرة ثورتها ورواج تجارتها، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً من الخليفة إلي أقل أفراد العامة شأنًا غدو فجأة طلاباً للعلم أو أنصاراً للأدب ، وكان الناس في الدولة العباسية يجوبون أماكن كثيرة مختلفة طلباً للعلم والمعرفة. وكانت الدولة تضم بلاداً واسعة الأطراف متعددة الأجناس واللغات فهي تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً ، وتمتد من المحيط الهندي والسودان جنوباً إلي بلاد الترك والروم والصقالبة شمالاً وهي بذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب<sup>(١)</sup> وهذه الأقطار بشعوبها ولغاتها وأخلاقها وعاداتها وعلومها ومعارفها ونزعاتها لم تدخل في نطاق الحكم العربي حتى أخذت عناصرها تختلط ثم تمتزج بالعنصر العربي واللغة العربية وهكذا جرت الحوادث والأسباب بما أدي إلي إنصهار هذه الشعوب وتلك الأمم في بوتقة الأمة العربية والحضارة الإسلامية. وهذا الأختلاط لم يتوقف بل أصبح أمتزاجا بالدم عن طريق المصاهرة والتسري وكثر أولاد العرب من الأجنيبات وكثرت علاقات الولاء الذي كان يأخذ شكل رابطة القرابة بالدم، فالشخص يكون فارسياً وهندياً وغير ذلك ويكون ولاؤه في قبلية عربية ينتسب إليها وتقوم هي بالذود عنه، واستطاع الإسلام بتعاليمه السمحة أن يسوي بين كل المسلمين وأن يقرر الحقوق الأساسية لغير المسلمين بحيث تحفظ حقهم وكرامتهم، وبعد أن بسط الإسلام نفوذه بحوالي قرن في هذا البقاع، فإذا العربية (قد ملكت أسنة الناس وقلوبهم وأصبحت شعوبها عربية اللغة ، والتفكير والشعور والثقافة والأدب. أما الفرس فقد اقبلوا علي العربية بل علي التعرب إقبالاً منقطع النظير وقد تعلموا اللغة: واتقنوها وأجادوها ، وقد أصبحت هذه اللغة : متقلقة في وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم إلي ذلك الحد الذي تري فيه الكثرة الكاثرة من الشعراء والعباقرة يحتلون مكانة كبرى في

(١) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص ٥٩.

تاريخنا الأدبي من الموالي والفرس والذين امتزجوا بالعنصر العربي واللسان العربي وأصبحوا جزءاً من تراث العربية، وهذا يدل على أن هذه الشعوب قد وجدت ضالتها في العربية وأصبحت تشكل وجودها بالرغم من تاريخها وحضارتها، وكذلك الدين الإسلامي، ولا عجب بعد ذلك أن تجد عمالقة الشعراء والأدباء في شتى فنون المعرفة عربية وإسلامية، فأبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي وتلاميذه وسيبويه زعيم النحو، وأبن المقفع والإمام البخاري راوي الحديث، وكل ذلك يدل على أن العربية أصبحت لغة التخاطب والحديث في الأمم والشعوب ويفخرون بها.

ولكن يجدر بنا أن نتذكر أن الذين دخلوا في الدين الجديد وأشربوا تعاليمه وأتقنوا اللغة الجديدة لم يهجروا لغتهم تماماً ، فقد تمسك الكثيرون بلغاتهم الأصلية مما أدى إلي تسرب بعض الألفاظ إلي العربية لا سيما من الفارسية ، وأخذ اللحن يفتشو ، ولكن علماء اللغة العربية كانوا بالمرصاد لكل لحن وكانوا حماة التراث الأدبي من اللحن والخلط.

وفي ظل هذه النماذج والإسجام بين العرب وغيرهم من الأمم وضح أن الإنسان العربي أكثر رغبة في المعرفة والحرص عليها وخاصة البلاد التي فتحها العرب وكانت غنية بالعلوم والمعارف.

ويكفي أن نشير إلي أن الخلفاء قد أولوا اهتماماً كبيراً بالمعرفة والعلم خاصة المأمون، حيث نجد في عهده ازدهرت الدولة لأنه كان عالماً بالعربية متعمقاً في العلوم الدينية والفلسفة مشتغلاً بمسائل علم الكلام وكان يقيم الندوات والمجالس والمناظرات في قصره ويشارك فيها بنفسه.

ويصور لنا المسعودي مجلساً من مجالس العلم في بلاط المأمون فيقول (كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أدخلوا حجرة مفروشة ، وقيل لهم: أنزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء، ومن خفه ضيق فالينزعه، ومن تقلت عليه قلنسوة فاليلضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا، استدناهم حتى دنوا منه، وناظرهم أحسن المناظرة

وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلي أن تزول أن الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون<sup>(١)</sup>.

ولم يكن العلم في مجالس الخلفاء فقط بل كانت المساجد مفتوحة عامرة يحلقات الدرس والجدل والمناظرة ، ودكاكين الوراقين كانت أشبه بدور الكتب، أو المكتبة ، ونظراً لتيسير العلم والمعرفة فإننا نجد أبناء العامة قد نبغ منهم خلق كثير، فبشار أبوه كان طيَّاناً يضرب الطوب اللين، وأبو نواس كانت أمه تغزل الصوف أو تبيع شيئاً من عطار النساء، وأبو العتاهية كان يحمل الجرار علي ظهره يبيعه في الكوفة، ومسلم بن الوليد كان حائكاً، وأبو تمام كان أبوه عطاراً أو خماراً و شتغل بحياكة الملابس في صغره، فالعلم منتشر في كل البقاع لا يرد قاصداً له، بذلك أصبح الطريق مفتوحاً كنبوغ أولاد العامة.

والذي ينبغي أن نشير إليه هو أن العقل العربي في العصر العباسي الأول أصبح عقلاً علمياً وفلسفياً معاً، ومن هنا انطلق يخلق علوماً جديدة في أدق علوم الرياضة والجبر والفلك والطب والكيمياء ، أما الأدب فقد حظي بنصيب وافر من الاهتمام والرعاية وكان لاستقرار الجو في العصر العباسي الأول الأثر في ظهور بعض سمات التجديد فيه ، الشيء الذي ميز الأدب العباسي عن غيره من العصور، ولا غرو في ذلك لأن الخلفاء العباسيين عملوا علي بسط الأمن والاستقرار وإكرام الأدباء والشعراء بصفة خاصة، مما أدي إلي ظهور شعراء كان لهم أثر كبير في مسيرة الأدب العباسي الذي يعتبر قمة في الشعر دون منافس له في العصور السابقة، من هنا ظهرت تيارات واتجاهات تنادي بالتجديد في القصيدة العربية والخروج بها من التقليد الذي ظل يلزمها ردحاً من الزمان.

ولعل المؤرخين والنقاد خد خصوا الفترة العباسية بشيء من العناية والدراسة: وقسموا هذه الفترة الني حكم فيها العباسيون تقسيمات سوف نتطرق إليها لنري التقسيم الأمثل من أجل الدراسة ، لأننا عملنا علي بحث ظاهرة التجديد في العصر الأول ، ومن هذه التقسيمات:

(١) المسعودي، مروج الذهب ١٩/٤ ط ٤.

أولاً: التقسيم السياسي للعصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ) وهو يقوم علي تقسيم فترة الحكم العباسي من خلال حقبات زمنية محددة، ونسبة لطول الفترة التي حكمها العباسيون فإن المؤرخين يقسمونه إلي فترات مختلفة لكل فترة طابعها - وأحداثها التي تميزها، وطبيعة الفروق المختلفة بين هذه الفترات ولكل فترة ملامح ومؤثرات تتميز بها حياة اللغة وتراثها الأدبي والفكري.

ثانياً: التقسيم الأدبي:

وهذا التقسيم يقوم علي الفهم الأدبي وليس السياسي التاريخي ، ذهب إليه الأستاذ: حنا الفاخوري<sup>(١)</sup> وهو يرى أن هذا العصر تنوعه أقسام ثلاث علي النحو التالي.

القسم الأول:

أدب الثورة التجديدية ويبدأ ببشارد بن برد (٩٦-١٦٨هـ) وينتهي بظهور أبي تمام ومن أبرز أعلامه:

أبونواس (١٤٥-١٩٨هـ) وأبو العتاهية (١٣٠-٢١٠هـ) ومسلم بن الوليد (١٣٠-٢٠٨هـ) والعباس بن الأحنف (١٩٢هـ) والحسين بن الضحاك (١٦٢-٢٥٠هـ) ومن الكتاب عبد الله بن المقفع (١٠٦-١٤٢هـ) وسهل بن هارون (٢١٥هـ).

القسم الثاني:

أدب الثورة المعاكسة ، ويبدأ بظهور أبي تمام (١٨٠-٢٢٨هـ) وينتهي بظهور المتنبى، ومن أبرز أعلامه : البحتري (٢٠٦ - ٢٤٨هـ) ومن الكتاب الجاحظ (١٥٩-٢٥٥هـ)

القسم الثالث:

أدب الاستقرار والتدرج نحو الصنعة والزخرف يبدأ بظهور المتنبى (٣٠٣-٣٥٤هـ) ومن أبرز أعلامه أبو فراس الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ) والشريف

(١) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي: مطبعة بيروت ، ص ٣٥٩-٣٦٧

الرضي (٣٥٩-٤٠٩هـ) وأبو العلاء المعري (٣٦٢-٤٤٩هـ) وينتهي بنهاية  
البهاء زهير (٥٨١-٦٥٦هـ)

التقسيم الأدبي الثاني:

وهو تقسيم جديد ومقتع إلي حد كبير، ذهب إليه الدكتور يوسف  
خليف<sup>(١)</sup> وهو يقوم علي أن ظواهر أدبية بعينها ميزت كل منها قرناً من قرون  
العصر العباسي ابتداءً من القرن الثاني الهجري، الذي يمثل البداية الحقيقية للأدب  
العباسي بهذا العصر، وذلك أن القصيدة العربية لم تبدأ رحلتها من الأموية إلي  
العباسية مع قيام الدولة، العباسية وإنما بدأت مع تحرك المجتمع العربي إلي  
مجتمع جديد في مستهل هذا القرن<sup>(٢)</sup> ويتم علي النحو التالي:

أولاً : القرن الثاني:

شغل بقضية أدبية ضخمة، وهي قضية التجديد في القصيدة العربية  
للخروج بما من إطار الكلاسيكية الجديدة التي شهرتها القصيدة الأموية، إلي إطار  
جديد تكون فيه قدرة علي التعبير في المجتمع الجديد<sup>(٣)</sup>. وقد شغل الشعراء  
الكبار بهذا الدور، واستطاع بشار (٩٦-١٦٧هـ) وأبو نواس (١٤٥-١٩٨هـ)  
وأبو العتاهية (٦٣٠-٢١٣هـ) أن ينجحوا في هذه المحاولة وأن يرسو تقاليد  
القصيدة العباسية الجديدة<sup>(٤)</sup>

ثانياً: القرن الثالث:

وقد شغل بقضية كبرى ظهرت إرهاصاتها في القرن الثاني واستكملت  
مفرداتها الفنية في هذا القرن، وهي قضية الصراع بين القديم والجديد، أو بعبارة  
أخري بين المحافظين من أصحاب عمود الشعر والمجددين من مدرسة: البديع،

(١) د. يوسف خليف: تاريخ الشعر العباسي، ص ٤-٨، ط ١٩٨١.

(٢) نفسه ص ٤.

(٣) نفسه ص ٤

(٤) نفسه ص ٧

وهي القضية التي مثلها قطبا الصراع المتناورات خفية أبو تمام زعيم المجديدين في هذا القرن والبحتري زعيم المحافظين فيه ورأس أصحاب عمود الشعر<sup>(١)</sup> ثالثاً: القرن الرابع :

وهذا القرن هو قرن المتنبي غير منازع وفقد شغله شاعر العربية الأكبر بمحاولاته الناجحة في التخلص من ائقال البديع وقيودة ، ليعيد للقصيدة العربية روحها البدوي في غير انفصال عن روح العصر الجديد بما يحمله من ثقافات عقلية ، فحقق بهذا مزوجة عبقرية بين بساطة البداوة وصفائها وفطريتها وبين ثقافة عصرة العقلية بقضاياها المعقدة<sup>(٢)</sup> رابعاً: القرن الخامس:

وهو عصر أبو العلاء المعري دون منازع، آخر عمالقة الشعر العربي القديم الذي استطاع بعبقريته الفذة أن يرتفع بشعره إلي مستوي إنساني رفيع عن طريق المزوجة النادرة بين الفنّ والفلسفة مع القدرة التامة علي التصرف في اللغة واخضاعها لأفكار الفلسفة الفعلية الغربية عليها. وهكذا نلاحظ من خلال التقسيمين السياسي والأدبي كل له مبرراته. فالتقسيم الأدبي يعتمد على فلسفته في تفسير التطور الأدبي وخاصة التطور في الشعر وهذا هو مجال البحث ولكن يوجد بينه والتقسيم التاريخي السياسي نقاط التقاء في إدراك الحقائق الأدبية الخاصة بتطور الأدب، وبينهما كذلك وجوه خلاف في طبيعة التفسير والتجديد للظواهر والشخصيات ن فبينما نجد أبا العلاء المعري والمتنبي في قسم واحد عند الأستاذ حنا الفاخوري نجد كلا منهما متميزاً عن صاحبه في تقسيم الدكتور يوسف خليف والواضح أن تقسيمه أكثر قبولاً في أدراك طبيعة التطور الأدبي في هذا العصر، وهذه التقسيمات قصدنا منها تحديد الفترة المحددة لهذه الدراسة : ثم رصد التطور الأدبي في كل فترة وظواهرها ثم أردنا توضيح أبعاد هذه القضية الكبيرة التي شغل بها الناس كثيراً في هذا العصر الذي يعدُّ من أعظم العصور تقدماً في الأدب عامة والشعر بصف خاصة.

(١) د. يوسف خليف: تاريخ الشعر العباسي، ص ٨، ط ١٩٨١.

(٢) تاريخ الشعر العباسي ، يوسف خليف ص ٨



وهكذا يصبح واضحاً أن إدراك التقسيم الحقيقي لهذا العصر يقوم علي  
المعرفة التاريخية بأبعادها المختلفة وكذلك قائماً علي الفقه الأدبي لطبيعة التطور  
التي حدثت فيه.

## الفصل الأول

### الشعر بين التراث والتجديد

المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد

المبحث الثاني : مظاهر ودوافع التجديد

المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة

## الفصل الأول

### الشعر بين التراث والتجديد في العصر العباسي

المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد:

من المعلوم إن الشعر العربي قد مر بمراحل وأطوار مختلفة ، وأن القصيدة العربية الجاهلية تعتبر الآلة المصورة لحياة الناس وتقاليدهم وبيئاتهم تصويراً دقيقاً لم تعقل عن أدنى شيء ، والشاعر هو لسان القبيلة الناطق باسمها والذي يزود عن حماها، وأن الحياة البدوية كانت مليئة بالأحداث، عرفنا أكثرها عن طريق الشعر، الذي يعتبر ديوانهم وفيه كل ما يهمهم فالقصيدة العربية الجاهلية وصلتنا بصورتها التامة بتقاليدها الفنية، من وزن وقافيه ومعان وإسلوب محكم في الصياغة، وهي تقاليد تلقى ستاراً بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى فلا نكاد نعرف من ذلك شيئاً. وحاول ابن سلام أن يرفع جانباً من هذا الستار فعقد فصلاً<sup>(١)</sup> تحدث فيه عن أوائل الشعراء الجاهليين، وتأثر به ابن قتيبة في كتابة الشعر والشعراء<sup>(٢)</sup> حيث قسم الشعراء حسب جودة شعرهم غلى أربعة أضرب كل ضرب له ما يميزه.

فالقصيدة الجاهلية القديمة ناضجة مكتملة التكوين سليمة النظم ليس عليها سيما الأوليات من الأشياء ، أي إنها ليست حديثة الميلاد، بل تعتبر نموذجاً للشعر القديم الذي رأيناه مستقيماً في أوزانه وقوافيه، بالرغم من القوائد التي وردت إلينا مضطربة في وزنها لبعض الشعراء. وقد زعم بعض القدماء والمحدثين أن الرجز أقدم أوزان الشعر العربي، وإنه تولد من السجع، مرتبطاً بالحُداءِ ووقع أقدام الإبل في أثناء سيرها وسُراها في الصحراء ومنه تولدت الأوزان الأخرى كالذي ورد إلينا عن شعر أبي داوود الأيادي وهو الذي يعدونه أستاذ امرئ القيس.

(١) ابن سلام طبقات فحول الشعراء ط دار المعارف ص ٢٣.

(٢) ابن قتيبة ج ١ ص ٦٤ دار المعارف.

كان أمرؤ القيس يتوكأ عليه<sup>(١)</sup> كذلك كان شعر المهلهل شعراً ناضجاً ليس بينه فارق وبين أنضج الشعر في عصوره الزاهية. كان الناس يحرصون علي الشعر حرصهم علي أعزّ الأشياء وأثمنها، ولكن ذلك الحرص لا يبعد به إلي حد الاحتفاظ بالقصيدة كاملة تامة الأجزاء، وإنما قد تتفرق وقد تختلط القصائد مع بعضها في قصيدة واحدة تكون أجزاءها لشعراء مختلفين وذلك لضعف الرواة، والشعر الجاهلي نقل أغلبه عن أصول مكتوبة، فالأشعار السليمة من الشعر الجاهلي قد احتفظت بقدسيته حيث تحمل القصيدة كل القيم العربية النبيلة، والشعر الجاهلي يتحدث عن حياة البداوة. وما فيها من كرم وشجاعة ومروءة ووفاء بالعهد والفخر بالقبيلة، وغيرها من الصفات والأغراض والموضوعات التي عرفت بها القصيدة الجاهلية مع الاحتفاظ ببنائها الذي يبدأ بالوقوف علي الأطلال والنسيب، حيث ذكر الديار والمحبوبة، ثم المحافظة علي الشكل من حيث الوزن والقافية الشيء الذي ميزها عن الشعر في عصوره المختلفة التالية.

فقد تكون القصيدة طويلة غاية الطول مثل معلقة عمر بن كلثوم الثعلبي التي تبلغ الألف بيت عدا، فلم يبق منها إلا أقل من عشرين<sup>(٢)</sup> ولكن تلتزم وزناً وقافية واحدة هما اللذان يضبطان شكل القصيدة، ثم أخذ الشعر بتطور بعد تلك الفترة في الأغراض والأوزان مخالفاً لنظام القصيدة القديمة التقليدية.

وتراعي لنا مطولات الشعر الجاهلي في نظام معين من المعاني والموضوعات، إذ تري أصحابها يفتتحونها غالباً بوصف الأطلال وبكاء الديار، ثم يصفون رحلتهم في الصحراء وما يركبونه من إبل، وخيل، وكثيراً ما يشبهون الناقة في سرعتها بالحيوانات الوحشية ثم يخرجون للغرض من قصيدتهم مديحاً أو فخراً أو عتاباً أو رثاءً أو اعتذاراً ولها تقليد ثابت في أوزانها وقوافيها فهي تتألف<sup>(٣)</sup> من وحدات موسيقية تسمى الأبيات وتتخذ الأبيات في الوزن والقافية وتنتهي بالروي.

(١) نجيب محمد البهيتي: تاريخ الشعر العربي في أواخر القرن الهجري، دار الفكر، ص ٥٠.

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ص ١٨٤.

(٣) نجيب محمد البهيتي: تاريخ الشعر العربي، دار الفكر، ص ٤٧.

ونجد القصيدة التامة في صورتها وقد نجد قصائد أخرى يضطرب فيها  
العروض ولكنها قليلة ، من ذلك قصيدة أمريء القيس التي مطلعها<sup>(١)</sup>  
عينك دمعهما سجال      كأن شأنيها أو شال<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قصيدة المرقش الأكبر:

هل بالديار أن تجيب صمم      لو كان رسم ناطقاً كلم

فالقصيدة من بحر السريع حيث خرجت أبياتها عن هذا الوزن . ومهما يكن  
فالقصيدة الجاهلية ناضجة في الوزن والقافية ، وأن الشعراء الذين رويت عنهم  
قصائد مضطربة رويت عنهم قصائد كثيرة مستقيمة.

والشعر الجاهلي شعر واضح المعاني بسيط ليس فيه تكلف ولا أغراق في  
الخيال ولا غلو ولا مبالغة تخرج القصيدة عن الحدود المعتدلة، وذلك لأن الشاعر  
ينقل لوحاته نقلاً أميناً دقيقاً يبقي علي الحقيقة دون أن يدخل عليها تعديلاً من  
شأنه أن يمس جوهرها، ولذلك كان شعره وثيقة دقيقة لمن أراد أن يعرف حياته  
وبيئته، فالشاعر يستقي أخيلته من العالم الحسي الذي حوله.

وما أشبه القصيدة عند الجاهليين بفضائهم الواسع الذي يضم أشياء  
متباعدة لا تتلاصق، وهذا الفضاء الرحب هو الذي أملى عليه صورة قصيدتهم ،  
فتوالت وتعددت الموضوعات فيها جنباً إلى جنب، دون نسق ولا نظام ولا محاولة  
لتوجيه فكري، ولذلك جاءت القصيدة مفككة تجمع بين طائفة من الموضوعات  
والعواطف لا تجمع بينها صلة ولا رابطة، كأنهما مجموعة من الخواطر يجمع  
بينهما الوزن والقافية ، ولذلك زعم بعض النقاد أن الاستطراد أساس في الشعر  
الجاهلي ، وهو التنقل السريع.<sup>(٣)</sup>

أما من حيث اللفظ فالشعر الجاهلي كامل الصياغة وتراكيبه لها مدلولات  
يعبر عنها، فألفاظه موضوعة في مكانها والعبارات فيه تؤدي معانيها دون  
اضطراب وذلك لتزويدهم معان بعينها مما جعل زهير يقول<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أمريء القيس ، ص ١٨٩.

(٢) سجال : جمع سجل أي حين بعد حين ، شأ بينما : مثني شأن هجري الدفع

(٣) د. شوقي ضيف: تاريخ الشعر العربي ، عصر الجاهلي ، ص ٢٢٤.

(٤) السابق ص ٢٢٦.

ما أَرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من لفظنا مكروراً

حيث كان الشعراء ينقحون قصائدهم في قوالب معينة وبالغوا في ذلك، ولذلك كانت البراعة في الصياغة لا الموضوع والمعاني. وقد أهتم الشعراء الجاهليون بالصنعة في الشعر وهي صنعة موسيقية، حيث كان الشاعر يتقيد في قصيدته بالنعمة الأولى، واستعانوا في أشعارهم بالمحسنات اللفظية والمعنوية للتأثير في سامعيهم، وكثرة تشبيهاتهم للفرس وغيره من الحيوانات بالواقع الحسي مثل الطي، والأسد، والفحل وكانوا يشبهون المرأة بالبدر والشمس كما عند سويد ابن أبي كاهل اليشكري في قوله (١)

حرة تجلو شتيتنا واضحاً كشعاع الشمس في الغيم سطع<sup>(٢)</sup>

هكذا كانت مسيرة القصيدة الجاهلية في بنائها وموضوعاتها وألفاظها مقيدة بقيود صعبت علي كثير من الشعراء الابتعاد عنها، واستمر ذلك الحال في العصور التالية بالأخص الإسلامي والأموي.

وإذا ما انتقلنا إلي القصيدة في صدر الإسلام نجدها حافظت علي صياغتها وبنائها، ولكن نجد التأثير الواضح في المعاني الجديدة التي كانت تسير الدعوة المحمدية، حيث تتضح المعاني الإسلامية في الشعر والتأثر بالقرآن الكريم ومفرداته وهذه سمة تفردها الشعر في تلك الفترة. مع التزامه بالوزن والقافية كما كان في العصر الجاهلي، فأشعار المخضرمين والإسلاميين تعكس لنا مدي التأثر بالمعاني التي أتت بها الدعوة الجديدة، وما كان يقوله الرسول صلي الله عليه وسلم.

ومن يقرأ شعر المخضرمين يجد كثيراً منهم يتحدثون عن القيم الإسلامية الفاضلة التي آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم، وكانوا يقفون مع الدعوة الإسلامية ضد الكفر بالكلمة والنفس يدافعون عن الدين الجديد ويصورون هديه وسماحته، يتقدمهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الذي كان كثير الهجاء للمشركين علي نحو قوله (٣)

(١) المفضليات ص ١٩١

(٢) الشتيت: المفرق يريد اسنانها المعلجة، وأضحاً أبيض

(٣) الاستيعاب ص ٣٦٢.

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا  
كذلك تبرز المعاني الإسلامية واضحة في هجاء حسان بن ثابت للقرشيين يعيرهم  
بهزيمتهم يوم بدر (١)

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه  
حتى الممات ونصر غير محدودة (٢)  
مستعصمين بحبل غير منجزم  
مستحکم من حبال الله ممدود  
حيث بشير في البيت الثاني إلي قوله تعالى (( واعتصموا بحبل الله جميعاً )) (٢).  
كذلك تجد كعب بن زهير الذي مدح الرسول في قصيدته التي استحسناها الرسول  
الكریم حتى خلع عليه بردته حيث يقول مطلعها (٣)

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يغدُ مكبولٌ  
وأيضاً نجد من المخضرمين سويد في عينيته يأتي بمعان جديدة لم تكن قد طرقت  
من قبل بل يفخر فخراً جديداً بالإسلام وما انعم به عليهم يقول (٤)

كتب الرحمنُ والحمدُ له	سعةُ الأخلاقِ فينا والضلعُ
وإباءُ الدنياتِ إذا	أعطى المكتودُ ضيماً فكنع
وبناءً للمعالي إنما	يرفع الله ومن شاءَ وضعُ
نعم لله فينا ربها	وصنيعُ الله الله صنعُ

حيث يعرض الشاعر للمعاني الإسلامية اقتباساً من القرآن وتأثراً به ، حيث يقول  
في نفس القصيدة عن الغيبة والنفاق

بئس ما يجمع أن يغتابني	مطعم وخم وداء يدرع
ويحييني إذا لأقيته	وإذا يخلو له لحمي رتع

وهكذا كانت القصيدة في صدر الإسلام تتسم بالمعاني الإسلامية الجديدة ومسائيرة  
للدعوة مع الاحتفاظ بشكلها وموضوعاتها القديمة سوي بعض الجديد في الهجاء  
أو ما يعرف بالنقائض الشعرية التي كثرة في العصر الأموي.

(١) د. شوقي صيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي، ص ٨٢.

(٢) منجزم : منقطع

(٢) آل عمران آية ١٠٣.

(٣) ابن سلام الجمعي: طبقات فحول الشعراء ، ص ٨٣.

(٤) الشعر والشعراء: ٤٠١/١.

واستمرت القصيدة العربية محافظة علي شكلها وموضوعاتها وما كانت تدعو إليه من قيم إسلامية واضحة إلي أن قامت الدولة الأموية التي اتسعت رقعتها واتسمت بالسياسة والعصبية والحزبية، مما أدى إلي ظهور شعراء مذهبين كل يتغنى بحزبه، يعبرون عن الشعر الصافي الذي يعبر عن مشاعرهم الصادقة، وكان الناس يستمتعون بالشعر السياسي لأن السياسة: شغلهم الشاغل ويؤيدون بني أمية بشعرهم، والبعض يشيد بالخوارج وبعضهم يرثي ما حل بالشيعية، ويعجبهم من هذا الشعر أن تجمع القصيدة أكثر من فن، وتنتقل بالقارئ من غرض إلي غرض، فتجمع بين الغزل والهجاء، أو تخلط بين الوصف والمدح، أو تشوب السياسة بالعصبية ، ويجدون في ذلك لذة وخفة تبعد السأم والملل. والأدب الأموي نطالع فيه شعر النقائض الذي بدأ في العصر السابق أي نهاية العصر الإسلامي . ولعلّ أشهر النقائض ما كانت تدور<sup>(١)</sup> بين كعب بن جعيل شاعر معاوية والنجاشي الحارثي شاعر سيدنا علي كرم الله وجهه . فقد قال كعب:

أري الشام تكره ملك العراق      وأهل العراق له كارهونا

فأمر علي رضي الله عنه شاعره أن يرد عليه فقال:

دَعَنَّ معاوى ما لن يكونا	فقد حَقَّقَ الله ما تحذرونا
أتاكم عليّ بأهل العراق	وأهل الحجاز فما تصتعونا؟
فإن يكره القوم ملك العراق	فقدماً رضينا الذي تكرهونا
فقولوا لكعب أخي وائل	ومن جعل الغثّ يوماً ثميناً
جعلتم علياً وأشياعه	نظير أبن هند أمتستحونا؟

فالنجاشي هنا ينقض علي كعب قصيدته ، فإذا كانت الشام تكره ملك العراق كما بقول كعب – فإن العراق – كما يقول النجاشي . يرضي بما يكرهون بل الحجاز أيضاً يرضي به<sup>(٢)</sup>

وهكذا تسيّر الأبيات تنقض ما قاله الشاعر الأول ، ثم أخذ هذا الفن يتسع ، وبرع فيه شعراء أصبحوا معروفين به كحرير والفرزدق والأخطل ، وتنوع الهجاء

(١) أحمد الشائب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، ص ١٢٥ .

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ، ص ١٧٠-١٧٠ .



فكان يتسم بالاسفاف والأفذاع ، كما نجد فيه جمالاً ورقةً وجزالةً وقوةً، وتظهر المقدرة الفنية العالية عند أصحاب هذا النوع من الشعر.

كما نجد شعر الغزل العذري العابث وشعر المدح الصادق والخمر والعصبيات<sup>(١)</sup> وقد صورت القصيدة في هذا العصر الانقسامات الطائفية والعصبية والمذهبية، وقيل شعر كثير في ذلك ليس هذا مكانه.

وشعر النقائض التي اتسمت به بنو أمية لم يكن بدافع شخصي، ولكن السياسة الأموية هي التي أفرزت ذلك الاتجاه حيث كانت تغري الشعراء بعضهم ببعض وتتجاوز عما في شعرهم من فحش وفسوق وقذف، وهؤلاء الشعراء لهم أساليبهم ومعانيهم وفكرهم وانتماءاتهم المذهبية، فقد كان أكثرهم يمدح بني أمية، ولكن جريراً يخالف الأخطل في أسلوبه ومعانيه ، وكان الفرزدق يعني بنفسه وآبائه واللهو وعبثه ، وفي شعر هؤلاء الفحول الثلاثة فخر واضح بأصله. ولكن جريراً في هجائه للفرزدق يخالف هجاءه الأخطل متخذاً من نصرانية الأخطل وشربه الخمر وتردده علي القساوسة والكنائس هو وأمهاته وسيلة للهجاء يقول فيه:

هانت مراسـا وسيالـا	قبح الإله وجوه تغلب إنها
شبح الحجيجُ وكبروا إهلـالا	قبح الإله وجوه تغلب كلما
وبجبرائيل وكذبوا ميكـالا	عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد

أما هجاؤه للفرزدق فكان من نوع آخر، كان يقول فيه:

أهل مصل للصلاة وكبرا	ألا قبح الله الفرزدق كلما
ولا مسجد الله الحرام المطهراً	فلا يعبرن المروتين ولا الصفا
علي ريق نصرانية لتتصرا	فإنك لو تعطِ الفرزدق درهماً

وقد انتفع الشعراء بهذا الشعر وكان مصدر دخل للشعراء ويستخدم في تعظيم أو تحقير القبائل، كما إن السياسة الأموية أدت إلي ظهور الغزل العابث في مكة والمدينة وفي ظهور شعر الخوارج والشيعة والعصبيات.

(١) عبدالرازق حميدة: أدب الخلفاء الامويين ص ٣ ط ١ الانجلومصرية.

وظل الشعر محتفظاً بصورته القديمة لم يحدث فيه تطوير واضح عدا الموضوعات التي اكتست بالطابع الإسلامي، فلم يعد الشعر حديثاً في البطولة أو تهديدا للعدو أو استلهاماً لحواء الخالدة فحسب، كما كان في العصر الجاهلي، بل أصبح حديثاً في السياسة الإسلامية التي يتقاتل المسلمون من أجلها، ومن هنا ظهر التغيير والجديد في الموضوعات وأخذ الأسلوب يتطور عن صورته الجاهلية إلى صورته الإسلامية، ولكن هذا التطور والتجدد ينبغي أن نأخذه بشيء من الحذر حيث ظل الرجز محتفظاً بصورته الشكلية القديمة<sup>(١)</sup>

وهذا التطور الذي لازم الموضوعات والأغراض نهض بالشعر إلى دور جديد في أدواره. حيث يمكن القول بأن الشعر طرأت عليه أنواع من التأثيرات وظهرت فيه سمات متميزة عن العصر الجاهلي، مع التسليم بأن الشاعر في العصر الأموي كان مخلصاً لتقاليد الشعر الجاهلي، ولكن ذلك الإخلاص لم يمنعه من تقديم إضافات فنية استجابة لروح العصر والبيئة والإنسان الجديد الذي عاش في ظل الحكم الأموي والفتوحات الإسلامية، لأن الإنسان كان قد أصاب حظوظاً متفاوتة من الترف والثقافة شكلاً مزاجه وشخصيته علي نحو يختلف كثيراً عن إنسان العصر الجاهلي.<sup>(٢)</sup>

ويمكن القول بأن الثلث الأخير من القرن الأول شهد نوعاً من التطور في اللغة والشعر عند العرب، حيث شهد تفتح عبقرية أعشي همدان الذي نهض بشعر الفتوح نهضة واسعة رائعة، وشهد بعد ذلك شعراء الفتن، وهم أيضاً من العرب، ولكن لم نشهد شاعراً من الموالي، ثم أخذ الشعراء الموالي يظهرون بعد أن أخذت العناصر الطامحة من الأجانب إلى امتلاك زمام اللغة العربية، وعندها أخذت العربية المولدة تزاحم الفصحى، ويعتبر أعشي همدان والكميث أوضح من يمثلان هذا التطور في الشعر العربي في تلك الفترة.

ولذلك يمكن لنا القول بأن التطور الحقيقي والجديد كانت بدايته عند نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية التي ازدهر فيها الشعر في كل جوانبه.

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، ص ٣٥٣.

(٢) محمد عبد العزيز الكنغراوي: تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبنو أمية ج ١.

العصر العباسي عصر التطور والتجديد:-

مما لا شك فيه أن العصر العباسي الأول بدأ مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية تختلف تماماً عن العصر الأموي ، فقد كانت الأسرة الأموية قريبة إلى أهل البادية، بحيث كانت تجد مدخلاً مباشراً إلى عالم تفكيرهم ، وكانت تنطق بلسانهم ، وتحسن فهم أشعارهم. ولكن العباسيين – علي رغم من أنهم كانوا يفتخرون بأصلهم العربي ويرفعون نسبهم إلى العباس عم الرسول صلي الله عليه وسلم – بعدوا بعداً كبيراً عن حياة البداوة والبدو، وكانت العناصر الإسلامية الجديدة التي لا ترجع إلى أصل عربي والتي وصلت إلى الحكم في هذا العصر أقل شعوراً – بطبيعة الحال – بحياة العرب وطبيعتهم ، فهم لم ينشئوا في الخيام، ولم يذوقوا طعماً لتلك الخشونة والحاجة التي يعرفها عالم البداوة وحياة الارتياح والانتجاع، كما لم ينفذوا إلى عالم البدو الفني بكنوزه وقيمه الفنية والخلقية، ولذلك لم يكونوا يفكرون كما كان يفكر البدو، فصبوا أفكاراً جديدة في قوالب اللغة العربية القديمة، ولكن لما كانت العناصر الأجنبية عنصراً أساسياً في حياة المدن الإسلامية الجديدة لم تستطع العناصر العربية أن تتخلص من تأثيرها ، ولما كانت العناصر الأجنبية متغلغلة في مناطق الأدب ، فقد أخذ ذلك الأسلوب الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب يتراجع أمام أسلوب سهل مهذب أخذ به المثقفون جميعاً دون تمييز بين أصل وجنس.

فإذا كان هذا التطور شمل الحياة العباسية واللغة: في هذه المرحلة من مراحل التطور اللغوي، فإن الشعر وهو الفن الذي يتخذ من اللغة أداة التعبير، قد مرّ بهذه المراحل نفسها، أو بعبارة أدق ، قد سائر هذا التطور اللغوي في المراحل التي مرّ بها<sup>(١)</sup>

لغة الشعر بين التراث والتجديد في العصر العباسي الأول:-

يلفت نظر الباحث في الأدب الدور الإيجابي الذي قام به علماء اللغة في العصر العباسي الأول حيث حفظوا اللغة العربية سلامتها من مدهمة اللحن لها

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، ص ٦٧٦-٦٧٧.

وتأثيره فيها، وكان لهؤلاء العلماء دورهم الكبير في الاتجاه إلى اللغة القديمة من البادية لاتخاذها مثلاً أعلى يحتذى به في مفرداتها ، وتراكيبها ، وأنماط الأساليب المختلفة فيها، وكذلك الاتجاه إلى الفن الشعري القديم علي أنه النموذج الامثل الذي يجب الاهتداء به والإقتداء بتقاليده. ويمكن توضيح ذلك علي النحو التالي:

كان هناك نفر غير قليل من شعراء البادية يتجهون إلى الحواضر يمدونها بسليقتهم العربية المستقيمة ويقدمون لها تراث العربية في نقاء وإتقان ، وقد تحول نفر كبير من هؤلاء الشعراء إلى معلمين للناشئة وغيرهم من الراغبين في إتقان اللغة العربية ورواية الشعر القديم<sup>(١)</sup> ومن أبرز هؤلاء الشعراء: أبو البيداء وابن الدمينه، ابن ميادة ، وأبو ضمهم الكلابي والعماني ، وسبيل بن غزرة الضبيعي.

وقد بذل علماء اللغة: منذ أواخر عهد بني أمية جهداً كبيراً في جمع ألفاظ اللغة وأشعار الجاهلية والإسلام، والسبب المباشر الأول في بذل هذه الجهود هو نشر لغة القرآن وحمايتها من اللحن علي السنة الموالي المتعربين ، خاصة وأن الكثيرين من أولاد العرب قد نشئوا في حجور أمهاتهم الأعجميات، فضعفت فيهم السليقة وأخذ اللحن يفسو من أجل هذا كله قام علماء الكوفة والبصرة في أواخر العصر الأموي بجهود هامة وأصيلة في حماية اللغة، وقد احتاطوا لسلامة اللغة احتياطاً واسعاً فلم يأخذوا اللغة عن عربي متحضر بل رحلوا في طلبها إلى قلب الجزيرة حيث ينابيعها الصافية " وكانوا بذلك يقصدون غايتين: أولهما: أن يقوموا أسنتهم ويكتسبوا السليقة اللغوية السليمة ، وثانيهما: أن يلتقطوا من الأفواه مباشرة مادتهم اللغوية الصحيحة التي يعرضونها علي الناشئة . وفي حلقات المساجد"<sup>(٢)</sup>

ويصور أبو نصر الفارابي دقة هؤلاء العلماء وحرصهم في الحفاظ علي اللغة: من كل لحن ودخل فيوضح أنهم أخذوا اللسان العربي من قيس وتميم وأسد ولم يأخذوا من أهل حزام لمجاورتهم أهل الشام، ولا من بكر لمجاورتهم أهل

(١) الدكتور / محمد عبد العزيز الكافوري : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام ج ١.

(٢) د/ شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ، ص ١١٨.

الفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ، ولا من أهل حاضرة الحجاز لأنهم خالطوا غيرهم من الأمم في ذلك الحين<sup>(١)</sup> بل كان التوغل في نجد لسلامة لغتها وكان أبو عمر ابن العلاء وهو شيخ العلماء وإمامهم يقول: ( لا أقول قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية)<sup>(٢)</sup> وهو بذلك يقصد الجزء العربي من نجد وما يترامى إليه.

ويمكن تحديد أجيال علماء اللغة منذ أواخر العصر الأموي علي النحو التالي:

الجيل الأول: في البصرة وعلي رأسه أبو عمر بن العلاء المتوفى عام ١٥٤هـ — وعنه يقول: ( الجاحظ " كان أعلم الناس بالقرآن والعربية ، وبالقرآن وأيام العرب وأيام الناس)<sup>(٣)</sup>

وفي مقدمة رجال الجيل الثاني لعلماء اللغة: خلف الأحمر المتوفى في ١٨٠هـ والأصمعي المتوفى ٢١٠هـ وأبوزيد الأنصاري المتوفى في ٢١٤هـ — وأبو عبيدة المتوفى في ٢١٠هـ وعن الأصمعي رويت أشهر الدواوين وهي لأمري القيس والنابعة وزهير وطرفة وعنصرة وعلقمة بن عبدة . وأهم أفراد الجيل الثالث : محمد بن سلام الجمحي صاحب طبقات خمبول الشعراء (١٣٩ - ٢٣١ هـ). وكان في الكوفة مدرسة من العلماء يشكل حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦هـ والمفضل الضبي. وذلك الثقة الصدوق الحجة في اللغة ، وهو صاحب المجموعة الشعرية المعروفة بالمفضليات.

وأشهر أفراد الجيل الثالث أبو عمر الشيباني المتوفى عام ٢١٣هـ وابن الإعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ وكذلك أبو عبيدة القاسم بن سلام وهو صاحب غريب الحديث<sup>(٤)</sup>

(١) النص يتصرف في المزهر للسيوطي ج١، ص ٢١١ ط الحلبي .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ٦٧ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٣٢١ .

(٤) ابن الأنباري - نزهة الألباء ص ١٢٢ .

والذي يهنا هو القول بأن جهود العلماء منذ أواخر عصر بني أمية كانت أخذة في تبوء مكانتها للحفاظ الدقيق علي اللغة في شتي المستويات. وعندما كان العصر العباسي تحولت السليقة العربية السليمة ، إلي شعراء الحضر. فقد جمع علماء اللغة: الشعر الجاهلي والإسلامي ورصدوا المقاييس اللغوية في صورة واضحة ودقيقة ، وظلوا يبعثون في شعراء الحضر لإيماهم بأن الشعر القديم هو المثل الأعلى والقذوة الرفيعة ، وكان من علماء اللغة ورواتها شعراء مقتدرون مثل حماد الراوية وخلف الأحمر والخليل بن أحمد، وكان علماء اللغة: يعنون كثيراً بعرض نماذج الشعر القديم المليئة بالحوشي والغريب يقول الجاحظ (لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه غريب أو معني صعب يحتاج إلي الاستخراج)<sup>(١)</sup>

واهم المجموعات الشعرية التي قدمت آنذاك مجموعتان هما:  
المفضليات للضبي الكوفي<sup>(٢)</sup>، والاصمعيات للاصمعي البصري ويمكن القول: أن اللغويين لم يكادوا يتركون قصيدة ولا مقطوعة جيدة لشاعر جاهلي أو إسلامي إلا سجلوها ودونوها وفسروها وشرحوها وبذلك انقادت اللغة وسلسلت لمعاصريهم من الشعراء وغير الشعراء.

وكان هنالك سببان للناية باللغة على هذا النحو في العصر العباسي أولهما: النناية بفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وثانيهما : عامل سياسي فعّال هو إن خلفاء بني العباس لم يعتمدوا في تأسيس دولتهم وإقامة دعائم الحكم فيها على العنصر العربي بل على الفرسى، وحتى لا يتهم الخلفاء في ولائهم للعروبة والإسلام، وهم أهل بيت النبي عليه السلام اظهروا محافظة شديدة على لغة القرآن الكريم وتراث العربية وشجعوا العلماء تشجيعاً كبيراً على رواية ودراسة كل ما يتصل باللغة وإخبارها من انساب وأشعار، وكانت مجالس الخلفاء العباسيين عامرة باللغويين والشعراء والأدباء وكان الخلفاء أنفسهم على مستوى

(٢) الجاحظ : البيان والبنين ، ج٤ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ٦٨ - ابن الأنباري - نزهة الألباء ص ٦٧ .

راق من الثقافة اللغوية والأدبية وكانوا يفاضلون بين الأدباء ويهبونهم المنح والعطايا طبقا لمراتبهم في العلم والأدب.

وفي هذا العصر يمكن القول بان علماء اللغة كانوا سدنة الشعر وحراسه، وبلغ من سلطانهم أنهم كانوا يمنحون الشعراء الحق في إجازة الشعر التي يصبحون بها مؤهلين لمواجهة الجمهور بأشعارهم، إذ كان الشعراء يعرضون عليهم اشعارهم قبل انشادها في المحافل فاذا استحسناها العلماء امكن للشاعر ان يواجه المحافل الكبيرة، وإلا عاد الشاعر الى المران والدرية ليصل الى الاتقان، يروي صاحب الاغاني : ان مروان بن ابي حفصة لما نظم قصيدته (طرقتك زائرة فحيّ خيالها) عرضها على يونس النحوي في حلقة درسه فاعجب بها يونس وقال له : انها بريئة من العيوب، وحينئذ مضى الشاعر الى المهدي فانشدها بين يديه فزحف المهدي من صدر مصلاة حتى صار على البساط اعجابا بما سمع، ثم قال لمروان كم هي؟ قال مروان : مئة بيت فأمر له بمئة ألف درهم<sup>(١)</sup>.

ويعقد المزرباني في كتابه الموشح فصلا طويلا يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعارهم علي اللغويين ليجيزوها لهم، ويقول الخليل بن أحمد لابن منذر ( إنما أنتم – معشر الشعراء – تبع لي . وإننا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والا كسدتم<sup>(٢)</sup> . وهكذا سيطر اللغويون علي سوق الشعر في العصر العباسي الأول وتعصبوا للشعر القديم. واتخذوه المثل الأعلى للشعر ، ولم يقبل كثير من علماء اللغة: الاحتجاج بالشعر العباسي، فكاف أبو محمد بن العلاء يختم الشعراء بذي الرمة ، وكان الأصمعي يختم الشعراء بابن ميادة وابن هرمة من شعراء نجد والحجاز فمن أدركوا الدولة العباسية، والناقد الفني لا يوافق اللغويين علي إهدار شعر العباسيين من الناحية الفنية ذلك أن المستوي الفني للشعر العباسي يحتمل مكانة واسعة في الحلقة الأدبية لتاريخ الشعر العربي هذا من الناحية الفنية ، أما المستوي اللغوي لهذا الشعر فقد أثبت البحث في زمن العباسيين ومن والا هم صحة لغة الشعراء العباسيين وما أخذ علي

(١) أبو الفرج - الاغاني ٨٢/١٠ دار الكتب.

(١) الأغاني - طبعه الساسي ١٦/١٧.

بعضهم له تخريج في العربية ، ولكن علماء اللغة، في تشددهم كان يحفزهم عامل ديني له قيمته الكبرى وهو وثاقة لغة القرآن الكريم من جهة ، وإيمانهم من جهة أخرى بأن المثل الشعري الأعلى هو الصورة التي رسمها الشعر القديم وحتى يحتفظوا له بكل ما يمكن من صحة وسلامة ودقة أغلقوا الباب أمام الشعراء المحدثين و ذهبوا يعدّون عليهم سقطاتهم، وهذه السقطات ليست أخطاء بالمعنى الصحيح، فهي إما لغات غير مشهورة أو شاذة وإما استقامات وأبنية استحدثتها في ضوء المقاييس والقواعد اللغوية التي يعلموها من علماء اللغة أنفسهم.

وكان الشعراء يثقون أنفسهم ثقافة لغوية وأدبية واسعة تجعل خطأهم أمراً بعيداً ، فهذا أبو نواس يتزود باللغة علي يد خلف الأحمر ثم يمضي إلي البادية فيقيم فيها حولاً كاملاً ينهل اللغة: من يبايعها ، ثم يقبل علي دواوين الجاهليين والإسلاميين فيحفظها ، ويقول عنه الجاحظ ( ما رأيت ، أحداً كان أعظم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة حلاوة ومجانبة الاستكراه)<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو عمر الشيباني ( لو لا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لا أحتجنا بشعره لأنه محكم القول)<sup>(٢)</sup> وبشار قبل أبي نواس بلغ مع اتقانه اللغة أنه كان يتحدى في ثقة واقتدار ، ويروي صاحب الأغاني مواقف متنوعة في ذلك. و هكذا كان الشاعر العباسي أو الفارسي الأصل يجري اللغة إلي أرفع مستوي وأبعد قوي ، والذي لا شك فيه أن علماء اللغة : بجهودهم الواسعة هيئوا للشاعر العباسي العالم بالشعر القديم بما جمعوا له منه، وبما يسروا له من قواعد تعاليم اللغة العربية وإثاقها ، وساعد علي ذلك تشجيع الخلافة حيث كان العلم والتعليم مسيراً إلي ابعدي علي نحو ما أوضحنا ذلك فيما سبق.

ونظراً لازدهار الحياة اللغوية والأدبية وتمكن الأدباء وثقتهم بأنفسهم وإجادة سيطرتهم علي الفن الشعري الذي أحبوه وعاشوا له. أخذت اللغة من ناحية والفن من ناحية أخرى ، يزدهران علي أيديهم ، ومن هنا جاء أسلوب المحدثين أو المولدين في النهضة الشعرية وهو أسلوب يقوم بناؤه اللغوي

(١) ابن منظور - أبو نواس ص ٢١.

(٢) الطبقات - ابن المعتز، ص ٢٠٣.



وتقاليد الفنية العامة علي أساس التراث اللغوي وعمود الشعر العربي إلي جانب طابع الذوق الحضري الجديد، بينما المحافظة علي اللغة في مادتها وطرائق تراكيبها وأساليب اشتقاقها أمر مقدس، فإن طابع العصر وملائمة الفن الشعري للحياة الجديدة واستيعابه لها وللأبعاد الإنسانية الجديدة بدأ أمراً مرغوباً فيه إلي حد بعيد، بل كان يفرض نفسه فرضاً، لذلك تري أبا العتاهية ينكر علي ابن منذر إسرافه في قول الأراجيز المحشوة بغرائب الألفاظ ويقول له ( وإن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤية فما تصنع شيئاً، وأن كنت أردت أهل زمانك فما أخذت ما أخذنا)<sup>(١)</sup>. وقد استطاع أبو العتاهية وشعراء عصره بمهارتهم الفائقة أن يذيعوا أسلوباً متميزاً لئبتعدوا به عن خشونة البداوة وكزازة ألفاظهم، وتوجهوا إلي تلك التي تتميز بالعدوبة والرشاقة حيناً والرصانة والجزالة حيناً آخر، ولهم في كل ذلك ذوق متحضر محبب ينفر من الغرابة والوحشية. ويعتبر الشاعر بشار في مقدمة من أرسو دعائم الأسلوب المولد، ويقول عنه ابن المعتز: ( كان بشار يعد من الخطباء والبلغاء وكان شعره أنقي من الراحة واصفى من الزجاجة وأسلس علي اللسان من الماء العذب)<sup>(٢)</sup>

وهكذا مع بداية العصر العباسي ظهر هذا الأسلوب الجديد الذي أخذ يتطور إلي الصنعة والتصنيع علي يد البحثري وأبو تمام ومن والاهما ثم عاد فأتخذ طريق العربية المثلي من الرصانة والقوة والسلاسة والوضوح علي يد المتنبى ومن أحيوا فيه وطريقته، وكانت بداية التجديد في هذا العصر علي يد بشار وأبي نواس ومسلم ابن الوليد وأبو العتاهية فقد ساروا بالشعر مساراً جديداً ميّزه علي كل العصور السابقة بالرغم من الالتزام بشكل القصيدة القديم في أغلب الأحيان.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص ٩٠، دار الكتب.

(٢) ابن المعتز - طبقات الشعراء، ص ٢٨، ط دار المعارف/ تحقيق عبدالفتاح فرجا.

## المبحث الثاني: مظاهر التجديد في الشعر وأسبابه:

لقد ذكرت في بداية البحث أن الدولة العباسية اتسعت رقعتها. ودخل فيها أجناس مختلفة لها عاداتها وتقاليدها ، الشيء الذي أدى إلى تأثر الحياة العباسية بها اجتماعياً وثقافياً وسياسياً.

ومما لا شك فيه أن الحياة العباسية تغيرت تغيراً واسعاً ، فقد انتقلت الأمة من باقيا حياة البداوة إلى الحضارة ومن خشونة العيش أحياناً إلى وفاء النعمة، وأصبحت الملابس الموشاة ، المطرزة الناعمة الرقيقة لباس كثيرين من الطبقة المتوسطة ، وشارك الأدباء في هذه الحياة الناعمة ، فقد اختلف الشعراء عما كانوا عليه في العصور السابقة ، فقد تركوا البداوة واتجهوا إلى المدن، وفازت بغداد والكوفة والبصرة بنصيب وافر منهم، كذلك أن الدولة العباسية كانت كثيرة الوارد الشيء الذي أدى إلى حياة الترف والنعيم والبذخ الذي تمثل في القصور الواسعة المترفة المزينة بالذهب والفضة والبساتين الجميلة الخضراء، وكان الشعراء ينعمون بذلك، مما أدى إلى نظم الأشعار الجميلة الراقية ، المنمقة التي تنال استحسان الخلفاء العباسيين – الذين عرفوا بإكرام الشعراء والأدباء بمنحهم العطاء غير المحدود.

ولا شك في أن الازدهار الحضاري والتقدم العلمي الثقافي اللذين شهدتهما العصر العباسي، كان لهما أثرهما في تطور الشعر وازدهاره ، فقد ترك كل منهما صداه في الشعر العباسي فظهرت فيه مجالات متعددة للقول كان للشعراء حظ وافر منها.

كما أن التحول الاجتماعي الذي شهده ذلك العصر بعد امتزاج العرب بغيرهم من الأمم الأخرى التي ظهرت في الإسلام كان له أثر في الشعر العباسي. فظهرت فيه فنون تشجيع مطالب الحياة، وترقي أذواق الناس ، كشعر اللهو والمجون والخمريات الذي يروق لطبقة المترفين العابثين ، الذين يبحثون عن مسلاة يزجون فيها فراغهم ، وكشعر الزهد الذي يرضي المتدينين والعامّة، وكالشعر الحكمي والتعليمي الذي أغرم به طائفة من العلماء.

ومن ناحية أخرى أحس الشعراء ببعد الصلة بينهم وبين العرب الأولين الذين كانوا يقطنون البادية ويعيشون حياة خشنة بعيدة كل البعد عن حياتهم المتحضرة ، فأخذوا يصورون حياتهم الخاصة ومشاعرهم الذاتية، وكان لذلك مظاهر متعددة في الحركة الأدبية في ذلك العصر.

وكان لدى كثير من الشعراء استعداد لتقبل هذه التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي حدثت في ذلك العصر، والتأثر بها في شعرهم ، ليواكبوا بشعرهم حركة التطور والتجديد في كل جوانب الحياة. وقد أثر بعض الشعراء التمسك بتقاليد الشعر القديم شكلاً ومضموناً والوقوف عندما يرضاه علماء اللغة ويرضي أذواقهم، ومن ثم أصبح هناك تياران يتنازعان الشعر في ذلك العصر، تيار يواكب شعره حركة التجديد التي شهدها العصر، ويؤاتم بين شعره وبين المتغيرات الجديدة ، وتيار ظل واقفاً مكانه ملتزماً خطوات من سبقوه ، خاضعاً لذوق اللغويين والنحويين الذين تعصبوا لكل ما هو قديم، وأن كان التيار التجديدي قوياً، وخصوصاً في مجال الصياغة ، برغم الصعوبات التي واجهته ، وذلك لأنه الأقرب إلي ذوق العصر، والتعبير عن حياة الشعراء الخاصة وحياة العامة من أفراد الشعب وكان الصراع بين هذين التيارين عنصراً فعالاً في ازدهار الشعر والنقد في ذلك العصر.

وسوف نشير إلي أبرز خصائص التيار المجدد في كل عناصر الشعر و مدي ما أضافه من خصائص جديدة في هذه العناصر وقيمة هذا الجديد. وقبل هذا وذاك لا بد من الوقوف أولاً علي الدوافع والأسباب التي دفعت شعراء العصر العباسي إلي التجديد ، و الخروج علي بعض خصائص الشعر القديم ، وعدم التمسك بها أو الحرص عليها بالرغم من قوة أنصار القديم وإحكام قبضتهم علي الحركة الأدبية والنقدية في العصر العباسي الأول.

أسباب ودوافع التجديد في العصر العباسي الأول:

الذي لا شك فيه أنه كان للاتجاه التجديدي في هذا العصر من الدوافع القوية، ما هياً لأصحابه المكان المناسب في شعر العصر. وجعل صوتهم عالياً ، بالرغم ما اعترضهم من عقبات وصعوبات ، كانت تعترض طريق التجديد أحياناً إلا أنهم تغلبوا عليها حتى أصبح تيار التجديد قوياً يسير جنباً إلى جنب مع تيار المحافظة.

وقد كان لارتباط هذا التيار بحياة الشعراء الخاصة وصدوره عن واقع العصر ومتغيراته الجديدة ، وصراعاته المتعددة، قد ضمن له البقاء والاستمرار، بل والتفوق على تيار المحافظة في بعض الأحيان. وهذا التيار التجديدي لم يكن وفقاً على شعراء بعينهم ، بل تجد للشاعر الواحد نتاجاً محافظاً فيه على خصائص القديم، وبجانبه نتاج تجديدي ، وكل ذلك يخضع فيه الشاعر لمؤثراته الخاصة، من لغة وثقافة وذوق ، وعاطفة ، وخيال، ومؤثرات بيئية بما فيه صراعات سياسية واجتماعية ، وجدل فكري وفلسفي ، وخصومات أدبية ونقدية، ولكل من الجانبين دوافعه عند الشاعر التي دفعت الشعراء إليه ومدى علاقتهما بواقع العصر، وبالبيئة، وذوق الشعراء ، ومدى تأثير أنصار القديم في دفع الشعراء إلى التجديد ومن خلال الدراسة نجد من أهم هذه الأسباب:

#### ١- الربط بين النتاج الشعري وواقع العصر:

جاءت الدولة العباسية فتوطدت الصلات بين العرب وبين الأمم التي أخضعوها وكمل التفاهم بالمصاهرة، والولاء والإقامة وانعقدت الصلات بين العرب وبين الأمم المتاخمة لهم، وبنيت بغداد على دجله فقلت الحاضرة من الشام إلى العراق إيداناً بوقوع العرب تحت تأثير الفرس وكانت النهضة العظيمة قوية، وتبدلت الحياة الاجتماعية تبديلاً حقيقياً، نقلت البداوة وأقام كثير من الشعراء في الحواضر الإسلامية، وغيرت أصول العادات والأخلاق، وانتشر المجون وشاعت الزندقة ، وعم الجهر بالفسق، وكانت

هناك ثورة اجتماعية عصفت بالتقاليد القديمة عصفاً، وكانت هناك ثورة فكرية لم يرها العرب من قبل)<sup>(١)</sup>

كل هذا دفع الشعراء دفعا إلى مواكبة تطورات العصر التي تبدت في كل مظاهر الحياة ، والارتقاء بشعرهم إلى مسرح الأحداث العصرية ، والحياة الخاصة بهم، وهذا عمل يقتضيه الذوق الأدبي وتطلبه حياة العصر ، ويستلزمه الحسي الشعري لدى الشاعر، حتى يتلاءم مع حياة الشاعر الخاصة بكل جوانبها.

كانت الحياة العباسية الجديدة بكل جوانبها مثيراً قوياً للشعراء ، فصوراً مظاهرها وجوانبها في أشعارهم ، سواء في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فخرجوا بموضوعات شعرية من وحي البيئة والواقع الاجتماعي، فجاء شعرهم مرتبطاً بواقعهم أقوى ارتباطاً وأصدق. فقد كان هناك جماعة من شعراء العصر تذهب مذهباً متحرراً في الحياة ، وتري جعل الشعر أداة للتعبير عن الحياة الجديدة، كبشار و أبي نواس ومطيع بن أبياس، والحسين بن الضحاك ومسلم بن الوليد ، وغيرهم. وكانت الحياة العباسية وما لازمها من ترف ونعيم و بذخ، تتمثل في القصور الواسعة المترفة المتزينة بالذهب والفضة والبساتين الخضراء أثرها علي الشعراء لأنهم أصابوا من ذلك الترف بنصيب وافر انعكس ذلك في شعرهم، كما أن الخلفاء العباسيين عرفوا بإكرام الشعراء والأدباء ومنحهم العطاء غير المحدود، كما ساعد علي ذلك ظهور طبقة الرقيق،<sup>(٢)</sup> والحواري وكثرة مجالس الغناء وتعددت دور المجانة والهو والشراب ، وكل ذلك أدي إلي نتاج أنواع جديدة من أغراض الشعر لم تكن مألوفة من قبل. مثل: وصف الخمر ، والزندقة ، والزهد، والغزل بالغلان، وغير ذلك نتيجة للحياة اللاهية في المجتمع العباسي.

## ٢- تحدي رواة الشعر القديم والنقاد المحافظين:-

حيث عمل التجديد علي اتخاذ اتجاه معاكس لرواة الشعر القديم والنقاد والمحافظين عناداً وتحدياً، وربما كان هذا السبب، أقوى الأسباب التي دفعت

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩١.

(٢) د. يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٨٨.

الشعراء دفعاً، إلي التجديد، إذ راحوا يتحدثون رواة الشعر والمحافظين من النقاد، ويظهر ذلك واضحاً عند أبي نواس فهو يقول متحدياً عامة الناس فيما يراه من مذهب في قول الشعر محابها دعوة النقاد إلي احتذاء القديم يقول:

عَدَّ عَنْ رَسْمٍ وَعَنْ كَثْبٍ      وَالهُ عَنْهُ يَابِئَةُ الْعِنْبِ

ويقول:

صِفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةَ الْقَوْمِ      فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنِهِ الْكَرَمِ  
وهكذا جعل الشاعر من القدم والحدائثة طرفي نقيض<sup>(١)</sup>، حيث يعلن تحديه لأنصار القديم، واستحفاً بمنهجهم " وما لبث أن شئت حملته علي التقليد جملة، في عدد غير يسير من قصائده ومقطوعاته، عاقداً في ذلك الموازنة بين الوقوف علي الأطلال ووصفها والبكاء عندها، وبين البديل الغريب من نفسه، المرتبط بتجربته المباشرة وحياته اليومية وهو يصف الشراب ومجلسه وما يتصل به فيقول:

أحسن من منزل بذِي قَارٍ      مَنْزَلُ خُمَارَةٍ بِالْأَنْبَارِ  
شَمُّ رِيحَانَةٍ وَنَرْجِسِهِ      أَحْسَنُ مِنْ أَنْيْقٍ بِأَكْوَارِ  
وَعُشْرَةٌ لِلْغِيَانِ فِي دَعَا      مَعَ رَشَاءٍ عَاقِدٍ لَزْنَارِ  
أَلَذُّ مِنْ مَهْمَةٍ أَكَدَّ بِهِ      وَمِنْ سَرَابٍ أَجُوبِ عَرَارِ  
أحسن عندي من أم ناجية      وَأَمِ عَمْرُو وَأَمِ عَمَارِ

فأبو نواس يفضل الخمارة في الأنبار علي منزل بذِي قار، وشم الريحانة والنرجس أحسن من شم عرار النوق الذي كان محبا للشاعر القديم، وحياة الإقامة في رحاب القيد الحسان ألد من حياة الرحلة القاسية في الصحارى والغفار. والاستماع إلي الموسيقى والغناء من القيان الناعمات أحسن من الحديث عن نساء لم يعرفهن، وهكذا كان أبو نواس يقدم المبررات لمذهبه الجديد وينبذ تلك التقاليد المعنوية الشعرية القديمة.

(١) حسن ورويش أبو نواس وقضية الحدائثة في الشعر ، ص ٢٦٩.

### ٣ - الثقافات الجديدة:-

وهي من الدوافع الأساسية التي دفعت الشعراء إلى التجديد، حين اطلعوا علي ثقافات جديدة وافدة ، وأفادوا منها كثيراً، وظهر أثرها في شعرهم شكلاً ومضموناً ، وإطلاع الشعراء علي هذه الثقافات علي اختلاف أنواعها ، والإفادة من نتاج العلوم والمعارف الجديدة ومن جدل المتكلمين، وقف بهم على ألوان من الثقافات والعلوم والمعارف لم يعهدوا مثلها من قبل ذلك، ففتح أمامهم، آفاقاً جديدة للقول وميادين فسيحة للتعبير والوصف ، فجاء شعرهم وحياءً من نبض هذه الثقافات ، وباعد بينهم وبين نتائج أسلافهم.

ونحن نعلم أن العصر العباسي قد شهد حركة ثقافية واسعة ونشاطاً علمياً مزدهراً في كل أنواع العلوم والمعرفة، وأطلع الشعراء علي نتاج هذه الحركة بكل جوانبها وعلومها الجديدة ، فتأثروا بها، ودفعتهم إلى التجديد بما يناسب هذا التقدم العلمي والرقى الثقافي.

فطبيعي أن يكون لهذه العلاقات الثقافية الجديدة أثرها في عقلية العباسيين عامة وفي شعراءهم خاصة ، لأنهم كانوا يتصلون بها اتصالاً وثيقاً. ويروي عن العتابي التغلبي أنه كان يتقن الفارسية، وأنه رحل إلي [مرو] فكتب كتب العجم ، ولما سئل في ذلك قال وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة، اللغة لنا والمعاني لهم<sup>(١)</sup>.

ومن يرجع إلي ترجمته في كتاب الأغاني يجدله ضرباً من الشعر القصير الذي يشبه الأمثال، كقوله في مديح عبد الله بن طاهر<sup>(٢)</sup>:

ودُّكْ يكفينك في حاجتي      ورويتي كافية عن سؤالي  
وكيف أخشى الفقر ما عست لي      وإنما كفاك لي بيت مال  
وقوله<sup>(٣)</sup>:

هيبة الأخوان فاطعة      لأخي الحاجات عن طلبه

(١) طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر-بغداد ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) أبو الفرج - الاغاني ط دار الكتب ١١٧/١٣.

(٣) الأغاني ١١٦/١٣.

فإذا ما هبتَ ذا أمْلٍ مات ما أمّلتَ من سيّبه

وأكبر الظن أن العتابي كان يتأثر في هذه القطع القصيرة بمعان فارسية، وكان يتأثر هذه المعاني أبناء الفرس أنفسهم، فهم أصحابهم، وهي كنوز كانت تحت أعينهم<sup>(١)</sup>.

ولم تكن الثقافة الفارسية وحدها هي التي دفعت الشعراء إلى التجديد، ولكن كان بجانبها الثقافة الهندية، والثقافة اليونانية، ولكن كان للثقافة الفارسية نصيب الأسد في ذلك، لأن أصحابها رجال الدولة الذين قامت دولة العباسيين علي أكتافهم ، كما كانت ثقافتهم أقرب للذوق العربي من الثقافات الأخرى.

#### ٤ - عدم ملائمة المنهج القديم للحياة الجديدة:-

الذي لا شك فيه أن شعراء العصر العباسي كان لديهم شعور قوي بعدم ملائمة النمط القديم بخصائصه المضمونية، وسماته الأسلوبية لحياة اللهو والمجون، والغناء، والعريضة التي سادت المجتمع في هذا العصر، ولذلك كان لابد من ابتداء بعض المضامين ، الشعرية التي تنبع من هذه الحياة الجديدة، وابتداء نوع من الأسلوب الشعري يناسب تلك المضامين الجديدة رقة ورهافة.

وهل تري الأسلوب القديم الذي يقوم في هذا العصر علي " الصنعة والتقليد، واستخدام اللغة القديمة، والصور البدوية ، والجنوح إلي القرابة اللفظية، والحرص علي القوالب العروضية التي كان القدماء يكثرّون منها، وسلوك مسلك القدماء في افتتاح القصائد بمقدمات تقليدية والخروج منها أحيانا إلي وصف الناقاة أو الرحلة<sup>(٢)</sup>. هل تري هذا الأسلوب يتناسب مع حياة من مالوا في اللهو والترف، وذاع فيهم العبث والمجون، ووهنت عقائدهم فظهر فيهم التزندق ، والإلحاد ، وتفننوا في طرائق اللهو ، وعقدوا مجالس الشراب وتعاطوا الكؤوس علي أنغام الغيان ودقات الطبول وعزف الأوتار ، وتأثروا بالحياة الفارسية في وسائل المعيشة فنصبوا الموائد ، وافترشوا الأرائك ، وتفننوا في اتخاذ الزينة واقتناء

(١)د/ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ١٣٢-١٣٣.

(١) د/ يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٩٣.



الثياب الطريفة الموشاة ، وغير ذلك مما ساد في المجتمع العباسي من مظاهر اللهو والمجون، لذلك لم يكن هذا الأسلوب القديم بخصائصه وسماته يتفق مع هذه الحياة الجديدة ، فكان لابد من ابتداع أسلوب جديد يمتاز بكل عناصر اللغة والرشاقة ليناسب تلك الحياة بمظاهرها.

فكان هذا الأسلوب الجديد الذي تميز بحرية التعبير والصراحة في عرض الفكرة، والبعد عن التكلف والتصنع ، واجتناب الغرابة اللفظية ، واستخدام اللغة الشعبية التي يفهمها أفراد الطبقة الشعبية في سهولة ويسر ، والاعتماد علي الصور الشعبية التي يستسيغها أفراد هذه الطبقة ويتذوقونها والإكثار من الارتجال والحرص علي الوحدة الموضوعية والتحرر من القوالب العروضية التي كان يميل إليها القدماء ، سواء أظهر هذا التحرر في صورة ميل إلى الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة أم ظهر في صورة خروج علي عروض الخليل. ثم ظهور [المزدوجة] لأول مرة في الشعر العربي<sup>(١)</sup>

ومن هذا الأسلوب ما نجده عند أبي العتاهية في سهولة لغته ، واقترابه من الشعبية أحيانا كثيرة في شعره، ورشاقه أوزانه وخفتها وربما كان لسبب في ذلك الزهد الذي غلب علي شعره، فلجأ إلي تلك السهولة الشعبية اقترابا من ذوق العامة للتأثير، فيهم يقول في إحدى زهدياته<sup>(٢)</sup>

أفنيـت عُـمرك باغـتراك	ومناك فيه بانتظـارك
ونسـيت ما لا بد منه	وكان أولى بأدكارك
وإن اعتبرت بماتري	فكفاك علماً باعتبارك
لك ساعة تأتيك من	ساعات ليـلك أو نهارك
بادر بجدك قبل أن	تُقضي وتزعج من قرارك
من قبل أن يتناقل الـ	زوار عنك وعن مزارك
من قبل أن تلقي وليـ	س النأي إلا ناي دراك
أخي فادخر ما استطعـ	ت ليوم بوـسك وافتقارك

(٢) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٩٢-٦٩٣.

(٣) ديوان أبي العتاهية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٠٨.

فلتنزلن بمنزل تحتاج منه إلي ادخارك

٥- المظاهر الحضارية الجديدة (الطبيعة المصنوعة):-

وهذا واقع آخر دفع شعراء العصر العباسي إلي التجديد بما يتناسب مع ذوقهم وذوق العصر الذي يعيشون فيه ، وبما يتلاءم مع مظاهر البيئة الجديدة والحضارة الجديدة. فالمظاهر الحضارية الجديدة التي تبدت في ذلك العصر، كالعصور والرياض والبساتين والبرك والنافورات والجسور وغير ذلك فتح أمام الشعراء مجالاً للقول وميداناً للوصف، لم يحظ به شعراء العصور السابقة، فدفعهم إلي التفنن والابتكار في مجال الموضوعي لاستيعاب المظاهر الحضارية الجديدة في شعرهم ، بل أبعدها في ذلك فبدعوا قصائدهم بمقدمات تتناول تلك المظاهر ، كما دفعتهم تلك المظاهر إلي رقة الأسلوب وسهولة في اللغة تناسب رقة هذه المظاهر ورشاققتها.

تلك هي الدوافع التي دفعت شعراء العصر العباسي الأول إلي التجديد والخروج علي التقاليد الشعرية القديمة شكلاً ومضموناً ، فاصطدموا بالقدماء وكان هذا الاصطدام بدء الخصومة بين القدماء والمحدثين.

السمات الفنية التي أثمرتها الحياة الثقافية والعقلية لدى الشعراء العباسيين:-  
كان للحياة العقلية الثقافات المترجمة التي انتقلت إلي العربية، ولتأثيرات الحياة الاجتماعية في النفوس والأذواق والعقول، وللمدارس العلمية والمذاهب الفكرية وللنحل والعقائد آثرها البعيدة المدى في الأدب العباسي بصفة عامة، ومن أوضح أبرز السمات التي نتجت في الشعر في العصر العباسي الأول:

أ- شاع في هذا العصر الجدل في مباحث الكلام وقد تأثر الشعراء بهذا اللون من الجدل وبالتفكير الفلسفي، وكان بشار بن برد يعد من أصحاب علم الكلام، وكان كثير الترجمان إلي مجالس واصل من عطاء رأس جماعة المعتزلة، وكان من أهم المشكلات التي يثور حولها الجدل فكرة الجبر والاختيار، وكان واصل برفض فكرة

الجبر، ولكن بشار مضي في بعض أشعاره يعارض (واصلاً) ويصور أن الإنسان مسير لا مخير وفي ذلك يقول<sup>(١)</sup>

طُبِعْتُ عَلَيَّ مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ      هَوَايَ وَلَوْ خُبِّرْتُ كُنْتُ الْمُهْدَبَا  
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَا أُرَدُّ      وَيَقْصُرُ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمَغِيْبَا  
فَأَصْرَفَ عَنِ قَصْدِي وَعِلْمِي مَقْصَرٌ      وَأَمْسَى وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعْعَبَا

وربما النظام كان ينكر فكرة الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، وتجادل في ذلك طويلاً مع المعتزلة ، وقد ألم أبو نواس بأساس هذه الفكرة في أبيات غزله يقول متغزلاً<sup>(٢)</sup>

يَا عَاقِدَ الْقَلْبِ عَنِي      هَلَا تَذَكَّرْتَ حَالَا  
تَرَكْتَ مِنِّي قَلِيلًا      مِنَ الْقَلِيلِ أَقْلَا  
يَكَادُ لَا يَتَجَزَأُ      أَقْلٌ فِي اللَّفْظِ مِنْ "لَا"

ويقول أبو نواس أيضا في شخص كان يبغضه وقد استخدم في قوله الإشارة إلي فكرة الكمون.

كَمُنَ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا      كَكَمُونِ النَّارِ فِي حَجْرِهِ

ونظرية الكمون إحدى النظريات التي تحاور فيها النظام مع بعض معاصريه طويلاً. حيث يري أن الله سبحانه وتعالى خلق الموجودات دفعة واحدة ، ثم جعل بعضها كامناً في بعض علي نحو ما أكنم في آدم أبناءه.

وكان أبو نواس أيضاً يؤمن بفكرة المرجئة في أن الله من حقه أن يترك وعيده العاصي الذي ارتكب جرماً وأن يغمره بعفوه، وكان المعتزلة يرون وجوب صدق الميعاد والوعيد لأن ذلك لازم لصفة العدل ، ورد عليهم أبو نواس متابعاً فكر النظام وهو شيخ المرجئة يقول في إحدى خمرياته<sup>(٣)</sup>

فَقُلْ مَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فِلْسَافَةً      حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ  
لَا تَحْظَرُ الْعَفْوُ أَنْ كُنْتَ أَمْرًا حَرَجًا      فَإِنْ حَظَرَكَ بِالْدِينِ إِزْرَاءُ

(١) الأغاني : دار الكتب ، ج٣ ، ص٢٢٧ .

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٤١ .

(٣) أبو نواس : الديوان ، ص٣٥ .

ويظهر في كلام الشعراء كثير من مصطلحات المنطق وغيره من العلوم مما يدل علي أن ثقافة العصر المتنوعة قد أثرت تأثيراً مباشراً في المادة الفكرية للشعراء وقد وضح ذلك في كثير من أشعارهم وقد كان للثقافة الهندية والفرسية واليونانية تأثيرها الواضح عن طريق ما ترجم عنها، حيث عكف الشعراء علي الفلسفة اليونانية عكوفاً جعلهم يقفون علي كل مناهجها في الفكر الدقيق ، ولم يلبثوا أن استكشفوا لأنفسهم عالمهم العقلي الذي يموج بطرائف الذهن في جميع المعاني الحسية والعقلية، وكانوا يتحاورون مع بعضهم البعض في غوامض الفلسفة محللين ومستنبطين كأروع ما يكون التحليل والاستنباط، وكثيراً ما ردوا علي فلاسفة اليونان واشتقوا لهم آراء جديدة يدعمها العقل الذي شغفوا به وبأدلته وبراهينه وهذا الشغف صورته بشر بن المعتز تصويراً طريفاً، إذ يقول<sup>(١)</sup>

لله درُّ العقلِ من رائدٍ	وصاحبٍ في العسرِ واليسرِ
وحاكمٍ يقضي علي غائبٍ	قضيةَ الشاهدِ للأمرِ
وإن شيئاً بعضُ أفعاله	أن يفصل الخير من الشرِ
لذو قوي قد خصه ربُّه	بخالصِ التقديسِ والطهرِ

وقد سخرَ بشر عقله في الرد علي أصحاب المقالات والنحل وفي نظم قصائد تدخل في التاريخ الطبيعي يتحدث فيها عن مشاهد الطبيعة ودلالاتها علي قدرة الصانع الأكبر.

(ب) توليد المعاني نتيجة التأمل العقلي:-

نظراً لآتساع الحياة الفكرية والثقافية وشيوع الثقافات ذات الطابع الفكري والفلسفي ونتيجة لإقبال الشعراء علي فمنهم وعنايتهم بتجويده والابتكار فيه، نلاحظ شيوع سمة التوليد للمعاني نتيجة للتأمل العقلي وشيوع الثقافة والرغبة في الابتكار، وقد أكثر أبو تمام في العصر الثاني من استخدام التأمل العقلي في أشعاره حيث كان ديوانه يمثل هذا النوع من التوليد والمعاني، والتأمل العقلي كانت بدايته

(١) الحاجظ: الديوان ، ج٦، ص ٢٩٢.

في العصر الثاني من هذا النوع من الشعر وكذلك ابن الرومي في كثير من قصائده ، ولكن هذا التوليد والمعاني والتأمل العقلي كانت بدايته في العصر العباسي الأول. حيث بدأ عند بشار، وفتح له باب التجديد في المعاني والأخيلة والنسيج الفني، إذ نجد لديه في كل ذلك المذاق المحدث يمثل الحياة الجديدة في أبعادها الثقافية والإجتماعية ، ويتضح ذلك في مدخه للقواد والولاة حيث يستخدم الوصف الدقيق ويستنبط المعاني الدقيقة مستلهما لطائف عقله ودقائق تصويره، علي مثل قوله في مديح عقبة بن سلم والي البصرة<sup>(١)</sup>

فِي عَطَاءٍ وَمَرْكَبٍ لِلْقَاءِ	أَمَّا لَذَّةُ الْجَوَادِ ابْنَ سَلْمٍ
لِقَرِيبٍ وَنَازِحِ الدَّارِ نَاءٍ <sup>(٢)</sup>	كَخِرَاجِ السَّمَاءِ سَيِّبُ يَدِيهِ
فَ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمِ العَطَاءِ	لَيْسَ يَعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا لِلخَوِ
بُ وَتُعْشَى مَنَازِلُ الكُرْمَاءِ	يَسْقُطُ الطَيْرُ حَيْثُ يَنْثُرُ الحـ
لَ وَلَكِنْ يَهِينُهُ لِلثَّنَاءِ	لَا يَهَابُ الوَعْيُ وَلَا يَعْبدُ المَا
لَ وَأُخْرَى سُمُّ عَلِي الأَعْدَاءِ	أَرِيحِيَّ لَهُ يَدٌ تَمْطِرُ النِّيـ

واضح أنه يجعل لذته في الكرم والشجاعة ، ويصور كرمه واسترسال فيه الغيث الذي لا مغر من سقوطه علي القريبين والنائيين .

(ج) اتساع الخيال وإبداع التصوير:-

نتيجة لاتساع الثقافة وتبعاً للقدره علي التأهل الفكري والنفسي الذي يساعد علي توليد المعاني وتركيب الصور من عناصر غير متداولة، وتبعاً لمواهبهم المتنوعة فإن اتساع الخيال كان سمة واضحة في الشعر العباسي ، وقد ساعد ذلك علي بناء صور فنية جديدة مبتكرة ومن أمثلة ذلك بأثيه بشار بن برد التي يمدح فيها يزيد بن عمر بن هبيرة وفي رواية أنه مدح بها مروان بن محمد ، يقول في مطلعها<sup>(٣)</sup>

(٢) بشار : الديوان ١١١/١ والأغاني ، ١٩٨/٣ . الديوان ص ٢٣-٢٤ ط دار الكتب العلمية.

(٢) خراج السماء، الغيث ، السيب: العطاء

(٣) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٩٧/٣ ، أو الديوان ٣٠٥/١.

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صدقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه  
فِعْشٌ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه مُفارقٌ ذنبٍ مرةً ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مراراً عليّ الغدى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه  
بلي أن يأتي التصوير الرائع الدقيق والخيال البديع يصف في المعركة التي حدثت  
بين الممدوح وجيش الخوارج.

وجيش كجبح الليل يَرْحَفُ بالحصي وبالشوك والخطي حُمَرُ تعالبه<sup>(١)</sup>  
غدونا له والشمسُ في خِدر أمها تطالعا والظلُّ لم يجرُ ذائبه  
بضربٍ يذوقُ الموتِ من ذاق طَعْمَهُ وتُدرك من نجى الفرار مثالبه<sup>(٢)</sup>  
كأنَّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه<sup>(٣)</sup>

حيث أبدع الشاعر في تصويره الدقيق لوقائع المعركة حيث استخدم وسيلة التشبيه التمثيل في قوة المعركة، ومن قبلها صورة الشمس الرائعة مستخدماً الكناية في الزحف مبكراً مما يدل على الخيال الخصب الرائع، والتصوير البديع.

#### (د) المبالغة الشديدة والتهويل الزائد:

هذه السمة من طباع الفرس ونظام حياتهم الاجتماعية وقد ظهرت في العصر العباسي في الشعر والكتابة، ومن آثاره في الحياة الإجتماعية والسياسية المبالغة في تخبير الألقاب والنعوت والصفات، ومن أمثلة ذلك قول منصور النمرى في الرشيد قولاً خرج به للمبالغة المرزولة.

خليفةُ الله إن الجودَ أوديئةً أجلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ  
من لم يكن ببنى العباسُ معتصماً فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ  
إن أخلف القطرُ لم تخلفَ مخايلهُ أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتبعُ

(١) يزيق: يهجم، الشوك: السلاح، الخطي: الرج: تعالبه: أطرقه

(٢) مثالبه: معايبه.

(٣) النقع: غبار الحرب.

وقول محمد بن وهيب يمدح المعتصم:

ثلاثة تُشرقُ الدينا ببهجتها  
فالشَّمسُ تحكيه في الاشراق طالعة  
والبدر يحكيه في الظلماء مُبتسماً  
إلى أن يقول :

فالخلقُ جسمٌ له رأسٌ يديرُ وأنت جارحتاه السَّمْعُ والبصرُ

وفي المبالغة الزائدة حدّ المعقول والمقبول قول أبي نواس يمدح الرشيد<sup>(١)</sup>.

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

(هـ) الإكثار من الحكمة وتعمد استقصائها:

وهذه الظاهرة تتصل اتصالاً مباشراً وقوياً بالعمق الثقافي من جهة وبظاهرة توليد المعاني وتأمّلها وإدمان التفكير فيها وقدرة الشاعر على تأمل الحياة وفهم تجاربها من جهة أخرى، وهي من هذا المنطلق معين خصب للشاعر المقتدر على تلقى وحيها والارتفاع إلى مستواها الخالد في تاريخ الكلمة الفنية، وقد عظمت الحكمة لدى كثير من الشعراء العباسيين منذ بشار حتى بلغت قمتهما عند أبي تمام والمنتبي والمعري فيما بعد، ومعلوم أن الحكمة ظاهرة قديمة في الشعر العربي، ولكن في العصر العباسي الأول تحولت إلى آفاق جديدة تناسب عمق الثقافة وتنوع التجارب ودقة التأمل ومما قاله بشار في ذلك<sup>(٢)</sup>:

إذا بُلغَ الرأي المشورة فاستعن  
ولا تحفل الشورى عليك غضاضة  
وما خير كفٍّ أمسك الغلّ أختها  
وخلّ الهوين للضعيف ولا تكن  
برأى نصيحٍ أو نصيحة حازم  
مكان الخوافى قوة للقوادم<sup>(٣)</sup>  
وما خير سيفٍ لم يؤيد بقائم  
نؤوماً فإن الحر ليس بنائم

(١) الديوان ص ٦٢.

(٢) أبو الفرج - الأغاني ١٥٦/٣ وانظر ٢٢٤.

(٣) القوادم : الريش الطويل، الخوافى : الريش القصير في جناح الطائر.

كل هذه السمات كانت ثمرة للحياة العقلية والثقافية في العصر العباسي الأول، وكانت إضافة حقيقية لمسيرة الشعر في هذا العصر وادخال بعض المعانى الجديدة فيه تبعاً للتفسير الواضح في الحياة الإجتماعية ومواكبة التطور في الحياة الجديدة في مجال الادب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة.



المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة في العصر الأول  
ظل العباسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغيره مما كان  
ينظم الجاهليون والإسلاميون ولذلك أبقوا الشعر العربي على شخصيته الموروثه،  
وقد مضوا يدعمونها دعماً بما لاعموا بينها وبين حياتهم العقلية الخصبة وأدواقهم  
المتحضرة المرهفة، فإذا هي تتجدد من جميع أطرافها تجدداً لا يقوم على التفاضل  
بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم على التواصل  
الوثيق. ومن الموضوعات التي نقف عندها في البدء.

#### المديح :

معلوم أن الشاعر الجاهلي والإسلامي كان كلاهما يرسم في ممدوحه  
المثالية الخلقية الرفيعة التي تقدرها الجماعة ويشترك في ذلك الخليفة والوالي  
والقائد، وفي العصر العباسي اختلفت الغاية للمدحة. حيث أصبح الشعراء  
يصورون المثل الخلقية تصويراً حياً ناطقاً ويجسمون هذه المعاني المستنبطة  
الدالة على السماحة والكرم والحلم والحزم والمروءة والعفة وشرف النفس وعلو  
الهمة والبأس تجسماً قوياً، حتى كأنها لتصبح تماثيل في أعين الناس كي  
يحتزوها ويحودوا لأنفسهم مجامع الحمد والثناء، ولذلك أصبحت المدحة تبت في  
الأمة التربوية الخلقية الرشيدة، والفضائل والمكارم، وقد أشعل الشعراء العباسيون  
جذوتها في النفوس بما رقدوها به من عقولهم الخصبة وأخيلتهم البارعة، وأخذ  
المديح في الخلفاء والولاة يعمل على تبصيرهم بالأخذ بدستور الشريعة وتقوى  
الله، والعدل بما ينعكس ذلك على سلوكهم كقول أبي العتاهية في هارون الرشيد<sup>(١)</sup>.

وراعٍ يُراعي الله في حفظ أمةٍ      يُدافع عنها الشرَّ غير رقادٍ  
تجافى عن الدنيا وأيقن أنها      مفارقةٌ ليست بدار خلودٍ

وقول مروان بن أبي حفصه في مطلع قصيدة للمهدى<sup>(٢)</sup>

(١) الأغاني - ١٠٤/٤.

(٢) الأغاني - ٨٩/١٠.

سُننَ النَّبِيِّ حَرَامُهَا وَحَلَالُهَا

أَحْيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

وَيَقُولُ مَنْصُورَ النَّمْرِ فِي الرَّشِيدِ<sup>(١)</sup>

بُطَاعَةَ اللَّهِ ذِي اعْتِصَامٍ

بُورِكَ هَارُونَ مِنْ إِمَامٍ

لَيْسَتْ لِعَدْلِ وَلَا إِمَامٍ

لَهُ إِلَى ذِي الْجَلَالِ قُرْبَى

وقد يكون الخليفة سيئ السلوك ولكن الشعراء يمدحونه بنفس هذه المثالية الكريمة للخلفاء، لأنهم لا يمدحونه من حيث هو إنما يمدحونه خليفة للمسلمين وموضع آمالهم. وقد صور الشعراء الأحداث التي حدثت في عصور الخلفاء وخاصة الفتن الداخلية، ولم يكتف الشعراء بهذا التصوير بل عنو بتسجيل كلما يستطيعون من تفاصيل المعارك الحربية، كما في تصوير علي بن جبلة لبطولة أبي دُلف العُجلى قائد المأمون المشهور إذ يقول في قصيدة طويلة يصف بعض وقائع<sup>(٢)</sup>

وَالعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ<sup>(٣)</sup>

الْمَنَائِيَا فِي مَقَاتِيهِ

كَصِيَاحِ الحَشْرِ فِي أَمْرِهِ<sup>(٤)</sup>

وَزُحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ

فِي مَذَاكِيهِ وَمُشْتَجِرِهِ<sup>(٥)</sup>

قُوَّتِهِ وَالْمَوْتَ مُكْتَمِنٌ

طَوْتَ المَنْثُورَ مِنْ بَطْرِهِ<sup>(٦)</sup>

فَرَمَتْ جَيْلُوهَ مِنْهُ يَدٌ

تَحْمَلُ البُؤْسَ إِلَى عَقْرِهِ

زُرْتَهُ وَالخَيْلَ عَابِسَةً

صَيْقَةَ فِي الخَلْقِ فِي خَيْرِهِ

صَاغَكَ اللَّهُ أَبَا دُلْفٍ

بَيْنَ بَادِيَةِ إِلَى حَضْرِهِ

كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ

يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةً

(١) الأغاني - ١٣٩/١٣.

(٢) ابن المعتز - طبقاتالشعراء ص ١٧٥ - الاغاني ١٠٣/١٨ ساس.

(٣) المقاني : جماعات الخيل، ذرا الحجر : فناؤها.

(٤) زحوف: صيغة مبالغة في الزحف.

(٥) المزاكى : الخيل، الممشجر : القنا

(٦) جيلوه: من ثوار آذربيجان.

حيث جسّد الشاعر بطولة الممدوح المتمثلة في شجاعته وبسالته كما وصف أيضاً قوته النادرة بتجسيد الموت وهو مكتمن في خيله وسلاحه. فكانت المدحة قديماً تشتمل على مقدمات تصف الأطلال وعهود الهوى بها ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء وما يركبه من بعير أو فرس وما يراه من حيوانات وحشية وغيرها كما هو حال الشعر الجاهلي، وكل ذلك استبقاه شاعر المدحة العباسي ولكن مع إضافات تلائم بيته وبيت عصره، وهذه الإضافات تعبر عن خيال الشاعر العباسي وحياته العقلية، وقد يعجب الإنسان لاستبقاء هؤلاء الشعراء المتحضرين لعناصر الأطلال ورحلة الصحراء البدوية، غير أنهم اتخذوها رمزاً، فالأطلال تعنى حُبهم الدائر، ورحلة الصحراء ترمز لرحلة الإنسان في حياته، وقد استغلوا ما كان يصحب الأطلال من حنين وذكريات حُبهم ومعاهده، ولا يزال يتفرق في أشعارهم من مثل قول مسلم بن الوليد<sup>(١)</sup>:

هـلا بكيت ظعائناً وحُمولاً      ترك الفؤادَ فراقَهُم مَخْبُولاً<sup>(٢)</sup>  
 فإذا زَجرتُ القلبَ زادَ وجْبُهُ      وإذا حبستُ الدمعَ زادَ هُمُولاً  
 وإذا كتمتُ جوى الأسي بعث الهوى      نفساً يكون على الضمير دليلاً<sup>(٣)</sup>  
 واهياً لأيام الصبِّا وزماتِه      لو كان أمتعَ بالمقَامِ قليلاً

وقد حاول بعض الشعراء أن يترك الحديث عن الأطلال المهجورة إلى حديث الحاضرة المأنوسة حينئذ كان لا يسترسل في وصف حبيبته فاستبدال الوقوف على الأطلال بوصف القصور يعد نوعاً من التطور في الشعر وانعكاساً لتأثير الحضارة التي لازمت العصر العباسي الأول، فالشاعر أشجع بن عمر السلمى يستهل إحدى قصائده بقوله<sup>(٤)</sup>:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٌ      نشرت عليه جمالها الأيامُ

(١) ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٣ ط دار المعارف.

(٢) الطعائن : النساء في الهودج، الحمول: ما يحمله معهن.

(٣) جوى الأسي: ناره.

(٤) ابن المعتز ص ٢٥٢.

وتحول الشاعر العباسي في أحيان كثيرة عن وصف الصحراء ومسالكها إلى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها الجميلة البهيجة في الربيع، واتخذوا أحياناً من وصف السفن ورحلتها في الأنهار صورة مقابلة لرحلة البعير في الصحراء، وكأنهم أى الشعراء يحاولون في ببطء وحذر تحديد الموضوعات القديمة بما يلائم العصر أو على شاكلته ونلاحظ ذلك في قول بشار بن برد في وصف السفينة ورحلتها في مدحه للخليفة المهدي<sup>(١)</sup>.

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دم قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر<sup>(٢)</sup>  
إذا ظننت فيها الفلول تشخصت بفرسانها لا في وعود ولا وعر<sup>(٣)</sup>  
تلاعب تيار البحور وربما رأيت نفوس القوم من جرياتها تجرى  
وجعلهم موجة المجون الحادة في العصر يصفون في مقدمات مدائحهم  
الخمراً أحياناً واستهل ذلك بشار وتوسع فيه مسلم بن الوليد وأبونواس  
وأبو العتاهية سعة شديدة وأضافوا له بعض التأملات العقلية في الحياة والطباع.

## الهجاء

فقد تطور تطوراً واسعاً أكثر من المديح، إذ كان يتصل بحياة الشعب والعامّة اتصالاً أدق من اتصال المديح، لأنه لم يضعف بسبب التنافس الشديد بين الشعراء، وقد عمت فيه روح جديدة إذ أخذوا يرسلونه سهاماً معمية، وأن الشعراء لم يتركوا مثالية خلقية أو نفسية في شخص إلا صوروها، وكأنما يريدون أن يطهروا المجتمع منها، ولم يتورعوا من هجاء الخلفاء والوزراء بتصوير المثالب الخلقية والنفسية كلما رأوهم ينحرفون عن الجادة كما كان يفعل دعبل الخزاعي، ولذلك أصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح، فالمديح يرسم المثالية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها

(١) الأغاني ٢٤٢/٣ ط دار الكتب الديوان ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٢) الأين : الإعياء.

(٣) الفلول : الجماعا. وعود جمع وعت وهو المكان السهل

المجتمع الرشيد. وقد تبارى الشعراء في رسم معانيه، تارة يخذون وخذ الإبر،  
وتارة يطعنون طعنات قاتلة، من ذلك قول بشار في هجاء ابن قزعة بشحه<sup>(١)</sup>

فلا تبخلا بخل ابن قزعة فإنه      مخافة أن يرجى نداء حزين

إذا جنته للعرف أغلق بابيه      فلم تلقه إلا وأنت كمين

وأهم ميدان غمس فيه الشعراء هجاءهم هو جانب الاستخفاف والتهوين  
والتحقير ويظهر ذلك في هجاء حماد عجرد لبشار عندما اشتد الهجاء بينه وبين  
بشار في مثل قوله<sup>(٢)</sup>:

وأعمى يشبه القرد      إذا ما عمى القرد  
دنى لم يرح يوماً      إلى منجد ولم يغد  
ولم يحضر مع الحضار      في خير ولم يبذ  
الحفا ولم يخش له ذم      ولم يرج له حمد

هذه الأبيات يقال إنها هزت بشار حتى بكى عندما سمعها لشدة وقعها عليه،  
فهجاه بشعر من نفس الحضارة الجديدة وكان أشد إيلاماً منه. يقول بشار<sup>(٣)</sup>

نهاره أخبث من ليله      ويومه أخبث من أمسه  
وليس بالمقلع عن غييه      حتى يوارى في ثرى رمسه  
ما خلق الله شبيهاً له      من جنة طراً ومن أنسه  
والله ما الخنزير في نتيه      بربعه في النتن أو خمسه  
بل ريحه أطيب من ريحه      ومسه ألين من مسه  
ووجهه أحسن من وجهه      ونفسه أنبل من نفسه  
وعوده أكرم من عوده      وجنسه أكرم من جنسه

(١) ابن المعتز، ص ٢٦.

(٢) أبو الفرج - الأغاني، (طبع دار الكتب) ٣٢٩/١٤

(٣) الجاحظ - الحيوان ٢٤٠/١. والأغاني ٢٣٠/١٤.

فقد وصفه بشار بالخنزير في ننته وهو هجاء مقزع. يقول الجاحظ: (وأنا - حفظك الله - استظرف وضعه والخنزير بهذا المكان في هذا الموضع حيث يقول: (وعودُه أكرم من عوده) وأى عود للخنزير قبحه الله وقبح من يشتهى (أكله) وحماد يضيف إلى قذارة الجسد قذارة الخلق، مع أن بشار كان في الذروة الرخيصة من صنع الشعر ونظمه وكان حماد في السّفح البعيد فإن حماد كان يستعلى عليه في الهجاء. ويكثر من هجاء بشار هتك الأعراض. وربما كان لشيوع المجون والفحش أثر في ذلك.

### الفخر

ظل محتفظاً بحيويته القديمة، وإن كان ضعف فيه الفخر القبلي رغم تمسك بعض الشعراء به وفي مقدمتهم أبو نواس إذ كان يتعصب إلى مواليه من سعد العشيرة والقحطانيين وينظم فيه أشعاراً كثيرة، كما كان بشار يتعصب أيضاً لمواليه القيسيين تعصباً حاداً، حتى إذا نجحت الثورة العباسية أظهر ما كان يستتره من كراهية للإسلام والعرب.

والجديد حقاً في الفخر لهذا العصر إن كثيراً من الشعراء صوروا في فخرهم عن شعور لمّاح بالمروءة والكرامة والشيم الرفيعة مثل قول عوف بن محمّم الخزاعي<sup>(١)</sup>:

وإني لذو حلم على أن سورتى	إذا هزّنى قومٌ حميتُ بها عرضي <sup>(٢)</sup>
وإني لأجزى بالكرامة أهلها	وبالحقدِ حقداً في الشدائدِ والخفض
وقول بكر بن النطاح <sup>(٣)</sup>	
ومَنْ يفتخرُ منا يعيش بحسامه	ومَنْ يفتخرُ من سائر الناس يسأل
وإنا لنلهو بالسيوفِ كما لهتُ	يسأل فتاةً بعقدٍ أو سخابُ قرنفل <sup>(٤)</sup>

(١) ابن المعتز ص ١٩٢.

(٢) السورة: السطوة وشدة الغضب.

(٣) الأغاني (طبعة الساس) ١٧/١٥٥.

(٤) السخاب: القلاده - القرنفل : نوع من الطيب

## الرثاء

فقد نشط الشعراء فيه نشاطاً واسعاً، إذ لم يمت خليفة ولا وزيراً ولا قائداً مشهوراً إلا أبوه تأبيناً رائعاً وقد صوروا في الفؤاد بطولاتهم ومحنة الأمة والجيوش عند وفاتهم، وكان رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوعة ويكتظ أيضاً بالحماسة وتمجيد بطولاتهم تمجيداً يقدم الحمية في نفوس الشباب.

والجديد في الرثاء في هذا العصر هو أن الشعراء صوروا المعاني الدقيقة والصفات الحميدة التي كان يتصف بها المرثى، حيث أنها فقدت بفقدته على شاكلة قول مسلم بن الوليد في رثاء يزيد بن يزيد<sup>(١)</sup>:

نفضت بك الآمال احلاس الغنى      واسترجعت نزالها الأمصار<sup>(٢)</sup>  
أجل تنافسه الحمام وحفرة<sup>(٣)</sup>      نقشت عليها وجهك الأحفار<sup>(٣)</sup>  
فاذهب كما ذهب غوادي مزنة<sup>(٤)</sup>      أثنى عليها السهل والادعار<sup>(٤)</sup>

فالصورة في البيت الأول دقيقة، فقد أراد أن يصور قعود المستضعفين والسائلين عن الرحلة في طلب نواله، فقال أن الآمال نفضت أحلاس الفتى أي انها لم تعد تهيب الإبل للارتحال نحو، وجعل في البيت الثاني الموت والقبور يتنافسان عليه، كل يريد أن يضمه إليه، ولم يلبث أن جعل كل القبور تتنافس على قبره ملقي وجسده الغالي. ودعا له متمثلاً جوده الذي به عم الناس كما تعم السحابة بوابلها السهل والوعر، وهذا تصوير رقيق واختيار رائع للمعاني الدقيقة في الرثاء. والجديد في هذه المرثي أيضاً رثاء المدن حيث تنزل بها كوارث النهب والحرق على نحو ما حدث لبغداد عندما رماها جيش الأعداء بالمنجنيق قبل مقتل الأمين حيث اندلعت فيها النيران وأضرمت بعض الأحياء، مما جعل كثير من الشعراء يبكونها وقد غمرهم الحزن والأسى في مثل بعضهم<sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> ابن المعتز ص ٢٣٦.

<sup>(٢)</sup> احلاس: جمع ملس وهو الكساء على ظهر البعير.

<sup>(٣)</sup> الحمام: الموت.

<sup>(٤)</sup> المزنة: السحابة الممطرة.

<sup>(٥)</sup> المسعودي، مروج الذهب ٣/٣١٣.

ألا أبك الاحراق وهدم منازل      وقتل ونهاب للنهي والذخائر<sup>(١)</sup>  
وإبراز ربات الخدور حواسراً      خرجن بلا خمر ولا بمآزر

فإن لم تكن بغداد أحسن منظراً      وملهى رأته عين لاه وناظر  
ومن المرثى الجديدة الموضوع مرثي الطير الصادق مثل القمري  
والحيوانات المستأنسة كذلك رثاء البساتين، في مثل قول ابن الزيات يرثى فرساً  
أشهب لم ير مثله حسناً، طلبه المعتصم ولم يرد طلبه، وعندما بان عنه رثاه  
بقصيدة طويلة يقول فيها<sup>(٢)</sup>.

كيف العزاء وقد مضى لسبيله      عنّا فودعنا الأحم الأشهب<sup>(٣)</sup>  
منع الرقاد جوى تضمنه الحشا      وهوى أكابر وهم منصب<sup>(٤)</sup>  
وقد أكثر الشعراء في هذا العصر من العتاب والاعتذار متخذين لهما مسالك  
دقيقة تدل على رهافة الحس وخصوبة الذهن مثل قول أبي دلف معاتباً<sup>(٥)</sup>.  
ومن لى بالعين التي كنت مرّة      إلى بها في سالف الدهر تنظر  
كما نجد أن الرثاء والعتاب أخذ مكانة الحقيقة عند أبي تمام بمراته المعروفة  
التي ذاع صيتها لما لها من تصوير رائع وأختيار للمعاني الدقيقة التي تعبر بصدق  
وحرارة على فراق المرثي، ولذلك نجد أن الرثاء قد دخل مرحلة جديدة في أسلوبه  
خاصة المعاني والألفاظ.

## الغزل :

لقد وجد الغزل أكثر اهتماماً وعناية في هذا العصر من غيره من الموضوعات،  
وذلك لأنه تصوير لعاطفة الحب الإنسانية التي كانت تحقق بأغانيها العידان

<sup>١</sup> ( النهى والذخائر: الأموال.

<sup>٢</sup> ( ديوان ابن الزيات ص ٦.

<sup>٣</sup> ( الاحم: الأسود، الأشهب: سواد مع بياض.

<sup>٤</sup> ( الجوى: هرقة الهوى، منصب: متعب.

<sup>٥</sup> ( ابن عبد ربه - العقد الفريد ١٦٥/٢.



والدفوف والمعازف بأشكال مختلفة وبأصوات المغنين والمغنيات صباح ومساءً، وكانت المغنيات أو الغيان يعشن بقلب الشاعر ومن حولهن الجوارى والإماء، وكان يتصل بهن اتصالاً غير مقطوع وكل غانية تعرف لو استحوذت على قلبي مشاعر وبادلته حباً بحب وهياماً بهيام، وكاد أن يكون بكل شاعر طائفة من الجوارى يحففن به، وكان منهن كثيرات يكتبن الشعر، حيث كنَّ يكتبن أبيات الغزل المثيرة على ثيابهن، وقد يطارحن بعض الشعراء أبيات العشق والصبابة<sup>(١)</sup>، ومن المؤكد إنَّ هؤلاء الجوارى والغيان هن اللاتي رفضن المجتمع العباسي إلى الفساد الخلقى، إذ كنَّ يعشن في بيوت النجاسة، وكانت دوراً كبيرة للعبث واللهو ولم يكن يستمعن فيها إلى ما يقول فيهن إلى السيرة السوية، إنما كنَّ يستمعن إلى أحاديث العشق والصبوة، ومن حولهن الشياطين الذين يستعينون بكل شيء، بل كان منهم من ينكر أصول الدين غارقاً في اللذة والمجون من أمثال بشار وأبي نواس، ولذلك كان من الطبيعي أن يفتح الباب للغزل الإباحي الذي يدفع إليه الجشع الجسدي وهو غزل لم يكن معروفاً من قبل، كذلك كان طبيعياً أن يشيع الغزل الماجن في هذا العصر وخاصة الغزل الشاذ بالغلماَن الذي كُبح في التراث القديم، كقول أبو نواس يصف غلاماً<sup>(٢)</sup>

يا ذا الذي يخطر في مشيته	قد صفَّ الشعر على جبهته
وسرَّح المئزر من خلفه	ودقق البان على وفرتة <sup>(٣)</sup>
مبتلُّ تنثييه أعطافه	أميسُ خلق الله في خطرته <sup>(٤)</sup>
مهفهفٌ ترتجُّ أردافه	يتيه بالحسنِ على جيرته

وكان هؤلاء الشعراء يستظهرون هذا الغزل ويرون فيه إكبار للمرأة وإعزازها، بل كان يرون فيه حباً عذرياً عفيفاً ومع ذلك الجو الصاخب بالغزل

<sup>(١)</sup> شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ص ١٧٦.

<sup>(٢)</sup> أبو نواس - الديوان ص ١٠٦ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

<sup>(٣)</sup> الوفرة : الشعر الكثير.

<sup>(٤)</sup> المبتل : الضامر البطن.

الماجن نجد بعض الإشارات إلى الغزل النقي والحب العذري البرئ الذي ورثوه عن أسلافهم خاصة شعراء نجد العذريين، ويظهر ذلك فيما رواه المسعودي إذ أورد مجلساً ليحي البرمكي تناظر فيه نفر من المعتزلة والمتكلمين وبعض أهل المثل والنحل في العشق وحقائقه وظواهره وعذابه ودارته، ولطافة اصحبه ورقته ورهافة شعوره<sup>(١)</sup>، كل هذه المناظرة دارت حول الحب العفيف الطاهر، ولعل ذلك يكون ناتجاً من التأثير اليوناني فيما ترجم عن الحب الإفلاطوني وأخذه فلاسفة العرب عنه، وأخذوا يتحدثون عن العشق أحاديث فيها كثير من السمر والسعة والعمق، وكذلك تأثر بشار وأبو نواس وغيرهما من المجان بالحب الإفلاطوني أو الحب العفيف البرئ الذي يرتفع عن المادة والحس في مثل قول بشار<sup>(٢)</sup>:

دعا بفراق من تهوى أبانُ ففاض الدَّمْعُ واحترق الجنان  
 كأن شرارة وقعت بقلبي لما في مقلتي ودمى استبان<sup>(٣)</sup>  
 إذا انشدت أو نسمت عليها رياح الصيف هاج لها دُخانُ

وكان الشعراء العباسيون يختارون المعانى الدقيقة اختياراً سلباً يعبر عن خيالهم الخصب ومقدرتهم الفائقة في التصوير مثل قول بشار<sup>(٤)</sup>

أتنتى الشمس زائرةٌ ولم تك تبرح الفلكا

وقول أبي نواس<sup>(٥)</sup>

كَأَن ثِيَابِهِ أَطْلَعُ — نَ مِنْ أَزْرَارِهِ قَمْرَا  
 يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا — إِذَا مَا زَرْتَهُ نَظْرَا  
 بَعِينٌ خَالِطُ التَّفْتَا — يِرَا مِنْ أَجْفَانِهَا حَوْرَا

<sup>(١)</sup> المسعودي ، مروج الذهب ٢٨٦/٣ .

<sup>(٢)</sup> الأغاني طبعة دار الكتب ٢٠٦/٣ .

<sup>(٣)</sup> استبان، جرى شديد .

<sup>(٤)</sup> المختار من شعر بشار للخالدين ص ٦٤ .

<sup>(٥)</sup> الديوان طبعة آصاف ص ١٦٥ .

وخذَّ سابريّ لو تصوّب ماؤه قطر

وقد اشتهر بهذا الغزل العفيف العباس بن الاحنف الذي استطاع أن يسمو بهذا الفن إلى درجة عالية وقد برع فيه لما تفسره من قصائد غزلية عفيفة نقية، تجد فيها النفوس غذاءً روحياً ممتعاً، لانه يرتفع عن الحب والمادة ارتفاع الشعر العذرى الاموى، بما يصف من حب لا يخمد أواره، من مثل قوله<sup>(١)</sup>:

الحبُّ أول ما يكون لجااجة  
حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى  
نزف البكاء دُموع عينيك فاستقر  
من ذا يعيرك عينه تبكى  
بها

وقوله أيضاً<sup>(٢)</sup>

إنك لا تعرفين ما الهمُّ والغمُّ  
أنا الذي لا تنام عيني ولا تر  
أحرم منكم بما أقول وقد  
صرتُ كأنى ذبالة نُصِبتُ  
وقوله :

زارك في البستان طيف طروقُ  
يا بأبي الزور الذي زارنا  
يا فوز قد طالبت بكم شقوتي  
ألم من فَوْ فنفسي تتوقُ  
بات رفيقاً لي فنعم الرفيق  
يا فوز قد حملت ما لا أطيعُ

### وصف الخمر

لقد اتسع هذا الفن وانتشر نتيجة لاتساع موجة المجون في هذا العصر، وكان القدماء يصفونها كما هو معروف عند الأعشى وعدى بن يزيد، وأخذ وصفها يكثر في أواخر عصر بنى امية وخاصة عند الوليد بن يزيد، وكانت ما نالتها في

<sup>(١)</sup> ( الاغاني ، ج ٥ ص ٢٦ .

<sup>(٢)</sup> ( ديوان العباس ص ١١١ .

الكرخ وغيرها من المدن التي تكثر فيها دور النخاسة والأديرة المنثورة في ضواحي الكوفة والبصرة وبغداد، فأما كل المجان والفساق من الشعراء، وقد أخذ كثير من الناس يتعاطون الخمر باختلاف مذاهبهم وخاصة الشعراء المجان من مثل مطيع بن إياس، ووالبة، وحماد عجرد وغيرهم يصبون الخمر أرطالاً ويتغزلون الغزل المكشوف الماجن بالحواري والغزل الشاذ بالغلما متمردين من كل عرف ودين وفي ذلك يقول مطيع بن إياس<sup>(١)</sup>:

أخلعُ عذارك في الهوى      واشرب معتقة الدنانِ  
وصل القبيح مجاهراً      فالعيشُ في وصل الغيانِ  
لا يلهينك غير ما      تهوى فإن العمر فان

وتبلغ ذروة هذه الموجة في عهد الأمين حيث اتخذ أبا نواس نديمه، وكان يعكف على الخمر عكوفاً يقترن بهجيج وضجيج وهجوم على مقدمة الأطلال القديمة طالباً من الشعراء أن يضعوا مكانها وصف الخمر المعتقة في مثل قوله<sup>(٢)</sup>:

قل لمن يبكى على رسم درسٍ      واقفاً ما ضرَّ لو كان جلسُ  
نصفُ الربيعِ ومن كان به      مثلُ سلمى ولبنى وخنسُ  
أترك الربيع وسلمى جانباً      واصطبح كرخيةً مثل القبسِ

### شعر الزهد

انتشر في هذا العصر شعر الزهد وكان أكثر اتصالاً بحياة الجماهير في شعر الخمر والمجون، فإنها لم تكن تعرف ترفاً ولا ما يشبه الترف، وكانت حياة الجماهير حياة دينية مستقيمة يشيع في جوانبها النسك والعبادة، فإذا كان الكلام المكتوب عن حياة المجون كثيراً، فإن الأخبار أكثر عن حياة العباد والزهاد الذين رفضوا الدنيا وشهواتها وملازمها وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وأشيع في هذه الأخبار كثير من الأشعار التي تصور زهد هؤلاء الناسكين وانصرافهم عن متاع

<sup>(١)</sup> ( الشابشتى - الديارات ص ١١٦ .

<sup>(٢)</sup> ( الديوان طبعة آصاف ص ٢٩٩ .

الدنيا الزائل والإقبال على الآخرة بالتقوى والتوكل على الله والعمل الصالح، وقد تبعهم كثير من الشعراء يرددون نفس النغم، حتى شعراء المجون أنفسهم فإنّ منهم من كان يتوب إلى نفسه فيعاض ما تروى فيه من فسق ومجون، وحينئذ إما أن يقلع غيّه إلى الأبد على نحو ما أقلع محمد بن حازم الباهلي<sup>(١)</sup>، وإما إلى حيث يطول أو يقصر على نحو ما يلتقنا عند أبي نواس في قوله<sup>(٢)</sup>

ألا ربّ وجهٍ في التراب عتيق      وياربّ حُسنٍ في التراب رقيق  
فقلّ لقريب الدار إنك راحلٌ      إلى منزلٍ نائي لا لمحل سيق  
وما الناس إلا هالكٌ وابن هالك      وذو نسب في الهالكين عريق  
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت      له عن عدو في ثياب صديق

كما ظهر في هذا العصر مبادئ للشعر الصوفي حيث نظم بعض الشعراء قصائد في الشعر الصوفي الذي يسمو بحياة الفرد إلى غايات أرحب وأسمى. كذلك قول أبي العتاهية في استغفار المرء عن ذنوبه يقول<sup>(٣)</sup>

إلهي لا تعذبني فإنني      مقررٌ بالذي قد كان مني  
وما لي حيلةٌ إلا رجائي      وعفوك إن عفوت وحسن  
فكم من زلة لي في البرايا      وانت على ذو فضل ومنّ

إذا فكرت في قُدُمي عليها      عضضت أناملِي وقرعتُ سنِي  
يظن الناس بي خيراً وأنِي      لشرُّ الناس إن لم تعف عنِي

<sup>(١)</sup> أبو الفرج - الأغاني - طبعة دار الكتب ١٠٥/١٤.

<sup>(٢)</sup> الديوان ص ٣٩٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

<sup>(٣)</sup> الديوان ص ٢٢٣ ط دار الكتب العلمية بيروت.

<sup>(٤)</sup> البرايا: الخطايا

ويمكن القول بأن الموضوعات التقليدية التي تعرضنا لها في الدراسة قد طرأ عليها تغيير يمكن أن يكون نواة لشعر جديد لكنه ليس بالجديد صرفاً، لأن القصيدة العربية حافظت على كثير من سماتها وأن هناك بعض التغييرات طرأت في بعض جوانبها، ويجوز القول بأن موضوعات الشعر القديمة أخذت تتجدد تجددًا واسعاً في معانيها، وأخذت تدخل عليها إضافات كثيرة في العصر العباسي الأول، حيث شكلت هذه الإضافات أثراً واضحاً في التحول في نظام بناء القصيدة العربية في كثير من جوانبها، وسوف نتطرق إلى أثر هذا التطور والتجدد في نهضة الشعر ونتلمس مواطن التجديد في القصيدة في موضوعاتها ومقدمتها، وفي مجال الصياغة، وفي مجال الأوزان والقوافي في الفصل التالي لنبين إن كان هناك جديد حقاً في الشعر.

## الفصل الثاني

أثر التجديد في نهضة الشعر

المبحث الأول: أثر النهضة علي القصيدة العربية

المبحث الثاني : آراء النقاد في ظاهرة التجديد

## الفصل الثاني

### أثر التجديد في نهضة الشعر

المبحث الأول: أثر النهضة في القصيدة

١ / الأغراض والموضوعات

لقد نهض الشعر في العصر العباسي، نهضة واضحة وتطور تطوراً ملحوظاً شكلاً ومضموناً، مما جعل القصيدة العربية يعترتها بعض التغيير سواء في معانيها أو ألفاظها، وأصبحت أغراض الشعر وموضوعات تتجه نحو التطور، لكنه تطور محدود، وإزدهار فيه شيء من التحفظ بالقديم والالتزام بالقديم.

ولو أننا استقرينا جميع أغراض الشعر في النصف الأخير من القرن الثاني، لم نجد فيها جديداً بالمعنى الصحيح فالشعر ظل غنائياً لم يتغير نوعه، وأغراضه ظلت مديحاً وهجاءاً ورثاءاً وتحزباً ووصفاً. صحيح أن الحياة الجديدة جاءت بالأكثر من شعر اللهو والمجون والاستهتار بالشراب، وجاءت بالغزل بالملحوظ والأكثر من وصف القصور والرياض، ولكن لذلك كله أثر في الشعر الجاهلي والإسلامي، وما هو جديد محض كالغزل بالملحوظ ليس شيئاً ذا بال وكل هذا ليس بجديد في الحقيقية، وإنما هو مسابرة الشعر للحياة الجديدة، وتمشي معها في بعض صورها، وإن ظل كنهه وجوهره علي ما كان عليه من قبل.

"ليس إذن من غرض جديد، ولا نوع جديد في الشعر العباسي، فالمحدثون اجتذوا القدماء في نوع الشعر، وفي آفاقه ومراميه: مدحوا، وهجو، ورثوا، وانتصروا للعصبية، وتشيعوا للاحزاب، وقالوا في اللهو والخمر وتلك كلها أمور قديمة<sup>(١)</sup>

(١) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار العلمية، بيروت: لبنان، ١٩٨٢، ص ٩١-٩٢



لكنه وبرغم ذلك يمكن لنا أن نحصر الموضوعات التي نهضت وإزدهرت والتي أبدعتها قرائح العباسيين وهي:

أ/ الشعر التعليمي:-

هذا لون من الشعر العربي الجديد ظهر في العصر العباسي نتيجة موجة التيار التجديدي الذي أثر في الساحة العباسية ، ولم تكن له جذور في ماضي الشعر، وإنما ظهر استجابة لمتطلبات الحياة العقلية الجديدة التي شهدتها العصر العباسي ، من تنوع الثقافات الوافدة ، وتنوع العلوم العربية واللغوية والدينية والتاريخية التي شهدتها الحركة العلمية في ذلك العصر أيضا. وبمرور الوقت تشتد الحاجة إلي التزوّد من ثقافات وعلوم العصر ، فيلجأ بعض الشعراء إلي نظم العلوم والمعارف والقصص والتاريخ في قصائد شعرية تعرف بالأراجيز تيسيراً علي طالب العلم والمعرفة ، فنشأ بذلك لون من الشعر الجديد يعرف بالشعر التعليمي.

وخلال العصر العباسي كله شهد هذا اللون من الشعر نظم النحو والصرف والعروض والأحكام التجويدية ، وغير ذلك من العلوم في أراجيز شعرية ، لا تمت للشعر بصلة لخلوها من العواطف والمشاعر ، وقد كان من الممكن أن يزدهر هذا اللون من الفن الأدبي ، وذلك عندما راح المشتغلون بفروع العلم المختلفة ينظمون المادة العلمية في أراجيز ممزوجة من هذا الطراز تكن بمثابة متون يحفظها الآخذون في تحصيل هذه العلوم<sup>(١)</sup>.

وما هذه روح الشعر، وما ينبغي أن يكون الشعر كذلك، وإلا أصبح فناً جامداً، تصب فيه العلوم علي هيئة قوالب موزونة ، دون أن يكون هناك مجال لعاطفة الشاعر أو شعوره ، دون أن يكون هناك مجال للخيال والتصوير.

ومن هذا اللون أرجوزة أبي العتاهية الطويلة " ذات الأمثال" التي ضمنها كثير من الحكم والمواعظ وفيها يقول<sup>(٢)</sup>

(١) د. عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص ٤٠٦

(٢) ديوان أبي العتاهية : مطبعة بيروت ، ص ٣٨٥-٣٨٨.

حسبك مما تبتغيه القوت      ما أكثر القوت لمن يموت  
لكل ما يؤذي وإن قل ألم      ما أطول الليل علي من لم ينم  
من جعل التمام عيناً هلكا      مبلغك الشر كباعية لكـ  
ما انتفع المرء بمثل عقله      وخيرُ زخْرُ المرء حُسنُ وفعله<sup>(١)</sup>  
أنّ الفساد ضده الصلاح      ورب جد جره المزاح

وهذه الأرجوزة تعتبر من أهم الأعمال الفنية عند أبي العتاهية في الجانب الأخلاقي ، وهي أثر واضح من آثار التجديد في شعره ، من نوع الشعر التعليمي .

ب/ رثاء المدن :-

شهد العصر العباسي تقدماً ملموساً في مجال العمران والحضارة ، فبنيت المدن وشيدت القصور ، وأقيمت الحدائق والبساتين ، وانتشرت البرك والرياض ، ولم تلبث بغداد أن صارت معرضاً للحياة علي النمط الفارسي في الملبس والمسكن وألوان الأطعمة والأشربة، وفي الحفلات الأعياد.

وبدأ العرب يتأثرون بهذه الألوان الجديدة ويصنعونها ، ومن هنا نشأ تعلق الشعراء بهذه الحياة الجديدة ، وبمظاهرها الحضارية، فأحبوا مدنهم حبا يفوق الخيال، لأن نمو المدينة في العصر العباسي جعلها تتضمن في وقت واحد عوامل جذب وتغيير . وهذه في الحقيقة صفة طبيعية لكل مدينة كبيرة تستوعب قطاعات وشرائح مختلفة ومتفاوتة في المجتمع ، كما تستوعب كل وسائل الثقافة وألوانها، وكل أسباب الحضارة والتحدث. ومن ثم رأينا كيف أقبل بعض الناس علي مدحها، وكيف ذهب بعضهم إلي هجائها.

ومهما يكن من أمر المدح والهجاء . فإن المدينة كانت في العصر العباسي قد صارت تمثل كياناً له معني ووجود في نفوس أهلها ، فإن أهلها قد صاروا تربطهم بها روابط كثيرة مادية ومعنوية ، ولقد تولد نتيجة لذلك شعور إنساني

<sup>(١)</sup> الذخر : ما يخزه المرء عند الحاجة.

نبيل تجاه المدينة، عبروا عنه في صدق وحرارة عندما رأوا الخراب والدمار يحل بها، كأنهم فقدوا لها عزيزا لديهم.

وهكذا برز في العصر العباسي إطار جديد للثراء هو رثاء المدن، وقد كان جديدا نهض بسرعة ، وذلك لأن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي ، كما أن المدن الإسلامية لم تشهد دمارا وخراباً كما شهدته بعض مدن العراق في هذه العصر<sup>(١)</sup>

وهكذا يتبين لنا أن هذا الموضوع الشعري جديد، ابتدعه الشعراء في العصر العباسي الأول فهو أثر من آثار النهضة والتقدم الحضاري العمراني الذي يشهده العصر ، وأرتباط الشعراء ببيئتهم الجديدة ، بكل مظاهر التحضر فيها. ومن هذا اللون ما قاله عمرو بن عبد الملك العتري الوراق، يصور ما حلّ ببغداد في أثناء الصراع الدائر بين الأمين والمأمون من الدمار والحريق والخراب، بعد أن كانت موطننا آمنا لكل قاصد ، وموضع نعمة وخبرة لكل طالب يقول<sup>(٢)</sup>:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين	لم تكوني زمانا قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم	وكان قريهم زينا من الزين
صلح القراب بهم بالبين فاترقوا	ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوم ما ذكرتهم	الا تحدر ماء العين من عيني
كانوا ففرقهم دهرٌ وصدعهم	والدهر يصدع ما بين الفريقين

ج/ رثاء الحيوان والطير:

وهذا اللون من الشعر يعتبر أثرا من آثار التجديد في نهضة الشعر، حيث يكشف لنا عن معني إنساني فيه نوع من الحضارة، حيث تتولد العاطفة التي تربط بين الإنسان وهذا النوع من الحيوان ، والتي تغدوا قوية في نفس الإنسان حتى أن فقده للحيوان الأليف لديه يبعث في نفسه الأسي والحزن<sup>(٣)</sup>

(٣) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي ، مرجع سابق ، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ١٠ ، ص ١٧٥

(٢) تاريخ الطبري: ج ١٠ ، ص ١٧٥

والشعر العربي علي مدي عصور الأدب السابقة للعصر العباسي قد قدم لنا نماذج رائعة في وصف الحيوان والطيور وصفاً وجدانياً ، وذلك ليس غريباً أن ينهض هذا الفن ويتطور لدي شعراء العصر العباسي ويزداد ارتباطهم بحيوان البيئة فيرثونه عند فقدته وموته.

وهذا أبو القاسم بن يوسف يجعل أكثر شعره في هذا اللون حتى يقول عنه الصولي: (أنه أشعر في فنه الذي أعجبه من مرثي الباهائم من جميع المحدثين، حتى أنه لرأس فيه متقدم جميع من نحاة<sup>(١)</sup>)

ومن هذا اللون عنده قصيدته التي يرثي فيها عنزاً له سوداء<sup>(٢)</sup> وفيها يقول متمنياً أن لو استطاع أن يفدي السوداء من الموت بأي فداء ، رخيصة كان أو بغلاء

ولكن أنى يكون ذلك ونحنُ	نعيشُ من دارٍ كُتِبَ لها الفناءُ
لو فدي الحي ميتاً لفدينا	ك رخيصة إن كان أو بغلاء
حبذا أنت يا سويداء لونم	ت لنا فيك مطمعات الرجاء
أي حبي يبقي فتبقي لنا الـ	سوداء هيهات ما لنا من بقاء
كيف يرجو البقاء سكان دار	خلق الله أهلها للفناء
ولهم بعدها معاد إلي داء	ر خلود إقامة وجزاء

د/ الغزل بالملكر:

ربما كان هذا اللون من الشعر أبرز الموضوعات الجديدة في هذا العصر، وأكثرها شيوعاً في شعر الشعراء، وخصوصاً المجان، وكان أثراً واضحاً من آثار الحضارة العباسية الجديدة، والمجتمع العباسي الذي تشكل من أجناس مختلفة، وحياة اللهو والمجون التي كانت غالبة علي العصر العباسي الأول ، والتريف والنعيم اللذين نعم بهما شعراء هذا العصر، والحانات والخمرات والأدبرة التي

(١) الأوراق: للصولي ص ١٦٤

(٢) نسخة، ص ١٦٤-١٦٦

كانت مفعلاً للفسق والفساق، كما ذكرنا من قبل، كل ذلك كان له أثره في وجود هذا اللون في الشعر وتطوره.

ولا شك في أن هذا اللون من الغزل بعد إنحرافا بالغزل عن مساره الطبيعي الفطري، إلي ضرب من الشذوذ والغزل بالذكر، قادهم إليه عكوفهم علي الشراب وإختلاطهم بالغلمان، الذين كانوا يديرون عليهم الكؤوس فيعبثون بهم علي مائدة الشراب، ويتغزلون في محاسنهم ويخلعون عليهم كثيراً من أوصاف الفتنة والحسن والإغراء، ويتناولون أموراً أخري بعف اللسان عن ذكرها، مما يعتبر ضرباً من الإنحراف بالغزل عن مساره الطبيعي وتشويها لحقيقته الجميلة، ولقد بيّن ذلك عند أبي نواس كما انتشر ذلك الغزل الشاذ عند مطيع بن إياس وغيره من شعراء اللهو والمجون يقول مطيع متغزلاً في غلام<sup>(١)</sup>:

ليس يُعْتِمُ إِلَّا	سكرانَ مع سكران
يسقيه كلُّ غلامٍ	كأنه غُصْنُ بان
من خندريس عُقارٍ	كحُمْرَةِ الأَرْجوان

يقول ذلك من غير أن يتحرج من إثم وهو من أوائل المجان الذين قالوا هذا النوع من الغزل الشاذ ولعل ذلك ناتج عن موجة الفجور والفساد الذي عمّ المجتمع العباسي في الكوفة والبصرة وما وصل إليه الحال في تلك الفترة.

هـ/ وصف وسائل الثقافة:

انصهر شعراء العصر في يوتقة الثقافات المتعددة في عصرهم، في محاولة صادقة منهم للتأثر ببيئتهم والقرب منها، واستمداد موضوعات شعرية منها، حتى يكونوا أصدق تعبير عن واقعهم وحياتهم، ومظاهر بيئاتهم، وكان من ذلك وصفهم لوسائل الثقافة المختلفة لعصرهم، وهو لون من شعر الوصف لم يكن معهودا في العصور السابقة، نشأ بتأثير التقدم العلمي، والتطور الثقافي والإزدهار الفكري الذي تجلي في أبرز صورته وأدق معانيه في العصر العباسي.

(١) الأغاني ٢٩٣/١٣.

ومن ذلك ما يقوله كلثوم بن عمر العتابي في وصف الكتب (١)

لنا ندماء ما نمل حديثهم أمينون مأمونون غيبا ومشهدا  
يفيدوننا من علمهم علم ما مضي ورأيا وتأديبا وأمرا مسددا  
بلا علة نخشي ولا خوف ريبة ولا نبتقي منهم بنانا ولا يدا  
فإن قلت هم أحياء لست بكاذب وإن قلت هم موتي فلست مفندا

هذه أبرز الموضوعات الجديدة وأثر هذا التجديد في تطورها ونهضتها في العصر العباسي الأول، وهي تمثل نزوح الشعراء العباسيين إلي التجديد في موضوعات شعرهم بما يناسب ذوقهم وحياتهم ورغبتهم الصادقة في التعبير عن حياتهم اليومية، وجعلها مادة ثرية لشعرهم بما فيها من لهو مجون. ورغم ذلك التطور و النهضة لهذا الشعر الجديد وأثره علي الساحة العباسية. إلا أن الشعراء يدورون في فلك الأغراض الشعرية القديمة التي نظم فيها القدماء، لهذا لم يهتم النقاد كثيرا بهذا الجانب التجديدي في الشعر العباسي.

## ٢/ أثر التجديد في المقدمة:

إذا أفتتح الجاهلي أو الإسلامي مديحه بالنسيب ، والوقوف بالأطلال فإن ذلك كان من بيئته ومن طبعه، فإذا ما وصف الناقة وصف ما لقاها في الصحراء من عناء وتعب وما صادفه من حيوان ونبات، فإن ذلك مقبول منه، لأنه يفصح فيه عن أمر واقعي ، ويصور فيه حاله نفسية قامت به.

هذه الديباجة سائقة من الجاهليين و الإسلاميين ، لأنها تصور كثيرا من حالاتهم ، ولأنها صادقة التصوير ، ولكن أصبح من شاعر كأبي نواس يقيم في بغداد مع الرشيد والأمين أن يستهل مدائحه بأطلال يقف بها ، وناقاة لعله لم يركبها؟ أصبح أن تكون الديباجة التي أخذت عناصرها من مشاهد الصحراء صالحة لمن يقيم علي ضفاف دجلة بين ترف ولهو وقصور ورياض؟ وكما أن

(١) ابن النديم: الفهرست ، ص١٦

الديباجة الجاهلية صادقة لأنها تصور الحياة الجاهلية البدوية، كذلك يجب أن تكون ديباجة الشعر الحديث صادقة تصور الحياة الحضرية الناعمة.

لذلك لابد من الإنصراف من هذه المطالع القديمة والتفكير في شيء جديد ملائم. فكان أن مال أبو نواس إلي أقرب الأشياء إلي حياته فأستمد منها ديباجة شعره الخمر الندامة ومجالس الشراب <sup>(١)</sup> ولذلك نراه يقول كما ذكرنا نابذا المقدمات الطللية داعيا إلي تركها <sup>(٢)</sup>

وتُبلي عهدَ جدتها الخطوب <sup>(٣)</sup>	دع الإطلال تسفيها الجنوبُ
تخبُّ بها النجيبَةُ والنجيب <sup>(٤)</sup>	وخلُّ لراكب الوجناء أَرْضاً
وأكثر صيدُها ضبع وذئبُ	بلاد نبتها عشرٌ وطلحُ
ولا عيشا فعيثهم جديبُ	ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولا تخرج فما في ذاك حوب <sup>(٥)</sup>	دع الألبان بشرَ بها رجالُ
يَطوف بِكأسها ساقِي أديبُ	فأطيب منه صافية شَمولُ

وهنا تتجلى شعوبية أبي نواس الحانقة حيث راح (يصف حياة العرب بالخشونة، وأن المتحضرين المنعمين لا مكان لهم فيها ، فهي حياة حرب وشقاء وترحال لا ينتهي علي ظهور الجمال في الفيافي والفقار، وليس فيها مجال للهو والمتعة، واقصى ما يستطيعه العرب فيها أن يشرب اللبن حليباً أو يصيبه رائباً حامضاً، فيكون بديلاً لديهم من الخمر. وهو يدعو نفسه أو يدعو غيره إلي نبذ هذا كله، السعي إلي مجلس اللهو والشراب الحقيقي حيث يدور الساقى علي الشراب بالكؤوس<sup>(٦)</sup> وكثير من الشعراء يستبدل الوقوف على الأطلال بالوقوف علي

(١) تاريخ النقد العربي عند العرب ، ص ٩٢-٩٣

(٢) ديوان أبي نواس ، دار صادر بيروت: ص ٣٥-٣٦.

(٣) تسفيها: تدرى ترابها - الجنوب : الريح الجنوبية.

(٤) الوجناء: الناقة القوية: تخب : الخب نوع من عدو الجمل.

(٥) الحوب: الإثم.

(٦) د.عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والنص ، ٨٦

القصور التي أنتشرت في هذا العصر ، أو أطلالها، ووصفها وأفتتاح قصائدهم بها علي نحو ما نجده عند محمد بن يسير قصر حزب<sup>(١)</sup>

ألا يا قصرُ قصرُ النوشجاني      أرى بك بعد أهلك ما شجاني  
فلو أعفي البلاء ديارَ قومٍ      لفضلٍ منهم ولعظمٍ شأني  
لما كانت تُري بك بيئاتٍ      تلوح عليك آثار الزمان

وهكذا تجد أن الشعر الجديد ظهر أثره واضحا في مجال المقدمة وقد نهض وإزدهر حتى أصبحت الأفتاحية بذكر القصور والرياض والورود ومظاهر الطبيعة وكل ذلك بعد نهضة واسعة بفعل التجديد في مقدمة الشعر.

### ٣/ أثر التجديد في صياغة الشعر:

لقد عرفنا المثل الأعلى للشعر عند القدماء: كلام يجري علي السليقة والقطرة ، ومعاني توحى إليهم بها حياتهم ، أهم خصائصها الوضوح، وعبارات قوية ، رصينة جزلة لا يقصد بها إلا إبراز المعني وجديده.

وأما المثل الأعلى للشعر عند المحدثين فكان شيئا آخر فقد أرادوا أن يكتبوا شعراً جميلاً وفهموا من جمال الشعر غير ما فهمه القدماء ، فالجمال القديم هو القطرة ، والقوة والإبانة والوضوح ، وارسال الكلام أرسالا كما يوحى به الطبع.

أما المجددون فقد اعتقد كثير منهم أن المعاني نضبت ولا ملكية فيها ولا فضل ، وإن أهم شئ في الشعر هو الصياغة ، وليس المهم أن شيئا يقال ، وإنما أن يقال هذا الشئ في بيان جميل. وكيف يتأتى هذا البيان الجميل؟ بالزخرف في العبارة والتنسيق ، فأخذوا يفتشون في العبارات القديمة عما يظنونهم جميلاً ، وتتبعوه، ووشحوا به شعرهم ، وأكثروا منه ، فأجتمع لهم من ذلك الجناس والطباق والإستعارة وغيرها من الأنواع التي وقع عليها أسم البديع<sup>(٢)</sup>

(٤) الأغاني، ط١ دار الكتب ، ج١٤ ، ص٣٩

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه ابراهيم ، ص٩٣ - ٩٤



## (١) البديع:

وجد العباسيون بعض فنون البديع " التي جاء بها الجاهليون والإسلاميون عفواً ، وبدون تلمس ، ومن غير أن يعرفوا لها أسماء ، فأخذوها وأدخلوها في أشعارهم، فجاءت منهم طبقة : تفننت في فن البديع وأحدثت فيه فناً (١) وأكثروا منه في أشعارهم حتى أثقل الشعر بالصبغة وأصبح غثاً ممجوجاً. وتزعم هذه المدرسة: بشار وتبعه ابن هرمة ، والعتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وكلهم من أصحاب الاتجاه التجديدي في العصر الأول ثم تبعهم أبوتام في العصر الثاني وغيرهم.

"ويبدو أن الشعراء بعد بشار كانوا قد استكشفوا بعض وسائل الأداء الشعري الذي ارتبط بالبديع فراحوا يفرضونها أحيانا علي معانيهم فرضا حتى تبدوا جديدة مبتكرة ، متصورين أن الأداء الجديد يعكس الجدة علي المعني كذلك وكان الأصل العكس، أي أن المعني البديع هو الذي يستجلب الأداء الشعري المبتكر (٢)

ويتضح ذلك جلياً في شعر مسلم ابن الوليد في غزله حيث يقول: (٣)

أجرت حبل خليع في الصبا غزل      وشمرت همم العذال في العذل  
هاج البكاء علي العين الطموح هوي      مفرق بين توديع ومحتمل  
كيف السلو لقلب راح مختبلا      يهذي بصاحب قلب غير مختبل

والجهد واضح في هذه الأبيات سواء من حيث اختيار الألفاظ ومن حيث إضافة رخارف الجنس والطباق فهو يجانس بين العذال والعذل ، ويطابق بين المختبل وغير المختبل  
ب/رقة الأسلوب:

لقد أدى التطور الذي حدث إلي شيء من التغيير في اختيار الألفاظ السهلة الرقيقة ، والتراكيب اللينة ، والأبتعاد عن الحوسي والقريب ، ومن غير المعقول

(٢) نفسه ، ص ٩٣-٩٤

(١) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص ٤٢٧

(٢) ديون مسلم ، ج ١ ص ٢٣ ، دار المعارف مصر ، تحقيق د. سامي الدهان ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ ، ص ٢٣

ألا يترك البعد الزمني بين العصر العباسي وأ بدايات الشعر العربي ، ومن غير المعقول ألا يترك التطور الحضاري والعمراني والثقافي وشيوع الغناء واللهو في هذا العصر أثراً في لغة الشعر وصوره بما يتواءم مع طبيعة العصر وطبيعة الناس فيه، وطبيعة البيئة الجديدة.

والذي لا شك فيه أنه قد أظهر نهضة كبيرة وأثر أثراً في لغة الشعر وألفاظه وتراكيبه ، فرأينا نمطين من الأسلوب في مجال التجديد. أولهما: أسلوب وسط يلائم ذوقهم الحضري وحياتهم الجديدة ، هذا الأسلوب الوسط يقوم علي "عتاد من القديم وعدة من الذوق الحضري والحياة الجديدة، أسلوب يحافظ علي مادة اللغة ومقوماتها التصريفية النحوية ، ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة بحيث تنفي عنه ألفاظ العامة المبتذلة كما تنفي ألفاظ البدو الحوشية<sup>(١)</sup>. ويظهر ذلك الأسلوب عند أبي نواس في قوله: <sup>(٢)</sup>

وخمارٌ أنخت إليه رحلي	أناخه قاطنٌ والليلُ داج
فقلت: له أسفتي صهباء صرفا	إذا مزجت توقدُ كالسراج
فقال: فإن عندي نبتُ عشر	فقلت له مقالة من يناجي
إذ قنيها لأعلم ذاك منها	فأبرز قهوة ذات ارتجاج
كأن بنان ممسكها أشيمت	خضابا حين تلمعُ في الزجاج <sup>(٣)</sup>

فتلحظ هنا إن أبا نواس قد خرج علي طريقة القدماء التقليدية في وصف الأطلال إلي وصف الخمر ، فإن أسلوبه لم يبتذل ، بل حافظ علي قوة آسرة وفخامة ألفاظه، مع سهولة العبارة ووضوحها.

الأسلوب الثاني: هو ذلك الأسلوب السلس السهل اللين الذي تكثر فيه الرقة المفرطة، والليونة الزائدة ، والذي يقترب من اللغة الشعبية.

(٣) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ، ص ١٤٦

(٤) ديوان أبي نواس ، ص ١٣٧

(٣) أشيمت : خُصبتُ.

ويعدّ أبو العتاهية رائد هذا الاتجاه في الأسلوب، ينظم به في المدح، والهجاء، والرثاء، والغزل والزهد، كما رأينا في المبحث السابق، وعلى طريقه سار كثير من شعراء اللهو والمجون، الذين كانوا يتقارضون الشعر على موائد الشراب، وفي الحانات والخمّارات والأديرة، وفي مجالس الغناء واللهو.

"وأبو العتاهية يعدّ من أول شعراء القرن الثاني الذين أدخلوا بساطة التعبير وشعبيته في قصائد المديح التي كانت تلتزم فيها فخامة التعبير وأرستقراطية<sup>(١)</sup> وهو يبيّن لنا منهجه في الشعر فيقول: (فالصواب أن تكون ألفاظه مما لا يخفي على جمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعار التي في الزهد، وهو موهوب أشقف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه<sup>(٢)</sup>)

ومن هذه الألوان عنده قوله في مدح المهدي<sup>(٣)</sup>

أنته الخلافة منقادة	إليه تجرّ أذيالها
ولم تك تصلح إلا له	ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم نطعه بنات القلوب	لما قبل الله أعمالها

حيث نجد ألفاظاً سهلة، وعبارات رشيقة واضحة، ولغة يسيرة تقرب من لغة الحياة اليومية، بالإضافة إلى الوزن الرشيق القصير، على الرغم من أن القصيدة في المدح، ومن هنا يتضح لنا مدى النهضة التي وصل إليها الأسلوب بسبب التجديد الذي لازم الشعر في كثير من جوانبه.

٤/ أثر التجديد في أوزان الشعر:

لقد أثرت موجة التجديد في الشعر في أوزانه مما أدى إلى النهضة فيها باستخدام أوزان مختلفة قصيرة كانت أو مجزوءة، كما سبق أن تحدثنا من قبل في الفصول السابقة.

(١) د/ هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣٩٩.

(٢) الأغاني ج ٣، ص ١٦١ ط بولاق

(٣) ديوان أبي العتاهية ص ٣١١

( ولم يقف تجديد المحدثين عند الديباجة ونبذ الصياغة ، بل حاولوا كذلك في أعاريض الشعر وأوزانه، فأهتدي بشار إلي أوزان جديدة نظم فيها تطرفاً، واستعمل أبو العتاهية أوزاناً غير التي نظم فيها القدماء <sup>(١)</sup>. وكان أثر التجديد يتمثل في الآتي:

١- أكثر بعض الشعراء من استخدام الأوزان الحقيقية المجزوءة لمناسبة تلك الأوزان لإيقاع العصر ، وانغماس الناس في اللهو، والمجون، حتى لم يدع لهم ذلك - في بعض الأحيان -، فرصة لسماع الأوزان، الطويلة. وهذا يعني أن الشعر في العصر العباسي تغلبت عليه الأوزان القصيرة والمجزوءة، وذلك بعكس الشعر القديم الذي غلبت عليه - كما قلنا - الأوزان الطويلة.

ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة تقصير الأوزان لم تكن جديدة في العصر العباسي. ولكن الجديد هو إكثار الشعراء من استخدام الأوزان المجزوءة ، ومبالغتهم في اختزالها إلي حد أن صار البيت أحياناً من تفعيلتين. كل تفعيلة تكون شطرة <sup>(٢)</sup>

وقد شاعت هذه الأوزان من الشعر الذي يناسب الغناء كشعر الغزل والمجون وغيرها، كما شاعت كذلك في الفنون التقليدية كالمدح والهجاء، والرثاء، والوصف، وغيرها.

ومن هذا اللون قول مسلم الخامر في مدح المهدي <sup>(٣)</sup>  
موسى المطر غيث بكرٌ  
ثم انهمر ألوي المرر

(١) تاريخ النقد العربي ص ٩٦

(٢) د./ عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص ٤٤١

(٣) أبو رشيق القيرواني: العمدة ج ١ ، دار الجيل، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ١٨٥

كم اعتسر وكم قدر      ثم غفر عدل السير  
باقي الأثر خيرٌ وشرُّ      نَقَعٌ وفيرٌ خيرُ البشرِ  
فرعٌ مفرُّ بدرٍ بدر      لمن نظرٌ هوَ الورر  
لمن حفر والمفتخر      لمن عبَّر

وهذه القصيدة مبنية علي " مستفعلن واحدة في كل شطر ، ولكنها كتبت مرتين في الشطر تقريبا للمعني، وهو وزن أبتكره سلم الخاسر.

٢- ابتداع بعض الأوزان الجديدة. التي لم تكن موجودة من الشعر القديم وسجلها الخليل بن أحمد في بحوره.

وهذه البحور - كما ذكرناها هي: المقتضب، والمضارع، واكتشفها الخليل، والمدارك ، واكتشفه تلميذه الأخفش.  
فمن المقتضب قول أبي نواس:

حامل الهوي تعبُ      يستخفه الطربُ  
أن بكى يحق له      ليس ما به لعب (١)  
ومن المضارع قول أبي العتاهية : (٢)

أيا عتبُ ما يضرُ      كِ أن تَطْلُقِي صَفَادِي  
وبحر المقتضب أكثر شيوعاً من المضارع، وأكثر تداولاً علي السنة الشعراء، وربما لخفته ورشاقته وسهولة النظم عليه.

غير أن هذين البحرين نقل نماذجهما كثيراً في الشعر العربي، ولهذا رفضهما الأخفش ، لأنهما لم يردا إلا في صورة بيت أو بيتين. ومثلهما كذلك الوزن الذي اكتشفه الأخفش وهو وزن المتدارك ، فلم يرو كذلك إلا في صورة بيت أو بيتين.

٣- محاولة بعض الشعراء استنباط أوزان جديدة من الدوائر العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد ، كما جاء في مقلوب بعض البحور.  
منها المستطيل: وهو مقلوب البحر الطويل ( مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن )

(١) ديوان أبي نواس : ط ١ ، بيروت: ص ٥١

(٢) أبي العلاء المعري: الفصول والغايات ، مطبعة حجازي ، القاهرة: ١٩٣٨م ، ص ١٣٢

الممتد: وهو مقلوب المديد ( فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن). ومنها أيضاً المتوفر والمنتد والمتسرد، والمطررد<sup>(١)</sup> مثل قول ابي العتاهية في عتبة فيما روى عنه ابن قتيبة يقول<sup>(٢)</sup>

عُتِبُ ما للخيالِ خبريني ومالي لا أراه أتاني زائراً مذ ليالي  
فهذا البيت وزنه (فاعلن فاعلاتن) مرتين على عكس وزن المديد وهو من الاوزان المهملة.

وهذه البحور في اصطلاح العروضيين تسمى بالبحور المهملة لندرة نماذجها، والجهل بقائلها، وللتعسف الشديد الذي يبدو في تركيب تفعيلات البحر، ولأن نماذجها في أغلبها بيت واحد، ويبدو أنها أثر من آثار الصنعة عند المتأخرين من أهل العروض<sup>(٣)</sup>

٥/ التجديد وأثره في القوافي:

رأينا عند القدماء التزام القافية الموحدة في الشعر ، ولم نعهد عندهم خروجاً علي نمط تلك القافية.

أما عند المحدثين في العصر العباسي الأول، فإذا كان العصر بواقعه الاجتماعي، وما ساد فيه من اللهو والمجون، وما شاع فيه من الغناء، قد أدى إلي محاولات التجديد في الأوزان، فقد أدى كل ذلك إلي الخروج عن النمط التقليدي للقافية وعدم الالتزام بقافية واحدة في القصيدة الواحدة ، فرأينا أنماطاً مختلفة من القافية. ولقد كان للتجديد أثره الواضح في مجال القافية حيث ظهر لوان من القافية في هذا العصر فهما:

أ- المزدوج:

وهو الذي لا تطرد قافيته في الأبيات ، بل يستقل كل بيت فيه بقافية مع اتفاق الشطرين في القافية ، ولكن دون التزام بتكرارها في سائر أبيات القصيدة،

(١) إبراهيم انيس: موسيقي الشعر، ص ٢٠٩ - ٢١٠

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ص ٧٦٦.

(١) إبراهيم انيس: موسيقي الشعر، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

وقد شاع هذا اللون في العصر العباسي الأول ، كمحاولة أولى للتخلص من نظام القافية التقليدي ، كما في أرجوزة أبي العتاهية (ذات الأمثال). التي تحدثنا عنها في المباحث السابقة، وكما في نظم أبان اللاحق كليلة ودمنة ، ويقول ابن النديم عن أبان: إن أكثر شعره مزدوج ومسّط. وبشر ابن المعتز إن أكثر شعره مزدوج ، ونجد من أوائل الذين كتبوا في هذا الضرب الجديد من القوافي محمد ابن إبراهيم الغزاري في نظمه التعليمي لعلم الفلك ((<sup>(١)</sup>)

شاع المزدوج في العصر العباسي، حتى نظم فيه غالبية شعراء العصر.

ومن المزدوج منظومة أبان اللاحق كتاب كليلة ودمنة ، وفيها يقول:

وهو الذي يدعي كليلة ودمنة	هذا كتاب أدب ومحنة
وهو كتاب وضعته الهند	فيه دلالات وفيه رشد
حكاية عن ألسن البهائم	فوصفوا آداب كل عالم
والسخفاء يشتهون هزله	فالحكماء يعرفون فضله
لذ علي اللسان عند اللفظ	وهو علي ذلك يسير الحفظ
في حب مذموم كان قد زالا	يا نفس لا تشارك الجهلاء
في طلب الدنيا ولا تمنى	يا نفسي لا تشقي ولا تغني

شاع هذا اللون في الشعر التعليمي الذي سبق الحديث عنه وفي فن

الحكمة، وفي الغزل، وفي الوصف ، وفي الخمر وغير ذلك.

وتطور الشعراء بالمزدوج إلي الرباعيات ، وهي تتكون من أربعة أشطر يتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة ، مع اختلاف المصراع الثالث عنها في قافية ، وقيل أن هذا اللون من القافية يقرب ببشار بن برد، كما ذهب إلي ذلك (بوهات فك) في كتابه " العربية" ومثل له هذا الرباعي لبشار<sup>(٢)</sup>

ربابة ربة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت

(٢) د/ محمد المصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، ص ٥٧٥

(٢) يوحان فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط القاهرة: ١٩٥١م ، ص ٩٨

وفيه أيضاً قول بشار: (١)

خاط لي عمرو قبا  
ليث عينيه سوا  
قلن بيتاً ليس يدري  
أمديح أم هجاء

ب) المسمط:

وهو عبارة عن قصائد تتكون من أدوار ، كل دور يتكون من أربعة أشطر أو خمسة، تتفق في قافية ما عدا الأخير منها ، وهو بمثابة عمود المسمط وخطبه الذي يدور عليه ويتفق كل دور في المسمط أو العمود مع الأعمدة الأخرى في القافية:

ومنه هذه الخمرية لأبي نواس وهي من المسمطات المربعة (٢)

سُلفُ دنَّ	كشمسي دَجَنَّ
كد مع جفن	كخمر عدن
طبيخ شمسي	كلون ورسى
ربيب خرس	حليف سجن
يستقيك ساق	علي اشتياق
إلي تلاق	بماء مزن
يا من لحاني	علي زمانى
اللهو شانى	فلا تلمنى

التجديد وأثره في أساليب الشعر:

لقد أصبح الشعر العربي في العصر العباسي يودى بأسلوبين متناقضين ، لكل منهما أنصاره ومريدوه، وهي حلقة من سلسلة حلقات الصراع بين القديم والجديد الذي شهده ذلك العصر. (٢)

(١) د/ محمد طاهر منصور : مقدمة ديوان بشار ، ج ١ ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠م ، ص ١٤.

(١) يوحان فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط القاهر: ١٩٥١م ، ص ٩٨

(٢) ديوان ابو نواس ص ٣٤٦ ، ط اسكندو اصافي المطبعة العمومية .



أ/ الأسلوب الأول: ( يتميز بحرية التعبير ، والصراحة في عرض الفكرة، والبعد عن التكلف والتصنيع ، واجتناب الغرابة اللفظية ، واستخدام اللغة الشعبية أو اللغة: التي يتفهمها أفراد الطبقة الشعبية في سهولة ويسر، والاعتماد علي الصور الشخصية التي يستقيما أفراد هذه الطبقة ويتذوقونها، والإكثار من الارتجال وانتشار المقطوعات، والحرص علي الوحدة الموضوعية، والتحرر من القوالب العروضية التي كان يميل إليها القدماء ، سواء أظهر هذا التجديد في صورة ميل إلي الأوزان لقصيرة والبحور المجزوءة أم أظهر في صورة خروج علي عروض الخليل، ثم ظهور [المزدوجة] لأول مرة في الشعر العربي عند حماد عجرد وعند أبي العتاهية.

ب/ أما الأسلوب الآخر: فإن أوضح خصائصه هي الصنعة والتقليد ، واستخدام اللغة: القديمة والصور البدوية ، والجنوح إلي الغرابة اللفظية ، والحرص علي القوالب العروضية التي كان القدماء يكثر من منها، واختفاء المقطوعة وظهور القصيدة الطويلة، وسلوك مسلك القدماء في افتتاح القصائد بمقدمات تقليدية والخروج منها أحيانا إلي وصف الناقة أو الرحلة ، ثم خلع الصفات القديمة علي الممدوح ، أو بعبارة أخرى ، الرجوع بالفن إلي المثل القديمة التي لا يصدر فيها الشاعر عن نفسه وإنما يصدر فيها عن الصنعة والمحاكاة<sup>(١)</sup> ويكفي أن ننظر في هذه القصيدة لمطيع بن إياس التي مدح أحد أحفاد خالد القسري في عصر المنصور<sup>(٢)</sup> لنتبين صورة من هذه الخصائص:

أمن آل ليلى عزمت البكورا      ولم تلق ليلى فتشفى الضميرا  
وقد كنت دهرك فيما خلا      لليلي ولجارات ليلى زؤورا  
ليالى أنت بها معجبٌ      تهيم إليها وتعصى الأميرا  
وإذا هي حوراء مثل الغزا      ل تبصرث في الطرف منها فتورا  
حيث نجده يبدوها بمقدمة غزلية يقلد فيها القدماء حين يستهلون قصائدهم  
بالنسيب.

(١) د/ يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة ، ص ٦٩٢-٦٩٣.

(٢) الأغاني ٨٩/١٢ (الساسى) نقلا عن يوسف خليف - تاريخ الشعر في الكوفة ص ٦٩٣

ونشير بوجه عام إلي أن الأساليب جنحت إلي السلاسة والرقّة وتخلصت من الخشونة والوعورة ، وكاد هذا اللين يميل بها إلي الضعف، ويهوي بها إلي الابتذال وهذا ما زهد العلماء من رجال اللغة والمحافظين في نتاج المحدثين، فأصبحوا لا يرونه إلا في خشية وحذر، ولا يرون فيه موضعاً لاحتجاج، واستشهاد، لولا أن تنبه أولئك المحدثون إلي ذلك الزهد في آدابهم فالتمسوا له الحلي والزينة التي يبدوا فيها كلامهم في هيئة فاتنة ، ومظهر خلاب يسحر الناس، ويدعوا إلي البحث في مظاهر الجدة والافتنان في هذا الكلام<sup>(١)</sup>.

وهكذا تبين لنا أيضاً أنّ التطور الذي أصاب العصر العباسي في كل جوانب الحياة ، وما ناله هذا العصر من الحظ الوفير والقسط الكبير في التحضر والعمران والثقافة والعلوم، كان لكل ذلك أثره في نهضة الشعر في أسلوبه وصياغته ، حيث اندفع الشعراء إلي التجديد في شكل القصيدة بما يناسب ذوقهم وذوق العصر الذي يعيشون فيه ، كما أخذوا يبتكرون في مجال المعاني والأخيلة، مما يستخدمونه من بيئتهم و واقعهم، حتى ظهر تغيير كبير في شكل القصيدة العباسية وفي كل عناصرها، كما بيّنا هنا، مما دفع أنصار القديم إلي الوقوف بشدة ضد هذا التيار الجديد الجارف.

وبهذا يحق أن يكون العصر العباسي هو العصر الذهبي للشعر العربي ، حيث بلغ فيه الشعر قمة ازدهاره ورقية أسلوباً وفكراً وصياغة. كما كان الشعراء مرآة تعكس صورة المجتمع العباسي بخيره وشره ، وجده وهزله. فأدي ذلك إلي وجود موضوعات جديدة في الشعر العباسي تواكب الحياة الجديدة وتعبر عنها أصدق تعبير ، كما أنه من خلال هذا البحث يتضح وبالنظر إلي خصائص الشعر الجديد التي عرضها لها ، والنظر في نتاج الشعراء في ذلك العصر ، نجد أن الشعر صار مذهبين متميزين وصار الشعراء طائفتين.

١- طائفة تحتذي القدماء ولا تجدد إلا بمقدار ما يتلائم مع الروح العربية ، فظلوا علي المنهج القديم والصياغة . القديمة ، ومن هؤلاء ، مروان ابن

(٢) د/ بدوي طبانة : دراسات في نقد الأدب العربي ، ص ٢٣٧-٢٣٨

أبي حفصة وأشجع السلمي ، وعلي بن الجهم ، ودعبل الخزاعي ، وابن الرومي والمنتبي في العصر العباسي الثاني:

٢- طائفة مالت إلي التجديد ، كبشار بن برد ، وابن هرمة ، والعتابي ، و أبي نواس ، ومسلم بن الوليد وغيرهم ممن تلاهم في العصر العباسي الثاني. وأظهر ذلك التميز في القرن الثالث وما بعده ، فالسابقون من المحدثون قرييون من القدماء ، وهؤلاء هم التيار التجديدي في العصر العباسي الأول. وأما الذين جاءوا بعدهم ، كأبي تمام وابن المعتز ، فقد بعدوا كثيراً من الصياغة التي جري الشعراء عليها في الجاهلية والإسلام<sup>(١)</sup>.

#### قيمة الجديد:

تكمن قيمة هذا الشعر الجديد في تأثيره في المجتمع ، وفي إمكانية انتشاره ووجود مساحة له في تلك الفترة التي كان الشعر القديم هو المسيطر في الساحة ، ومن خلال هذا البحث نلاحظ شيئاً من التطور والتغيير في شكل القصيدة ومضمونها ولكنه تطور فيه شيء من التقيد بأصول الشعر القديم، ولا يمكن أن يكون لهذا الشعر قيمة ما لم يكن مقبولاً في المجتمع وارتضاه الناس وتأثروا به، وهذا ما ينبغي أن نوضحه من خلال آراء النقاد في هذا الشعر الجديد وفي الشعراء الذين سلكوا هذا الطريق.

إن انتقال الشعر من البادية إلي الحاضرة لا بد أن يحدث هوة بين القدماء والمحدثين، وتأثر الشعر تأثراً طبيعياً بالبيئة كان لابد أن يزيد في تلك الهوة. فلم يكن بد من وجود بعض فروق بين الشعراء ، فروق فقط لا خلق جديد. فإذا نقلنا شعر نجد والحجاز إلي شواطئ دجلة ، واحتفظنا بأغراضه، ومناحيه، واختصر جهدنا علي تغيير بعض مظاهره، لم يكن لنا أن نعد هذا الشعر الحديث شعراً جديداً.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، طه ابراهيم ، ص ٩٦-٩٧

وإذا غالينا في المعاني وكان العرب يقتصدون، وأبعدنا في الاستعارة وكان العرب لا يقربون، وزخرفنا في الصياغة وكان العرب لا يزخرفون، فليس لنا أن نعدّ أنفسنا مجددين. فما التجديد إلا في الجوهر وما التجديد إلا في استبدال أصول الشعر القديم بأصول غيرها، فأما أن تحتفظ بالجواهر ونبذل في العرض فليس ذلك بشيء.

كان المحدثون يذمون القدماء وهم قدماء يحتذون أسلافهم في الأسلوب والأغراض الشعرية.

فالفن هو الفن، والأغراض والتشبيهات والاستعارات، كل أولئك مكرر معاد. لم يخلق المحدثون شيئاً، وإذا كانت هنالك فروق بينهم وبين القدماء فإنما ترجع إلي الألفاظ وحدها، لأنّ المحدثين غيروا ظاهر الشعر ليضعوا الأفكار القديمة في صياغة جديدة<sup>(١)</sup>.  
في المقدمة الشعرية:

" هم في الديباجة لم يزيدوا علي أن وضعوا في افتتاح قصائدهم شيئاً حضرياً مكان آخر بدوي ، ففكرة التقليد موجودة وإن كانت مستترة ، فاستبدالهم ديباجة أخرى ، وارتحال الشاعر راجلاً إلي الممدوح ليس شيء جليل الخطر، وكثير من الشعراء لم يرقهم هذا التبدل في نهج الشعر فظلوا كأنما يعيشون في البادية، وظلوا علي مذهب الأسلاف في ديباجتهم". فالديباجة القديمة لم تكن ملائمة، والديباجة الحديثة لم تكن لازمة وكتاهما لم يكن فيه نفع وجدوى، ولا سير بالشعر إلي الصالح المقبول<sup>(٢)</sup>.

في الصياغة الشعرية:

"غير المجددون بصياغتهم صورة الجديد ، وهذا التغيير في الصياغة، كان يستدعي تغييراً في الأفكار، غير أن هؤلاء أخذوا أفكار القدماء ومعانيهم وصاغوها صياغة تأبأها السليقة ويمجها المنطق.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٠٠-١٠١

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٠١

وهذا البديع الذي أخذ يستهويهم شيئاً فشيئاً ، مشي بالشعر إلي التعقيد ،  
وإلي جمود الطبع ، وانحباس النفس ، وإلي خضوع المعاني للألفاظ ، وأصبحت  
الأفكار أسري الجنس ، والإختباس والطباق وعشرات المحسنات ، ولذلك فإن  
التكلف أول ظاهرة في شعر المحدثين .

ويمكن لنا القول بأن الشعر العربي أصيب بشيء من السقم والهزال ، حيث  
ظهر المحدثون ، وتستطيع أن تري عند بشار وأبي نواس والحسين بن الضحاك ،  
نماذج من ضعف الشعر ، ونماذج من ضعف الأخلاق . فالمديح غداً فاتراً ، والهجاء  
أصبح مرزولاً كقول بشار في هجاء بني زيد<sup>(١)</sup> :

شهدت على الزيدى أن نساءه	ضياح إلى إير العقيلي تزفر <sup>(٢)</sup>
بلوت بني زيد فما في كبارهم	حلوم ولا في الأصغرين مطهر <sup>(٣)</sup>
فابلغ بني زيد وقل لسراتهم	وأن لم يكن فيهم سراة توقر <sup>(٤)</sup>
لأمكم الويلات إن قصائدى	صواعق منها منجد ومغور <sup>(٤)</sup>

كما نجد النسب خبث ومجن شعر اللهو والخمر علتة ليونة واسفاف .

لم يوفق الشعر العربي إلي تبدل في الكنه والجوهر ، فمنذ نضج قبل  
الإسلام ، وتجدد حاله ظل أسير هذا القالب ، ولم يستطع أن يتخلص منه مهما جدَّ  
فيه من الصور والأشكال .

وغني عن البيان ما كان في الحياة الاجتماعية في القرن الثاني من تنوع  
وتعدد ، واختلاف طبائع وأمزجة ، وغزارة فن وعلم ، ومتانة جدل وحوار ، ومن  
شأن ذلك أن يؤثر في الأدب تأثيراً بالغاً ، وأن يغير منحى الشعر ، فيتحلل من طابع

(١) الأغاني ١٩٨/٣-١٩٩ - الديوان ص ٣٤-٣٦ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) تذخر : تشهق من شدة الشوق - العقيلي بشار .

(٣) الحلوم : جمع حلیم أو الراجح العقل

(٤) المنجد : الذي يسكن أعلى الجبل - الغور - هو الوادي

القديم، ومن الشخصية ومن الروح الغنائية ، ويجاري الحياة الجديدة مجازاة حقيقية ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، وكانت ثورة أبي نواس علي القديم آخر ثورة وأخر إحساس بضرورة التجديد في الشعر ، وأخر مدي وصل إليه المجددون، وهي الثورة الوحيدة علي أصول الفن الشعري في كل عصور الأدب العربي ، ولم يكن من طبقات المحدثين فحولاً وضعافاً إلا أن يذلوا لطابع القديم، ويجمدوا علي ما كان<sup>(١)</sup>.  
في الموضوع الشعري:

" لو أننا استقرينا جميع أغراض الشعر في العصر العباسي الأول لم نجد فيها جديداً بالمعني الصحيح ، فالشعر ظل غنائياً لم يتغير نوعه، وأغراضه ظلت مديحاً وهجاءً ورتاءً وتحزباً ووصفاً. نعم إن الحياة الجديدة جاءت بالإكثار من شعر اللهو، والمجون والاستهتار بالشراب، وجاءت بالغزل بالمذكر، ووصف القصور والرياض، ولكن لذلك كله أصلاً في الشعر الجاهلي والإسلامي، وما هو جديد محض كالغزل بالمذكر ليس شيئاً ذا بال. وكل هذا ليس بجديد في الحقيقة ، وإنما هو مسaire الشعر للحياة الجديدة وتمشٍ معها في بعض صورها، وأن ظل في كنهه وجوهره علي ما كان عليه من قبل.

ليس إذا من غرض جديد ، ولا نوع جديد في الشعر العباسي، فالمحدثون احتذوا القدماء في نوع الشعر، وفي آفاقه ومراميه، مدحوا، وهجوا، ورثوا وانتصروا للعصبية، وتشبعوا للأحزاب، وقالوا في اللهو والخمر، وتلك كلها أمور قديمة<sup>(٢)</sup>.

يتبين من هذا أن جوهر الشعر في العصر العباسي لم يتغير، وأنه ظل علي موضوعاته وأغراضه التي عرفت عند القدماء، وأن التغييرات التي حدثت في ديباجة القصيدة ، وفي الصياغة وفي الموضوعات، لم تكن تغييرات كبيرة، ولم يكن معظمها بشيء ذي بال ، كما أنها لم تستطع أن تنسخ تقاليد الشعر القديم وخصائصه، فظلت موجودة في قلب العصر العباسي ، وظل كثير من الشعراء يحافظون عليها، ويتمسكون بها في أشعارهم ، وينسجون علي منوالها ، بينما

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٠١-١٠٣

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩١-٩٢.

كان المتوقع أن يحدث تغيير كبير في مجال الشعر ، بحكم التغيير الكبير الذي شهده العصر العباسي في جوانب الحياة المختلفة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن. وعلي الرغم من أن الشعر الحديث شعر الصنعة، والقديم شعر الطبع، وأن الشعر الحديث شعر الحضارة والقديم شعر البداوة ، وأن الحديث شعر الرقعة والسهولة والقديم شعر الجزالة والقوة والضخامة ، وأن الحديث شعر التآني والتثقيف والقديم شعر البديهة والارتحال علي الرغم من ذلك كله إلا أنها تغييرات شكلية يسيرة لا تمس جوهر الشعر ، ولم تغير من كنهه أو تحيله إلي كنه جديد. وهذا الذي ذهبنا إليه في بيان قيمة الجديد، الذي أتى به المحدثون في العصر العباسي ، لسنا بدعا فيه، فقد سبقنا إليه نقاد كثيرون من العرب وغيرهم ، شككوا في قيمة الجديد ، وانتهوا إلي أنه تجديد ظاهري انتهى بالمحدثين في العصر العباسي إلي البديع تارة ، ودقة الأسلوب تارة ثانية ، والمبالغات الشعرية تارة ثالثة، والإفراط في الصنعة تارة رابعة ، وكلها ظواهر فنية موجودة في شعر القدماء ، ولكن المحدثين توسعوا فيها وأكثروا منها ، فكل ما أتوا به من تغيير في الشكل له أصل في شعر القدماء ، وإذن فلا تجديد جوهري ، وإنما هو تطوير لما ظهر في شعر القدماء ، وتوسع فيه.

فهذا (فيليب حتى) ينتهي إلي هذا الرأي نفسه ، فيقول: ( كانت أشعار الجاهلية – وهي تمثل عصر البطولة في الشعر العربي – نموذجاً لشعراء العصر الأموي ، ثم قام شعراء العصر العباسي فاعتبروا الشعر الأموي من الأدب الكلاسيكي ، ولكن ظهرت في العصر العباسي بواعت جديدة حملت أرباب الشعر عن الانحراف عن هذا الأسلوب العرفي المدرسي ، فسلكوا في أشعارهم طرقاً جديدةً ، ومن هذه البواعث الحركة الدينية التي نشطها العصر العباسي ، والمؤثرات الثقافية والروحية والاجتماعية المنبعثة بالإكثار من حياة الفرس ، ثم الرعاية التي خص الخلفاء بها الشعراء، والصلات والعطايا التي انعموها عليهم.

ومع ذلك فقد ظل فن العريض أشدّ الفنون محافظة علي القديم، واستمر يفيض بروح البادية طوال العصور التي مر بها (١).

وهذا الرأي نجده عند الدكتور طه حسين أيضاً ، إذ يقول:

" كل ما عرف العرب من إختلاف في الشعر بين القدماء والمحدثين إختلاف اللفظ نشأة عنه مدرسة مسلم بن الوليد وغيره من أصحاب البديع، وإختلاف في المعني نشأت عنه مدرسة أبي نواس وغيره من الذين آثروا اللفظ القديم والمعني الجديد ولم يتكفوا بديعاً ..... وهو علي خطره لم يتغير الشعر في موضوعه ولا في صورته ولا في نوعه، ولم يتغير في لفظه ومعناه إلا تغييراً قليلاً جداً. بقيت القصيدة كما كانت معتمدة علي وحدة القافية والوزن غير معينة بوحده المعني. وبقي موضوع الشعر كما كان مدحاً وهجاءً ورتاءً ووصفاً وغزلاً ، وإنما تجددت هذه الموضوعات دون أن تتغير، ولم يكن تجدها جوهرياً ولا مطرداً (٢).

وإلي مثل هذا الرأي ذهب الدكتور أحمد أمين ، فقال : ( نعم حدث تغيير من دخول بعض الفنون الشعرية واصطبغها بصبغة الحياة الاجتماعية ونحو ذلك ، ولكنه تغيير خفيف لا يكاد يري بالمجهر (٣)).

وأنيس المقدسي يري أن المولدين (( لم يبتدعوا أساليب جديدة أو مواضيع جديدة تجوز لنا أن نقول : ((إن الشعر طراً عليه في أزمانهم تطور كبير (٤)) و بالرغم ما يشبه الإجماع علي هذا الراي بين النقاد والدارسين ، إلا أن الدكتور محمد مصطفى هدارة ، له رأي مخالف لهذا الرأي ، حيث راح يشكك في صحة هذا الرأي ، ويضعفه مستدلاً علي موقفه هذا بأدلة متعسفة ، لا تقوى حجته، ولا تدعم رأيه أن لم تنقضه من أساسه .

فقد راح يستشهد ببعض الشعراء الذين نزعوا إلي التجديد ، وبعض النماذج الشعرية علي التجديد ، ولم يغب هذا عن ذهننا ولا عن أذهان غيرنا، بالإضافة

(١) نقلا عن : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د/ هدارة ، ص ١٧٢-١٧٣.

(١) د/ طه حسين ، حديث الأربعة ج ٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص ٨ .

(٢) د/ أحمد أمين: ضحي الإسلام ، ج ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١م ، ٣٩٩.

(٣) د/ أنيس المقدسي : أمراء الشعر في العصر العباسي ، المطبعة الأمريكية ببيروت ، ص ٦٢.



إلي أنها نماذج تؤكد ما ذهبنا إليه ، وهو أن التغيير الذي حدث في الشعر العباسي في العصر الأول بالذات وما تلاه تغيير شكلي ظاهري طفيف لا أثر له في جوهر الشعر، ولا في كنهه.

كما أن الدكتور ناقض نفسه حتى انتهى إلي القول بأن التيار المحافظ كان قوياً وغالباً علي الشعر والشعراء في العصر العباسي ، وإن شعراءه كانوا كثيرين جداً ، لأنهم المحافظون والمجددون أيضاً ، الذين كانوا يعودون إلي المحافظة في كثير من نماذج شعرهم ، وراح يستدل علي قوة هذا التيار بأدلة مقنعة ، لا أدري كيف غابت عنه حين راح يؤكد علي التغيير الجوهرى الذي حدث في شعر العصر العباسي. يقول: (( ونحن مع إيماننا بقوة حركة التجديد التي ظهرت في القرن الثاني لا نستطيع أن نغفل قوة الشعر القديم ونفوذه في ذلك العصر، فقد ظل مسيطراً علي جانب من الحياة الأدبية فيه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي تقدم الحركة العلمية في الرواية والتدوين، وخاصة في اللغة وعلومها، وظهور علماء كبار مثل الأصمعي وابي عبيدة، وأبي زيد والفراء، والكسائي ومن يليهم. ولعلّ السبب أيضاً يرجع إلي التأثير القوى الذي كان لبيئة الكوفة العلمية، تلك التي كانت تعتمد علي الرواية والنقل، وقد جاءها هذا التأثير من ميل الخلفاء إلي منحها العلمي وإيثارهم علماء علي علماء البصرة حتى في تعليم أولادهم. يضاف إلي ذلك أن حركة الشعوبية في القرن الثاني استلزمت وجود حركة عربية مناوئة لها ، كان من أهم أسلحتها تأبيد التراث الأدبي القديم والحفاظ عليه<sup>(١)</sup>.

ثم راح بعد ذلك يثبت أن قوة التيار المحافظ في هذا العصر تتمثل في مظهرين : ( الأول خضوع الشعراء المجددين لهذا التيار في بعض أشعارهم وبخاصة شعر المديح ، لإرضاء الممدوح أولاً وإرضاء العلماء والرواة ثانياً، ولإثبات تمثلهم القوى للثقافة العربية القديمة ، وقدراتهم علي مجاراة النهج القديم في بعض الأحيان)).

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري ، ص ١٧٢.

وراح يمثل لهذا المظهر ببشار وأبي نواس، أما المظهر الآخر لقوة تيار الشعر التقليدي فيتضح في وجود شعراء محافظين يلتزمون عمود الشعر القديم ، ونهج القصيدة العربية القديمة في جميع شعرهم، ولا ينساقون وراء أي تجديد. وراح يمثل لهذا المظهر ببعض الشعراء المحافظين.

وينتهي الدكتور من هذا القول مرة أخرى بقوة التيار المجدد ، والتغيير الجوهرى الذي أحدثه شعراء العصر العباسي من تجديد في موضوعات الشعر، وفي شكله ، والذي أشار إليه في كتابه، عند حديثه عن الأغراض الشعرية، وشكل القصيدة وما حدث فيها من تغيير<sup>(١)</sup>.

والموضوعات الجديدة التي أشار إليها ، والتجديد الذي حدث في الصياغة والمضمون والأوزان ، وأشار إليه هو أيضاً ، كل ذلك لا يسمح له ولا لنا بالقول بأنه تغيير جوهري في الشعر علي نحو ما بينا هنا.

هذا بالإضافة إلي التناقض الواضح في رأيه ، مما يضعف هذا الرأي وينقضه من أساسه، وأن النماذج الشعرية التي أستشهد بها لشعراء التجديد تبدو فيها خصائص قديمة في بعض عناصرها.

ولذلك يمكن لنا القول بأن التغيير الجوهرى المنشود الواضح في الشعر العربى لم يحدث في أي عصر حتى في عصرنا الحديث، فالألفاظ، والعبارات، والصور، والمعاني، والأوزان ، والقوافي، والموضوعات، لا تزال تتردد وتعاد وتكرر عند الشعراء العرب في كل عصر من العصور من عصرنا الحديث، وكل الذي حدث إنما تغييرات طفيفة في بعض خصائص هذه العناصر لم تتغير من جوهر الشعر ولا حتى من شكله ، يعني ليس هنالك استبدال لأصول الشعر القديم باصول جديدة.

---

(١) اتجاهات الشعر العربى في القرن الثانى هجرى ، ص ١٧٢.

لكن ذلك لا يمنع من أن نثبت لشعراء العصر العباسي دورهم الرائد في مجال التجديد ، ولم ننسى لهم ما أحدثوه في الشعر من تغيير ثم محاولتهم في النهضة بالشعر من خلال ما أتيح لهم من بيئة صالحة لهذا الفن ، حيث عبروا عن واقعهم وعن مدى ارتباطهم بهذا الواقع والبيئة التي كانوا فيها، والصدور عنها في شعرهم شكلاً ومضموناً.

## المبحث الثاني: آراء النقاد وموقفهم من التجديد:

من خلال حديثنا عن التجديد ومظاهره ، وأسبابه في العصر العباسي الأول. يتبين لنا أن الشعر في العصر العباسي تطور وتجدد ، نتيجة المؤثرات والمتسجدات في الحياة العباسية ، والتي نتج عنها شعراء قالوا شعراً مواكباً للعصر الذي هم فيه مبتعدين عن الشعر التقليدي الذي ظل سائداً فترة من الزمن، أي أن الشعراء العباسيين واكبوا الحضارة ومتطلبات العصر وتركوا حياة البداوة والصحراء في اشعارهم. كما سنرى ذلك عند بشار وأبي نواس وأبي العتاهية كنماذج للمجددين في العصر الأول.

ولكن هذا التجديد في الشعر أعني في نمط القصيدة العربية لم يقابل بالقبول منذ الوهلة الأولى في المجتمع ، بل لابد أن يجد من يرفضه ويقفون ضده كما كان في العصور التالية للعصر الأول (( القرن الثاني للهجرة )) كذلك هناك من ارتضاه وقبله ، ولذلك انقسم النقاد إلي قسمين أي مذهبين كل منهما له رأيه وموقفه ، مذهب محافظ علي القديم متمسك به وبخصائصه ، وآخر مجدد مرتبط ببيئته وواقعه ، وصار في الأدب العربي نوعان من الشعر. بينهما تفاوت غير قليل في الصياغة والمعاني.

ولذلك كان لابد من وجود إختلاف بين النقاد منهم من آثر الجديد وارتضاه وأصبح يتمثله ، ومنهم من رفضه رفضاً شديداً ولم يقره ابداً بل عمل علي التقليل من شأنه وعدم إستحسانه ، وكان الإختلاف بين النقاد يتمثل في أيهما أحسن: الشعر القديم الجزل أم الشعر الحديث اللين؟ أشعر السليقة والوضوح أم شعر الصنعة والتعمل، وأخيراً أيهما أحسن ، أشعر البداوة والفطرة أم شعر الحضارة والتوليد؟

هذا الإنقسام الواضح في الشعر في العصر العباسي قابله أيضاً إنقسام في الحركة النقدية ، فوجدنا النقاد ، ومنهم علماء اللغة والنحو. وهم أكثرية النقاد يتعصبون للشعر القديم، ولم يمنعهم التعصب من أن تكون لهم بعض المواقف المنصفة ، التي أجبرهم عليها الجديد الجيد ، فراحوا يعترفون بالجيد لقديم كان أو محدث.

وهذا الإنقسام في الحركة النقدية أمام الشعر القديم والشعر الجديد كان سبباً من أسباب إزدهار وتطور النقد في العصر العباسي ، حيث بلور أسسه وقواعده ووضح الرؤية فيه.

أولاً: المتعصبون للشعر القديم:

نتناول هنا أولاً مواقف النقاد الذين تعصبوا للقديم بشدة، وازدروا الشعر الحديث، واستهجنوه، علي الرغم من جودة كثير من نماذجه، وهؤلاء فنات عدة، يأتي في مقدمتهم، الذين كانوا السبب الأول والمباشر في إثارة الخصومة وهم اللغويون والنحويون، ثم الفئة الثانية ويمثلها مجموعة من الشعراء الذين أظهروا تعصباً شديداً للقديم وسخروا من المجددين ، ثم الفئة الثالثة ، ومثلها بعض م يطلق عليهم لقب النقاد بدقة، وأظهروا أيضاً تعصباً للقديم.

١ - علماء اللغة والنحو:

" اخص الناس الذين كانوا يتعصبون للقدماء ، ولا يكادون يقرون بإحسان لمحدث هم النحويون واللغويون، لقد عرفنا أن هؤلاء كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب من البادية ، وكانوا مشغولين بجمع الشعر الجاهلي والإسلامي ، فحفظوه وألقوه وتمرنوا عليه منذ الشباب ن وأثر ذلك في أدواقهم ، فلم يحفلوا كثيراً باشعار المحدثين، كما كانوا مقتنعين بأن اللغة: العربية لغة صحراوية تزدهر في البداوة ، وتكمل بالجيرة العربية، وإن الإقامة في الحضر تفسد الملكة وتنقص البيان العربي منذ أن خرج العرب من شبه الجزيرة ، فهذا الشعر المحدث وليد الحضارة ولا يمكن أن يتمشي في كل شيء مع الروح العربية ، ولا مع الصياغة العربية، كما لا يمكن أن يخلو من اللحن في إعراب أو إشتقاق أو وزن، أضف إلي ذلك أمراً مهماً لديهم ، وهو حاجتهم إلي الشاهد في التدوين ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المحدث<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٨.

(أ) أبو عمرو بن العلاء<sup>(١)</sup>:

" شيخ العلماء وأسئمة ، كانت ذهنيته جاهلية ، وتعصبه شديداً للجاهليين ، فلا يري الشعر إلا لهم . ولا يري من بعدهم شيئاً ن وغالي في ذلك مغالاة صرفته إلي النظر إلي المتقدم بعين الجلالة ، لا لسبب إلا لأنه متأخر ، وحتى أقام الموازنة علي العصر لا علي الشعر فقال : " لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً . " وحتى قال في أشعار كبار الإسلاميين : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته .

ومن كان هذا شأنه مع الإسلاميين ، فأحري به الا يسلم بفضل لمولد<sup>(٢)</sup> .  
كان أبو عمر بن العلاء إمام اللغويين في التعصب للقديم الجاهلي ، ورفض الإعتراف حتى بأشعار كبار الإسلاميين ، ومع أن الحياة أمتدت به إلي منتصف القرن الثاني الهجري وأدرك الطبقة الأولى من المحدثين ، فقد ظلّ ولاءه للشعر الجاهلي وتفصيله إياه .

(ب) الأصمعي<sup>(٣)</sup>:

كان في الغالب يتعصب للقديم ويرفع من شأنه ، رغم أنه عاصر المجددين في العصر العباسي الأول ووقف علي أشعارهم ، وأنصفهم في بعض آرائه النقدية .  
" حكي عن اسحق بن إبراهيم الموصلي أنه قال منشداً الأصمعي :  
هل إلي نظرة إليك سبيل      فيبيل الصدى ويشفي الغليل  
إن ماقل منك يكثر عندي      وكثير ممن تحب القليل  
فقال : والله هذا الديباج الخسرواني ، لمن تنشدي؟ فقلت إنهما ليلتھما فقال : لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر<sup>(١)</sup> .

<sup>(١)</sup> عمرو بنعلة من جلد بني مالك من بني أدد من يشجب جدّ جاهلي ، بنوه ، كعب ، وعامر بن وجسر - الأعلام - الزركلي ج ٥ ص ٢٥٣ ، جمهرة الأنساب ص ٣٨٩ .

<sup>(٢)</sup> طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٨

<sup>(٣)</sup> هو أبو سعيد عبدالملك بن غريب الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني كما وصفه المبرد : توفي سنة ٢١٦ عن نحو ٨٨ سنة - الشعر والشعراء ابن قتيبة ص ٦٠ .

ولم يكن للحكم بفسادهما من علة سوى أن الأصمعي عرف أنهما لشاعر محدث ، ويويد ذلك حكمه ، بجودتهما قبل أن يعرف أنهما لإسحاق .

كان الأصمعي كأبي عمرو بن العلاء يتعصب للجاهليين ، ومما يروى في ذلك ما قاله أبو حاتم السجستاني ، أنه سأل الأصمعي " عن جرير والفرزدق والأخطل ، فقال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم اسلاميون بفضل جريرا علي الفرزدق كثيراً غير مرة ، فما تقول فيهما وفي الأخطل؟ فأطرق ساعة ثم أنشد بيتاً من قصيدته:

لعمري لقد أسريتُ لليلٍ عاجزٍ بساهمةِ الخدين طاويةِ القرب

فأنشد أبياتا زهاء العشرة ، ثم قال: من قال لك إن في الدنيا من قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه ، ثم قال:

أبو عمرو بن العلاء كان يفضلهُ ، سمعت أبا عمر بن العلاء يقول: (لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً واحداً. ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً. ثم قال أنشدت أبا عمرو بن العلاء شعراً له ، فقال: ما يطيق هذا من الإسلاميين أحد إلا الأخطل<sup>(٢)</sup> .

هذا يؤيد أن نظرة الأصمعي للشاعر الجيد نظرة مرتبطة بالإطار التاريخي الذي ولد فيه ، وعلي هذا الأساس لا يكون الشاعر فحلاً إلا إذا عاش فترة في الجاهلية ، ولذلك حرم الأخطل من التربع علي عرش الشعر العربي كله لمجرد أنه تخلف عن شهود حتى يوم واحد في الجاهلية ، فتلك نظرة ضيقة رفضها النقد العربي الذي تواتر مدة الأصمعي ، حيث أقام فلسفته في هذا العدد علي أساس من النظر إلي كل جوانب الظاهرة الإبداعية الفنية والتاريخية والبيئية ، ولم تقتصر علي الزمن التاريخي الذي ولد فيه الشاعر وبلا إختيار من اي لون .

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتبني وخصومه ، ص ٥٠ ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم . مطبعة عيسى إلياس الحلي ، القاهرة .

(٢) الأصمعي : فحولة الشعراء ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ٢٣-٢٤ .

وفي مقولة أخرى للأصمعي مما يرويه عنه أبو حاتم السجستاني يتعصب  
تعصباً شديداً للجاهليين ، فقد قال أبو حاتم ( وسألت الأصمعي: من أشعر؟ الراعي  
أم ابن مقبل؟ قال: ما أقربهما وقلت: لا يقتعنا هذا ، قال: الراعي أشبه شعراً  
بالقديم، وبالأول<sup>(١)</sup>).

فهو في البداية حاول أن يضرب بهما صفحاً، أو فنقل أنه حاول أن يوميئ  
إلي أنهما معاً يقعان في منطقة خلف الفحولة بلا تمييز ، ولكنه تحت إلهام أبي  
حاتم يقدم الأكثر إنتماءً منهما إلي صبغة شعر التراث القديم ، والأكثر مشابهة  
منها للأول. وهذا ما يؤكد إنتماء الأصمعي نفسه إلي الحس القديم ، ورفضه  
الإعتراف بغيره.

### (ج) خلف الأحمر<sup>(٢)</sup>:

أحد رواة الشعر القديم المتعصبين له ، الذين لا يرون فضيلة. لمحدث ،  
ويؤكد هذا موقعه من ابن مناذر ، أحد الشعراء العباسيين المتعصبين والمقلدين  
له، ورغم ذلك لم يسلم من نقد علماء اللغة ، لأنه لم يستطع ارضائهم بشعره  
والحصول علي حكمهم بجودة شعره ، ولم يستطع الإندماج في عصره ، ومعايشة  
واقعه الحضاري الجديد.

كان ابن مناذر من الشعراء الذين وجدوا أنفسهم مشدودين إلي الماضي  
يعيشون في تراثه أكثر مما يعيشون في حاضرهم ويستخدمون نفس وسائل  
التعبير التي استخدمها أسلافهم فكان معجب بالشعر القديم وفحول الشعراء  
القدامى.

حكي عنه الاصمعي قال: حضرنا مأدبة وابو محرز خلف الأحمر وأبن  
مناذر معنا ، فقال ابن مناذر لخلف: يا أبا محرز ، إن يكن أمرؤ القيس والنابغة  
وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري إلي شعرهم وأحكم فيه بالحق

(١) الأصمعي : فحولة الشعراء ،مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

(٢) هو خلف بن حيان الاحمر، قال أبو عبيدة: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة مات في حدود

سنة ١٨٠هـ ، الشعر والشعراء ص ٦١.



قال الأصمعي: فغضب يعني ابا محرز خلف، وأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمي بها عليه.

وهذا الصنيع من أبي محرز يعني أنه كان ينكر علي أبي منذر أن يتطلع إلي أولئك الفحول ، لأنه كان لا شك دونهم <sup>(١)</sup>. ويعني تعصب خلف الأحمر للقديم حتى أنه لم يعتمد بشعر شاعر كاتب منذر الذي كان يسير علي سنن القدماء وينتهج نهجهم ، وهذا يؤكد أن التعصب كان ضد المجددين في الشعر والمحدثين عامة: سواء في ذلك الذين مالوا إلي التجديد أو الذين حافظوا علي القديم.

د- ابن الإعرابي <sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٢٣١هـ:

أحد المتعصبين للقديم الذين كانوا يستهجنون الشعر الجديد ولو كان جيداً . ويعبر عن تعصبه للقديم فيقول: إنما أشعار هؤلاء المحدثين ، مثل ابي نواس وغيره. مثل المسك والعنبر كلما حركته إزداد طيباً. وأنشده رجل شعر لأبي نواس، وغيره مثل الريحان يعتم يوماً ويذوى فيلقى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته إزداد طيباً أنشده رجل شعراً لأبي نواس احسن فيه فسكت فقال له الرجل أما هذا من أحسن الشعر؟ قال: بلي ولكن القديم أحب إليّ منه <sup>(٣)</sup>.

وهذا موقف آخر لابن الإعرابي يدل علي تعصبه للقديم و استهجانه للشعر الجديد ، وعلي وجه الخصوص شعر أبي العتاهية الذي نزع فيه إلي السهولة. والين والقرب من الشعبية والعامية.

" فقد سأل ابن الأعرابي الراوية العلامة ابا برزة الأعرابي أحد بني قيس بن

ثعلبة : أيعجبك قول أبي العتاهية

الا يا عتْبة الساعة أموت الساعة الساعة

(١) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي ، الرؤية والفن ، ص ٣٢٢-٣٢٤.

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبدالله: راوية وناسب، علامة باللغة، من أهل الكوفة، كان أحول. قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرى عليه فيجيب من غير كتاب، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. مات بسامراء. وله تصانيف كثيرة منها أسماء الخيل: وفرسانها و"تاريخ القبائل" و "النوادر .. الخ" في الأدب وتفسير الأمثال. الزركلي - الأعلام ج ٦ ص ٣٦٥ الطبعة الثانية.

(٢) طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٩.

فقال: واليبه ما يعجبني. وفي رواية أخرى قال: الأعرابي لا والله ولكنّه يغمني<sup>(١)</sup>.

ولقد بلغ تسلط علماء اللغة وتعصبهم للقديم ، وتأثيرهم في ذوق الشعراء في هذا العصر حداً كبيراً ، مما دفع الخليل بن أحمد إلي مقولته المشهورة التي يتحدي بها الشعراء ، وهي قوله لا بن مناذر الشاعر: " إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة إن قرطتكم ورضيت قولكم نفعتم وإلا كسدتكم<sup>(٢)</sup>. وهذه المقولة تؤكد لنا إلي أي مدي كان تحكم علماء اللغة في حركة الإبداع الشعري في ذلك العصر ، وفي أشتهار الشارع وذيوع شعره أو خموله.

## ٢- الشعراء:

من شعراء العصر العباسي نفر تعصبوا للقديم تعصباً شديداً ونسجوا على منوالهم في شعره، وبرغم هذا فلم يحوزوا رضاء العلماء اللغة: عن شعرهم واستجابتهم له، ومن هؤلاء:

### أ- إسحق بن إبراهيم الموصلني<sup>(٣)</sup>:

كان يري أن بشار بن برد رائد التجديد في الشعر العباسي ، كثير التخليط، وأن شعره متفاون ، وإن مروان بن أبي حفصة ، أحد أنصار مذهب الأوائل في الشعر العباسي أفضل منه لأستواء شعره ، ولأن مذهبه يشبه مذاهب العرب. ولم يكن إسحق الموصلني يطعن علي بشار وحده ، بل كان كارهاً للمذهب كله ، كارهاً لشعر اصحابه ، ناصراً في كل أحواله الأوائل. لم يكن يعد أباً نواس شيئاً ، وكان يقول: ( هو كثير الأخطأ ، ليس علي طريق الشعراء ، وكلمه الرشيد

(٣) المرزباني : الموشح ، ص ٣٩٦

(١) الهيئة العامة المصيرية العامة والكتاب : الأغاني ، ص ١٨ ، ص ١٨٤

(٣) اسحق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلني، أبو محمد بن النديم: من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بالغناء وكان عالماً في اللغة والموسيقى والتاريخ، وعلوم الدين وعلما الكلام، راوياً للشعر حافظاً للاخبار شاعراً فارسي الأصل مولده ووفاته ببغداد عمى قبل موته بسنتين، خير الدين الزركلي - ج ١ ص ٢٨٣.

في طعنه علي ابي العتاهية فقال: يا أمير المؤمنين هو أطبع الناس ، ولكن ربما تحرف أي شيء من الشعر قوله:

هو الله هو الله ولكن يغفر الله.

هذا يعني أن اسحق الموصلي يسخر من سهولة شعر أبي العتاهية رغم أن هذه السهولة تعد من مظاهر التجديد في شعره الذي يميل إلي الشعبية في اللفظ. فأسحق أذن يظهر تعصبه للشعر القديم ومناهضته للشعر الجديد ، فقد كان شعره لا يرضي ذوق علماء اللغة: ولا يستحبونه كما مر بنا موفق الأصمعي من شعره.

(هـ) محمد بن منذر (... ١٩٨هـ / ... ٨١٣م)<sup>(١)</sup>:

شاعر عباسي كان من المتعصبين للقديم المقلدين له ، وبرغم ذلك لم يسلم من نقد علماء اللغة: وذلك اوقع نفسه بين التاريخ والواقع وقوعاً لا يحسد عليه ، فلم يستطع أرضاء علماء اللغة: بشعره ، والحصول علي الحكم بجودة شعره ، ولم يستطع الإندماج في عصره، ومعايشه واقعه الحضاري الجديد.

فابن منذر كان من الشعراء المتشدودين إلي الماضي الذين يعيشون في تراثه أكثر مما يعيشون حاضرهم ، فأشعاره وما روي عنه من أخبار تدل علي أنه كان ينظر دائماً إلي الوراء ، إلي فحول الشعراء القدامي كأمرئ القيس وزهير والنابغة وغيرهم، فيري في أولئك الفحول من شعراء الجاهلية مثله الأعلى في الشعر، فيجتهد في محاكاتهم في شعره، والتوقيع علي أوتارهم، وكان الخطأ الكبير من ابن منذر، أنه تصور انه بمحاكاته أولئك الفحول يستطيع أن يصبح مثلهم ، وما كان في وسعه ذلك كما أنه لم يستطع أن يندمج في تجربة عصره وواقعه الحضاري الجديد.

(١) محمد بن منذر اليربوعي بالولاء، أبو جعفر، شاعر كثير الأخبار والنوادر، كان من العلماء بالأدب واللغة، تفقه وروى الحديث، وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون، أصله من "عدن"، أو من "البصرة" ومنشأه وشهرته في الثانية، اتصل بالبرامكة ومدحهم ورآه الرشيد بعد نكبتهم، فأمر به أن يلطم ويسحب وأخرج من البصرة لهجائه أهلها. وذهب إلى مكة فتنسك ثم مات فيها. الزركلي - الأعلام ج ٧ ص ٣٣١.

ويؤكد لنا الحقيقة : ما جري من حوار بين الشاعر أبي العتاهية وابن  
مناذر، إذ يقول له أبو العتاهية، إن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤية فما صنعت  
شيئاً وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما آخذت ما أخذهم. أرأيت قولك:

ومن عاداك لاقى المرمرياً

(أي شيء المرمريسي؟) ففي تعليق أبي العتاهية هذا علي منحى ابن مناذر  
الشعري أدراك سليم لحقيقة أن محاكاة الأقدمين لن تضيف شيئاً ، وإن العصر  
يتطلب من الشاعر الذي يعيش فيه الأخلص له ، لا إلي أي عصر مضى<sup>(١)</sup>  
ويؤكد تعصب ابن المناذر للقديم هذا الحوار الذي دار بينه وبين أبي  
العتاهية حول شعر كل منهما.

" لقي ابن مناذر أبا العتاهية ، فقال له أبو العتاهية: وكم تقول في اليوم؟  
قال ربما قلت العشرين وأكثر ، وربما أقول خمسة أو ستة.

فقال له أبو العتاهية : لكن لو أشاء أن أقول ألف بيت لقلت ، قال ابن  
المناذر لأبي العتاهية: أنا أقول مثل قولتي:

هل لشيءٍ فات من مردودٍ أو لحي مؤملٍ من خلود<sup>(٢)</sup>

حتى أنشده القصيدة: وأنت تقول:

الا يا عتبه الساعة أموت الساعة الساعة

وتقول:

إن الدنيا قد غررتنا واستعلتنا واستلهتنا

لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا ما قدمنا

ولو رضيت أن أقول مثل ذلك لأكثر<sup>(٣)</sup>

ورغم تعصب ابن مناذر للقديم وعدم رضاه بالجديد من الشعر، فإن شعره  
لم يرض ذوق علماء اللغة ورواة الشعر القديم ولا يستجيدونه كما مر بنا موقف  
خلف الأحمر منه.

(١) د. عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٤.

(٢) مردود : فيه كسر.

(٣) المرزبانى : الموشح ، مرجع سابق ، ص ٣٩٦-٣٩٨.

(و) عقبة بن ربيعة بن العجاج (.... ١٤٥هـ / .... ٧٦٢م)<sup>(١)</sup>:

أحد أنصار القديم الذين كانوا ينحون باللائمة علي المجددين لأنهم لم يستطيعوا مجاراتهم في إجادة الأغراض التقليدية ، ولذلك لم يستطيعوا مجاراتهم في فن الرجز الذي أجاده عقبة وابوه وجده.

ومما يري في ذلك: ( أنَّ بشاراً حضر يوماً مجلس عقبة بن سلم الهنائي وحضر المجلس عقبة بن ربيعة بن العجاج ، الذي أنشد عقبة بن سلم أرجوزة بمدحه فيها ، فأحسن بشار محضره ، واقبل يستحسن بأرجوزته ، فلما فرغ من الشعر ألتفت إلي بشار وقال: يا أبا معاذ ، هذا طراز لا تحسنه أنت ولا نظراؤك، فغضب بشار وقال: إليّ تقول هذا؟ والله إني لأرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا علي عقبة بن سلم بأرجوزته الدالية التي يقول في مستهلها:

يا ظلُّ الحيِّ بذاتِ الضمِّدِ      باللهِ خبرٌ كيفَ كنتَ يعدي

وفيها يقول:

الحرُّ يلحى والعصا للعبد      وليس للملحفِ مثل الردِّ  
وصاحبِ كالدملِ الممدد      أرقبُ منه مثل يومِ الوردِ  
حملته في رقعة من جلدي      صبراً وتنزيها لما يؤدي

فأعجب به عقبة ، وقال لأبن ربيعة: "والله ما قلت أنت ولا أبوك ولا جدك مثل هذا. ووصل بشاراً وأجزل له العطية"<sup>(٢)</sup>

هكذا كانت الأوضاع تسير في العصر العباسي حيث، يتهم أنصار القديم المجددين بالعجز عن مجارة القديم وتقليده ، فيهب المجددون مدافعين عن أنفسهم بإظهار مقدرتهم علي الشعر التقليدي الذي ينحو منحى القدماء.

(١) ربيعة بن عبدالله العجاج بن ربيعة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أبو محمد، من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسن وله "ديوان رجز - ط" وفي الوفيات لما مات ربيعة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. الزركلي - الاعلام ج ٣ ص ٦٢.

(١) المرزباني: الموشح، مرجع سابق، ص ٥٥٦، وطبقات أبن المعتز، ص ٢٥-٢٦.

كان هناك بعض النقاد في العصر العباسي يتعصبون للقديم ، ولكن كان تعصبهم أقل حدة بكثير من علماء اللغة ورواة الشعر القديم، إذ كثيراً ما كانت تعود إليهم روح الإنصاف فيقدرون الجديد.

(أ) ابن سلام الجمحي " ١٥٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٦٧ - ٨٤٦ م" (١):

" من أقدم الآثار النقدية التي وصلت إلينا كتاب (طبقات الشعراء) الذي ألفه ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي ، الذي عاش في البصرة ، وعاصراً كثيراً من علماء اللغة ونحاتها ورواة أدبها وأخبارها فمن عاشوا في القرن الثاني الهجري في تلك البيئة التي اشتهرت بالمحققين من العلماء في صنوف الثقافة العربية" (٢) ويبدو أنه تأثر بذوق هؤلاء الذين تتلمذ عليهم فلم يذكر في طبقاته إلا الجاهلين والإسلاميين. فالمتأمل في كتابة يلاحظ أن ابن سلام الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري. لم يتصد لذكر الشعراء الذين عاصروه، كمروان بن أبي حفصة وأبي نواس وبشار ومسلم بن الوليد، وغيرهم، ولم يحاول أن يقسمهم طبقات كما فعل بالجاهليين والإسلاميين ، ولا أن يصرح برأيه في واحد منهم ، ولا تدر ما العلة في ذلك ، ولكن ربما كان في أسلوبه ما يوضح ذلك حيث إنه كان يستعين في تأليفه للطبقات ، ويستظهر على آرائه بأراء العلماء الذين يثق بهم، ويعتمد على آرائهم في شعراء قد قضوا نحبتهم، وأصبح تراثهم الشعري ملكاً للعلماء والنقاد يقولون فيه ما شاءوا ويتعصبون له ما شاء، فتأثر بهم، ووقف عندما وقفوا بالشعر القديم ، وتخير شعراء طبقاته من القدماء الذين تعصبوا لهم.

---

(١) محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبدالله إمام في الأدب، من أهل البصرة، مات ببغداد. له كتب منها "طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين" و "بيوتات العرب" و "غريب القرآن". الزركلي - الأعلام ج٧ ص ١٦ الطبعة الثانية.

(٢) د. بدوي طبانة : دراسات في النقد الأدبي العربي ، ص ١٥٩.

أما الشعراء الذين عاصروهم ابن سلام فلم تكن الأقوال فيهم قد تبلورت بعد، بحيث يعتمد عليها<sup>(١)</sup> كما لم يحصل هؤلاء الشعراء علي رضي العلماء والنقاد الذين تآثر ابن سلام بذوقهم النقدي.

(ب) ابن قتيبة:

لأبن قتيبة مجموعة آراء في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" تشهد بتعصبه للقديم ومطالبة المحدثين بالنسج علي منواله، من ذلك انه عرض لمنهج أهل الجاهلية في تقصيد القصيد فقال: (وسمعت<sup>(٢)</sup> بعض أهل الأدب بذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكي، وشكى، وخاطب الربيع، وأستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين، إذ كان نازلة العمدة<sup>(٣)</sup> في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه نازلة المدرة لانتجاعهم الكلاً، وانتقالهم عن ماء إلي ماء، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصباية والشوق، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي إصفاء الأسماع، لأن النسيب قريب من النفوس لأتط بالقلوب، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه لسبب، فإذا استوثق من الإصفاء إليه والإستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، وخل في شعره، وشكا النصب والسهر وسري الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه (قد) أوجب علي صاحبه حق الرجاء، وذمامة<sup>(٤)</sup> التأهيل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه علي المكافأة، وهزه للسماح، وفضله علي الأشياء، وضغّر في قدره الجزيل.

وهنا يعرض ابن قتيبة منهج أهل الجاهلية في تقصد القصيد، فيقرر أن الشاعر يبدأ بذكر الآثار والديار والدمن فيبكي عندها، ويستوقف الرفيق والركب عندها للبكاء، بذكر أحبته وأهله النازحين عن هذه الديار، ويصل الحديث بالوجد

(١) بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ص ١٧٨

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج ١، المقدمة ص ٨٠-٨٢

(٣) انازك العمر: هم أصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم

(٤) الذمامة: بفتح الذال وكرها: الحق والحرمة

والشوق إلي هؤلاء الأحبة والأهل ليستثير في نفوس مخاطبيه العطف عليه والميل إليه. فإذا نجح في استمالتهم كانت فرصة مهياًة لأن يقدم بين يدي مديحه ما لاقاه في رحلته من تعب ونصب وسهر، وما أصاب راحلته من هزال، في سبيل لقاء الممدوح الذي ينتظر الشعراء مكافأته ويرتقبون فواضله. ومن الواضح أن ابن قتيبة يعرض منهجه قصيدة المديح فلم نعتمد في غير المديح مثل هذا المنهج، وليس الشعر كله مديحاً حتى يقال " إن نمط الشعر الجاهلي كله هو هذا النمط.

ثم نجد أن ابن قتيبة يعلل لتوالي أقسام المنهج علي هذا الترتيب بعده، إمر منها ما يتصل بالبيئة الصحراوية وظروف معيشة الناس فيها. ومنها ما يتصل بالنفوس الإنسانية من مشاعر وعواطف. وبعد هذا يتني ابن قتيبة علي هذا المسلك الجاهلي في قصيدته ، ويعده جيداً وسليماً ، فيقول ((الشاعر المجيد من سلك هذا الأساليب ، وتجول بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب علي الشعراء، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس طمأ إلي المزيد<sup>(١)</sup>.

ودعا ابن قتيبة إلي ألتزام هذا المنهج وعدم الخروج عليه ، وبطريقته التقريرية حظر علي المتأخر من الشعراء أن يقف علي بنيان مشيد ، أو يتخذ غير الناقاة والبعير راحلة له ، أو يرد الماء الجاري، أو يقطع الريف دون الفلوات فيقول : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف علي المنزل الدائر والرسم العافي ، أو يرحل علي حمار ، أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا علي الناقاة والبعير ، أو يرد علي المياه العذاب الجواري ، لأن المتقدمين وردوا علي الأواجن الطوامي ، أو يقطع إلي الممدوح منابت النرجس والآسي الورد، لأن المتقدمين جروا علي قطع منابت الشيح والحنوة<sup>(٢)</sup> والعرارة<sup>(٣)</sup>.

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، دار المعارف ، مرجع سابق ، ص ٨٢.

(٢) الحنوة: بتفح الحاء : نبات طيب الرائحة.

(٣) العرارة نبات طيب الريح أيضاً يقال هو الذهب.



فأبن قتيبة يري أن نظام القصيدة الجاهلية هو النظام الأمثل والأحق أن يحتذي ، وقد فاته ، وهو الذي التصق للمحدثين ودعا إلي رواية شعرهم ، وذلك لأن منهج الجاهلية كان أقرب إلي طبيعة الناس والأشياء في الجاهلية فضلاً عن أنه منهج قصيدة المديح ، وليس الشعر كله مديحاً ولذلك يجب أن تحترم طبيعة الناس في كل زمان ومكان.

فأبن قتيبة في منهجه هذا يدعو إلي التمسك بهذا المنهج القديم ، ولكن نري أن فرض منهج ثابت علي الشعر والشاعر فيه عبئ كبير عليهما ، فالشعر مرده إلي الشعور وهو لا يخضع إلي المعيار العقلي المجرد الذي يصب الشعراء في قوالب واحدة ، وهو يعيش في الجو الصافي الطلق الذي يخلو من القيود ، وذلك من الأحسن أن ندع للشعراء قسطاً من الحرية في التناول والاسلوب .  
ولا نقصد التقليل من رأي هذا الناقد وهو معروف للجميع بآرائه . النقدية الصائبة ، ولكن أردنا أن نبين وجهة نظرنا في هذا الموضوع . من غير تزمّت وبوضوح .

ثانياً: مواقف منصفة:

بالرغم من التشدد الذي لازم علماء اللغة والنقاد للتمسك بالقديم إلا أن هناك بعض المنصفين المعتدلين في الحكم ، المحكمين لأذواقهم في الحكم علي الشعراء العباسيين وشعرهم ، فتجدهم يعجبون بالشعر الجديد ، ويضطربون له ويروونه في مجالسهم ، واصبح الجديد محل قبولهم واستحسانهم .  
ومنهم من عدل عن رأيه في الجديد ، وراح يشيعه بشعرائه ويخص علي رواية شعرهم ، وتناقل دواوينهم ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان معظم الشعر الحديث في هذا العصر جيداً بلا جدال ، ويستحق التنويه والإشادة ، ولا أدل علي ذلك من أعجابهم به ، واستجابتهم له قبل أن يعرفوا صاحبه . وسوف نعرض نماذجاً للشعراء لنوضح جودة ذلك الشعر ، ونظهر مدي أهميته شكلاً وموضوعاً .  
وسنقدم بعض المواقف التي تجلي فيها إنصافهم للجديد .

١ - أبو عمر بن العلاء:

يرى ديوان ذي الرمة ، ويختم به الشعراء الذين يحتج بشعرهم في النحو والغريب.

يختم الشعراء بشاعر أحدث وهو بشار بن برد ، وهو من مخزومي الدولتين الأموية والعباسية ورائد من رواد التجديد في العصر العباسي الأول، وعندما سأل عن أمدح بيت قالته العرب ، فقال الذي يقول:

لمستُ بكفي كفه أبتغي الغني ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغني أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وسئل من أهجي الناس؟ فقال الذي يقول:

رأيت السهلين استوى الجود فيهما

علي بُعد ذا من ذاك في حكم حاكم (١).

سُهَيْلُ بْنُ عَثْمَانَ بِجُودٍ بِمَا لَهُ

كما جاد بالوجعاً سُهَيْلُ بْنُ سَالِمٍ

وهذه الأبيات كلها لبشار، وأبو عمر بن العلاء أمتلاً إعجاباً ببشار، فهو

يظهر هذا الإعجاب عندنا يسأل عن أبداع الناس بيتاً فقال الذي يقول:

لم يُطلُّ ليلي ولكن لم أنم ونفي عني الكري طيفٌ ألم

روحي عني قليلاً وأعلمي إنني يا عبد من لحم ودم

فالناقد هنا يظهر مدي إعجابه بشاعر محدث مثل بشار بن برد ويضعه في

مرتبة عالية حيث وجد في شعره أمدح بيت وأهجي وأبداع بيت ، ومن هنا نحس

بالإطراء والإعجاب بالشعر الجديد من أبي عمر بن العلاء وإن كنا لا نجادل في ما

ذكره أبيات ناقده ، أي وازنة راجحه (٢).

٢ - خلف الأحمر:

ذكر الرواة أن بشاراً أنشد خلف الأحمر قصيدته في سلم ابن قتيبة:

بكرًا صاحبِيَّ قبلَ الهجير وإن ذاك النجاح في التبكير

(١) ديوان بشار بن برد: دار الكتب العالمية ، بيروت: ص ٤٣٩

(٢) د. محمد السعري : اتجاهات النقد الأدبي ، دار الطب ، المحمدية ، القاهرة : ١٩٧٠م، ص ٦٧

فلاحظ فيما إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك ، فقال له : بلغني أن سلماً يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه. وقال له خلف: لو قلت مكان (إن يتباصر ذلك النجاح في التكبير) (بكرًا فالنجاح في التكبير) كان أحسن. فأجابة بشارد: إنني بنيتها إعرابية وحشية فقلت: ( وإن ذاك النجاح) كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت: ( بكرًا فالنجاح) كان هذه من كلام المولدين لا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معني القصيدة ، فقام خلف، فقبله بين عينيه<sup>(١)</sup>. إعجابا بقصيدته تلك ، وهذا موقف من مواقف خلف المنصفة بالرغم من أن بشار من رواد التجديد ولكنه في هذه القصيدة نحا نحو القدماء فأعجب بها خلف.

٣- خلف الأحمر ويونس بن حبيب ( ٩٤ - ١٨٢هـ / ٧١٣ - ٧٩٨م)<sup>(٢)</sup>:  
من موافقهما المنصفة التي فضلا فيها شاعراً عباسياً علي شاعر قديم فحل هو الأعشي، تفضيلها قصيدة مروان في مدح الخليفة العباسي المهدي، والتي مطلعها:

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحِيَّ خَيَالِهَا      بِيضَاءِ تَخْلَطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا  
علي قصيدة الأعشي التي مطلعها:  
رحلت سمية غدوة أجمالها

والقصة كما يلي:

" كان من أثر بيئة مروان الأدبية ، وتحكم الناقد والنحاة بالشعراء ، أن أكثر مروان في الإستثناس بآراء بعض النحاة والنقاد والشعراء ليقولوا رأيهم في

---

(٢) د. شوقي الضيف: العصر العباسي الأول ، الأغاني ، ج٣، ط: دار الكتب ، ص١٩٠.  
(٢) يونس بن حبيب الضبي بالولاء أبو عبدالرحمن ويعرف بالنحوي. علامة بالأدب، كان امام نحاة البصرة في عصره، وهو من قرية "جبل" بفتح الجيم وضم الباء المشددة على دجلة بين بغداد وواسط. أعجمي الأصل، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة. قال ابن النديم: كانت حلقة بالبصرة ينتابها طلاب العلم وأهل الادب وفصحاء الاعراب ووفود البادية، وقال ابن قاضي شهبة: هو شيخ سيبويه الذي أكثر عنه النقل في كتابه. من كتبه "معان القرآن" و "النوادر" و "الامثال" و "اللغات". الزركلي - الأعلام ج٩ ص ٣٤٤.

شعره قبل أن يذيعه في الناس، " فهو حين أتم قصيدته اللامية المشهورة التي أولها:

طرفتك زائرة فحي خيالها      بيضاء تخلط بالجمال دلالها  
قصد خلفاً الأحمر وقال: ( أنشدك الله يا أبا محرز ألا نصحتني في شعري فإن  
الناس يخدعون في أشعارهم ثم أنشده قصيدته التي تقدم مطلعها.  
قال له خلف: أنت أشعر من الأعشي في قوله:  
رحلت سمية غدوة إجمالها.  
فقال له مروان : أتبلغ بي الأعشي هكذا؟ فقال الأحمر: ويحك أن الأعشي قال في  
قصيدته هذه:

فرميتُ غفلة عينه عن شأته      فأصبت حبة قلبها وطحالها  
والطحال ما دخل في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتك سليمة كلها، فقال  
مروان: إني إذا أردت أن أقول قصيدة رفعتها في حول: أقولها في أربعة أشهر،  
واتحلها في أربعة أشهر وأعرضها في أربعة أشهر.  
فمروان إذن يعزو سلامة قصيدته من اللحن الغث الرديء إلا أنه كان يهذب  
شعره ويتفقه.

ويبدو أن مروان أراد أن يتأكد من سلامة لغة هذه القصيدة ، وعدم  
خروجها عن القواعد النحوية ، فقصده حلقة يونس بن حبيب وقال: أصلحك الله  
إني أرى أقواماً يقولون الشعر ، لأن يكشف أحدهم عن سؤته فيمشي في الطريق  
أحسن منه من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعر أعرضه عليك ، فإن كان  
جيداً أظهرته وإن كان رديئاً سترته، وأنشده قصيدته السابقة، فقال يونس: يا  
هذا، إذهب وأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر من الأعشي في قوله:

رحلت سمية غدوة إجمالها  
فقال له مروان: قد سؤتني وسررتني ، فأما الذي سررتني فلارتضائك الشعر،  
وأما الذي سؤتني به فلتقديمك إياي علي الأعشي ، قال:  
فرميت غفلة عينه عن شأته      فأصبت حبة قلبها وطحالها  
والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده ، وأنت لم تقل ذلك.

فمروان علي سروره بسلامة شعره من الفساد اللغوي والخطأ النحوي،  
وعلي فرحه بخلو قصيدته من اللفظ الرديء والمعنى الفاسد. كان يعرف للشعراء  
مكانتهم الأدبية ويسوؤه أن يقدم علي شاعر كبير كالأعشي الذي حكم له مروان  
نفسه بأنه أشعر العرب في الجاهلية.

ولم يكتف مروان بما سمعه من رضا خلف الأحمر، واستحسان يونس  
النحوي لقصيدته اللامية، وإنما قصد بشار بن برد، وأنشده إياها فقال له بشار:  
أحسنت أشهر فيها من الأعشي في قصيدته التي رويتها.  
بذلك يكون مروان قد تثبت من تلاحم كلامه بعضه ببعض، من فصاحة  
لغته، ووضوح معناه، وقد حكم له بالفصاحة والكمال رآو ونحوى وشاعر<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - الأصمعي:

قد مرّ بنا أنه كان من المتعصبين بشدة للشعر القديم، كشيخه أبي عمرو  
بن العلاء، وخاصة شعر الجاهليين، وليس هذا بمستغرب منه كلغوي حيث  
اللغويين الكبار الذين كانوا يحرصون علي قوة اللغة: وفصاحتها وسلامتها،  
ولكن الغريب أن يرفض الشعر الحديث الذي جاء علي هذه الخصائص أيضا وليس  
الذي خرج عليها فحسب.

هذا الرجل كان يعاوده أحيانا روح الناقد المنصف واللغوي المعتدل،  
فيسجل إعجابه بابن هرمة، أحد مخزومي الدولتين الأموية والعباسية، الذي كان  
يختم به الشعراء، ويروى شعره، ويوثقه، حيث كان هذا الشعر يراجع علي  
روايته<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الموشح المرزباني ص ٧٥، طبعة دار النهضة مصر، الأغاني ج ١، ص ٨١-٨٢، دار الكتب ن خزانة  
الأدب، البغدادي ج ١، ص ١٦٥، المطبعة اللغة، مروان أبي حفصة وشعره، قحطان رشيد النحوي،  
ص ١٣٣-١٣٥.

(١) أبين المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٠.

ولا يلبث أن يختم الشعراء بشاعر أحدث وهو بشار<sup>(١)</sup>. الذي تتبع الأصمعي أخباره ، ومناسبات شعره يسجلها ويرويها. ويعلن إعجابه بقدرة ذلك الشاعر علي التشبيه ، بالرغم من ظروفه الخاصة التي كانت تمنعه من رؤية لأشياء ، ويوصفه بأنه يشبه الأشياء بعضها ببعض ، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله<sup>(٢)</sup>.  
مما يؤكد إنصاف الأصمعي أحياناً واستحبابه للشعر الجديد ، وبخاصة شعر بشار أحد رواد التجديد في العصر العباسي الأول ، موقفه التالي من شعر كل من مروان أبي حفصة المقلد ، وبشار بالمجدد.

فقد سأله أبو حاتم السجستاني: (عن بشارد ومروان أيهما أشعر؟ فأجاب "بشاراً أشعرهما، قال : وكيف ذلك؟ قال: لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه ، فلم يلحق بمن تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره، وأن بشار سلك طريقاً لم يسلكه أحد فأنفرد به، وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعره، وأقوى علي التعرف، وأغزر بديعاً ، ومروان أخذ بمسلك الأوائل<sup>(٣)</sup>".

هذه نظرة موضوعية ، وتعليل أدبي مقبول لأفضلية بشار علي مروان عند الأصمعي ، بثبتان إنصاف علماء اللغة في بعض الأحيان وتشجيعهم للجديد الجيد والمجددين، فهو يفضل بشاراً زعيم المجددين علي مروان زعيم المقلدين.  
وهذا علي خلاف مذهب اللغويين الذين تعصبوا للقديم علي الجديد ، ولمن هم علي طريقة القدماء ، وقد علمنا ، أن الأصمعي نفسه من الذين بعدت بهم العصبية في ذلك إلا أنه هنا ينصف الجديد ويشجع منه.

مهما يكن من شيء فقد رأينا الأصمعي يقدم بشاراً ويذكرهم من بواعث هذا التقديم تجديده، وأنه لم يذل لمذهب الأوائل، وأنه واسع البديع<sup>(٤)</sup>.

هذا دليل علي تنبه بعض علماء اللغة إلي فضل الابتكار والإبداع علي التقليد والإتباع ففضلوا الشاعر المجدد علي الشاعر المقلد ، و ذلك نقد يعد من

(٢) الأغاني : ج٣ ، طبعة دار الكتب ، ١٩٣٨م ، ص١٤٨.

(٣) المرجع نفسه ، ص١٤٢.

(٤) فحولة الشعراء ، الاصمعي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة الميزبية بالأزهر ، ١٩٥٣م.ص٣٧

(١) طه إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص٩٧.

أحدث وجوة النظر إلي الفن الأدبي، وهو الذي يبحث فيه عن شخصية الأديب،  
أل هذه الشخصية كيان مستقل؟، أم أنها سارت في طريق غيرها؟ ، حتى انقطع بها  
الطريق فتلاشت وفنيت<sup>(١)</sup>."

---

(٢) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص ١٣٥.

٥ - ابن قتيبة:

وهو الذي تعصب للقديم في موقفه السابق، نراه يعود إليه الإنصاف،  
وينتصف للمحدثين من علماء اللغة ، ويحاول قدر استطاعته أن يرفع قدر شعرهم.  
فهو يعلن في مقدمة كتابه أنه يعني بالجودة الفنية في شعر الشاعر متقدماً  
كان أو متأخراً ، ولذلك فهو يقدم من يستحق التقديم ولو كان من المتأخرين،  
ويؤخر من يستحق التأخير ولو كان من المتقدمين.

فهو يقرر أن " النص الأدبي ينبغي أن يقدر بمقدار ما حوي من عناصر  
الجمال التي تسمو به وتميزه من سواه، وصرف النظر عن سائر الاعتبارات  
الأخرى ، فلا ينظر إلي قائله ، ولا يقدر علي حسب صاحبه ، بل يكون الاستحسان  
والاستهجان مبنياً علي التذوق الشخصي ، وعدم التأثير بآراء الغير<sup>(١)</sup>.

فهو يقول: " ولم أسلك فيما ذكرته من كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو  
استحسن غيره، ولا نظرت إلي المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلي المتأخر  
منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل علي الفريقين وأعطيت كلاّ حظه  
، ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم  
قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في  
زمانه ، أو إنه رأي قائله<sup>(٢)</sup>.

في سبيل إنصاف المحدثين، لتجد أشعارهم طريقها إلي الرواية والحفظ  
وليجد لهم مكاناً لدى قومهم، يتجه ابن قتيبة وجه العدالة المجردة، حين يقرر أن  
في كل عصر وكل طبقة النابه والخامل ، فيقول: (ولم يقصر الله الشعر والعلم  
والبلاغة علي زمن دون زمن، ولا خص بها قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً  
مقسوماً بين عبادته في كل دهر، وجعل كل قديم جديداً في عصره، وكل شرف  
خارجياً في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثون ،  
وكان ابو عمر بن العلاء يقول: " لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت  
بروايته، ثم صار هؤلاء قداماء عندما بعد العهد منهم. وكذلك يكون من بعدهم لمن

(١) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص ١٣٥.

(٢) الشعر والشعراء : ج ١ ص ٦٨-٦٩.



بعدنا كالحزيمي والعتابي والحسن بن هاني وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرنا له ، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه، كما أنّ الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه<sup>(١)</sup>.

هذا الكلام كلام رجل يميل إلى التجديد ، ويدعو إلى النظرة المجردة من غير تأثر بنظرة الغير، التي اكتسبت قوامه ، حتى ردها الناس مع ما قد يكون في بعضها من أثر الجهل أو ضعف الذوق أو الصدى أو التحامل.

والذي يسمع هذا الكلام لا بد أن يعجب بأبي قتيبة ويثني عليه وعلي نزعته التجديدية ورغبته في تحرير النقد في أسباب التقليد فتح باب النقد الذي ينظر بنظرة فاحصة ومستقبلية إلى ما هو جديد والتعامل معه والميل إليه لأنه واقع ينبغي التعامل معه.

وفي سبيل هذا المبدأ تراه يفند آراء العلماء ، ولا يرضي منها إلا ما يستقيم مع فهمه وذوقه<sup>(٢)</sup>.

فهذه المقولات التي وردت في مقدمة كتاب " الشعر والشعراء " لأبن قتيبة ، وفي إطار حديثه حول قضية القديم والحديث نثبت نظرة ابن قتيبة الصائبة والموضوعية في الحكم علي الشعر والشعراء، وتظهر ثورته علي علماء اللغة الذين يتعصبون لكل ما هو قديم ن ويقومونه ولو كان رديئاً، يرفضون الشعر الحديث ويؤخرونه ولو كان جيداً ، وتثبت هذه المقولات أيضاً أنّ ابن قتيبة كان ينزع في نقده أحياناً منزعاً تجديدياً في نقده واتجاهه الأدبي . لقد تناول ابن قتيبة بشيء من الإنصاف والعدل ، والاعتدال في النظرة النقدية " الخصومة بين القدماء والمحدثين ، ولكن لا من ناحية المذهب الشعري وشرحه، وتفضيل أي المذهبين علي الآخر ، بل من ناحية بلاغة القول ، وجودة الكلام ورداعته، فلا بد أن تعلم أنّ كتاب الشعر والشعراء لأبن قتيبة يذكر المشهورين من الشعراء، إلي أوائل القرن الثالث يذكر مكانه وزمنه ومنزلته وقبيلته وصلة شعره بحياته، والحسن من

(١) المرجع نفسه: (الشعر والشعراء) ص ٦٩

(٢) د. بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، ص ١٣٥.

أخباره والجيد من قوله: وما أخذه عليه العلماء من الخطأ في الألفاظ والمعاني، والمعني الذي ابتدعه والذي أخذه من غيره.

وفي هذا الكتاب بعض المحدثين – كبشار والعتابي والنحوي والحسن ابن هاني، و مسلم بن الوليد، وأبن مناذر، ودعبل الخزاعي، وكم لاقى هؤلاء المحدثون من الطعن والتجريح، ولكنهم عند ابن قتيبة بمأمن من الظلم، فهو يحكم بين الشعريين لا بين العصرين، يثني علي المحدث المجدد إذا جاء الحسن، ويذم القديم إذا جاء بالرديء ، فلم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة علي زمن دون زمن ، ولا خص بها قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده<sup>(١)</sup>. وهذا هو الإنصاف الذي افتقد عند اللغويين ، والحق إنه بنظرة أبن قتيبة هذه يكون ميزان الحكم في قضية القديم والحديث قد اعتدل كثيراً. وأن التجديد أصبح واقعاً لا بد من الوقوف عنده حتى ولو كان في نطاق ضيق في مجال القصيدة العربية.

ولقد رأينا كيف قاوم اللغويون والنقاد والقراء الشعر الجديد في بدايته ، ورفضوه وتمسكوا بالقديم واعتبروا أنه شيءٌ مقدس يجب الحفاظ عليه ولا ينبغي الخروج عنه ، ولكن مع هذا التعصب ظهر بعض اللغويين والنقاد من وقف مع الشعر الجديد وأخذ بيد المجددين إلي أن أصبحت هذه الظاهرة جديرة بالاهتمام عند الكثير منهم.

### موقف اللغويين من الشعر الجديد:

لقد عرفنا أن اللغويين و النحويين كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء الأعراب ومن البادية، وكانوا مشغولين بجمع الشعر الجاهلي والإسلامي، فحفظوه وألقوه وتمرنوا عليه منذ الشباب، وأثر ذلك في أدواقهم، فلم يحفلوا كثيراً بأشعار المحدثين.

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ١٢١

وكم كانوا مقتنعين بأن اللغة العربية لغة صحراوية، تزدهر في البداوة وتكمل بالجزيرة العربية، وأن الإقامة في الحضر تفسد الملكة وتنقص البيان، وتجلب اللحن، وكان لديهم براهن علي ذلك مما شاب البيان العربي منذ خرج العرب من شبه الجزيرة ، وهذا الشعر المحدث وليد الحضارة ، ولا يمكن أن يتمشى في كل شيء مع الروح العربية ، كما لا يمكن أن يخلو من اللحن في إعراب أو إشتقاق أو وزن، أضف إلي ذلك أمراً مهماً جداً لديهم هو حاجتهم إلي الشاهد في التدوين ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المحدثون<sup>(١)</sup>.

تلك هي الأسباب التي دفعت اللغويين والنحويين إلي أن يقفوا من الشعر الجديد هذا الموقف الرفض له.

فهو موقف " قائم علي التقدم في العصر مستند إلي أسباب لغوية دون أن ينصرف إلي الأسباب الفنية في الشعر ، وعناصره وتصويره للحياة ، فلم يستطيعوا أن يتجردوا بعض الشيء من ماضيهم ، وأن يضعوا شعر إزاء شعر، وأن يوازنوا بينهما موازنة دقيقة ، تراعي فيها عناصر الفن ، ويراعي فيها اختلاف الزمن<sup>(٢)</sup>.

" إن المحدثين أرادوا أن يجلبوا الشعر بصورة للعصر فجودوا فيه، وأن اللغويين أنصار القدماء، والشعراء الذين يتخذون القدماء لم يحاسبوهم علي أنهم وقفوا أو أخفقوا، ولم يجادلوهم في كيف يكون الشعر صورة للعصر، ولم يناقشوهم في أصول الفن الشعري<sup>(٣)</sup>. وإنما جادلوهم فقط في أنهم أفسدوا الصياغة، وخرجوا علي طرائق القدماء في الشعر.

مما سبق نستطيع أن نوجز أسباب موقف اللغويين من الشعر الجديد:

١ - حرصهم علي فصاحة اللغة وسلامتها ، لأن هذا عملهم الأصلي الذي يقومون به ، ومن وجهة نظرهم أن هذه الخاصية تتوافر في شعر الأقدمين، ولهذا احتفلوا به وفضلوا أصحابه.

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٨

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٩

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠٤

٢ - حاجتهم إلى الشاهد الشعري في مجالات اللغة والنحو وغيرهما ، والشعر القديم يمدّهم بالشواهد اللازمة ، بينما يرون أن الشعر الحديث لا يصلح لهذا الاستشهاد.

٣ - تمرسهم علي قراءة الشعر القديم وحفظه وروايته، والخوض في شعرائه، وتحديد طبقاتهم، فسهل عليهم ولدّ لهم، وارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً، فهو يتردد كثيراً في مجالسهم وفي أحاديثهم وفي علومهم، فاختموا به، وفضلوه، بينما شعر المحدثين لم يقل مثل تلك الأمور، فكان غريباً في بيئتهم وأذواقهم فاستهجنوه ورفضوه.

٤ - شيوع اللحن والألفاظ المولدة والمعربة والألفاظ الأجنبية في شعر المحدثين، وهذا يضعفه عند قوم يمتنون سلامة اللغة وفصاحتها، ويكرهون أن تشيع فيها هذه الظواهر التي شاعت في لغة الشعر عند المحدثين، فانصرفوا عنهم، ولم يحفلوا بشعرهم.

٥ - شيوع الصنعة والبديع في شعر المحدثين، وهم قوم يميلون إلي الطبع والفطرة ، كما اعتادوا في القديم، ولهذا كان طبيعياً أن يميلوا إلي شعر القدماء ويفضلوه.

كان اللغويون يفضلون في الشعر القديم الجمال القائم علي الفطرة ، و النحو في الإبانة ، والوضوح وإرسال الكلام إرسالاً كما يوحي به الطبع<sup>(١)</sup>.

أما المحدثون فقد كانوا يعتقدون أن الجمال يتأتى بالزخرف في العبارة والتعميق، لذلك قاموا يفتشون في العبارات القديمة يظنون جميلاً، وتتبعوه، ووشحوا به شعرهم ، وحفلوا به وأكثروا منه ، واجتمع لهم من ذلك الجناس والطباق والاستعارة وغيرها من الأنواع التي وقع عليها اسم البديع<sup>(٢)</sup>.

أما الجمال في الشعر القديم من هذا الجانب ، فقد " كان الطبع قويا فيه وكانت عباراته إفصاحاً واضحاً عن خواطره ، يحقق ولا يبذل إلا إذا كان المعني

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٣-٩٤

(٢) المرجع نفسه ، ص ٩٤

يتطلب ذلك، ولا يغير شيئاً بشيء إلا إذا كانت فكرته تقوي بهذا التغيير ، فالمعاني هي التي تأثره وتحركه وتصوره (١).

٦- اعتقادهم بأن الحضارة تعد الملكة اللغوية ، وتنقض البيان، وتجلب اللحن، والشعر الحديث في معظمه شعر حضارة ، ولهذا رفضوه، وأنّ البداوة تؤدي إلي قوة اللغة وسلامتها وفصاحتها ، والشعر القديم في معظمه شعر بدابة ، ولهذا قبلوه وفضلوه وحفلوا به .

تلك هي أبرز الأسباب التي جعلت اللغويين في العصر العباسي الأول يقفون هذا الموقف من شعر المحدثين ، ذلك الموقف الرفض لهذا الشعر، المتعصب للقديم، وهي أسباب مقنعة ووجيهة ، تضع المتأمل فيها بأن اللغويين علي حق في هذا الموقف، ولكن الإنصاف يدفعنا إلي القول بأنهم تعصبوا كثيراً في هذا الموقف حيث رفضوا كل الشعر الحديث جملة وتفصيلاً ، حتى ما جاء منه محتدياً النمط الشعري القديم، حتى ما كان جيداً منه، فلئن كان الرفض يتوجه إلي بعض الشعر الحديث ، فإن من المغالاة والتعصب الشديد الأعمى أن يتوجه الرفض التام إلي مجموع الشعر الحديث، وبهذه الصورة التي وردت في مواقف اللغويين من الشعراء المحدثين وشعرهم.

هذا ما يمكن أن نقوله عن آراء النقاد في التجديد في العصر العباسي الأول، ولقد خصصنا اللغويين بشيء من التفصيل ، لأنهم أكثر النقاد تعصباً للقديم ورفضاً للجديد والمجددين في العصر العباسي الأول ، ونأمل أن نكون قد أظهرنا بعض الشيء مما كان مخفياً في مجال هذه الدراسة. وأوضحنا بعض الشيء مما يقوي ويزيد من قيمة هذا البحث عن ما أورده النقاد عن التجديد والمجددين وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول ، حيث شعرنا بالتطور الواضح في مجال الشعر عامة وفي موضوعاته بصفة خاصة. حيث لمسنا التغيير الذي طرأ علي القصيدة العربية عند بداية القرن لثاني والثالث ، في مجال الشكل والمضمون كما سنرى في شعر بشار بن برد و أبي نواس ، وأبي العتاهية هؤلاء الشعراء

(١) طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٩٤

الذين تجد التحديد واضحاً في شعرهم حيث نعدهم رواد هذا الاتجاه التجديدي في هذا العصر أن هناك مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وأبن هرمة، والعتابي وغيرهم ممن ساهم في إضافة أي جديد في شكل أو مضمون القصيدة العربية، ولقد رأينا من خلال الدراسة كيف كان التجديد في شكل القصيدة الجاهلية وفي مقدمتها بصفة خاصة، حيث ثار أبو نواس علي هذه الافتتاحية القديمة "الوقوف علي الأطلال" واستهل قصائده بوصف الخيل. ثم كان لبشار من قبله بصماته الواضحة في اختيار المعاني والصور الشعرية من خلال قصائده ثم مسلم بن الوليد وما أحدثه في القصيدة باستخدام البديع في كثير من قصائد ، وأبو العتاهية في أسلوبه السلس واستخدامه لأوزان شعرية جديدة ، وشمل التجديد والتطور أيضاً الموضوعات والأغراض في وصف الطبيعة الموضوعة باعتبارها من مظاهر الحضارة الجديدة ، ثم كان الرثاء للمدن والحيوان والطيور والتجديد الواضح في الأغراض كان عند أبي نواس في الغزل بالمذكر وغيره.

ولقد تعرفنا أيضاً إلي الأسباب التي أدت أو دعت للتجديد من قبل حيث فصلناها في عدة أسباب ، أجمالناها في عاملين اثنين هما:

١- التغيير الذي طرأ علي الحياة العباسية بالانتقال من حياة البداوة إلي الحضارة ، ومن خشونة العيش إلي رخاء النعمة ، هذا التطور أدي إلي نقلة سريعة للأدب وتطور تطوراً واضحاً في الأساليب والمعاني والألفاظ والأغراض

٢- التقارب اللغوي بين الشعراء العرب والموالي في المجتمع العباسي في العصر الأول.

حيث أصبحت الفصاحة أمراً غير طبيعي في مجتمع انتشرت فيه العناصر الأجنبية وتغلغت في مختلف ميادينه.

## الفصل الثالث نماذج من المجددين

المبحث الأول: التجديد عند بشار بن برد

المبحث الثاني : التجديد عند أبي نواس

المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية

## الفصل الثالث

### نماذج من المجددين

المبحث الأول: التجديد عند بشار بن برد في شعره:

لعل من المفيد حقاً ونحن نتناول التجديد في شعر بشار أن نلقي الضوء على بعض الجوانب المهمة في حياته الشعرية ، ونتعرض لبعض المؤشرات التي كان لها كبير الأثر في تكوين شاعريته التي استطاع بها أن يضع بصماته واضحة في مسيرة الشعر العربي ، بما أضافه من جديد في موضوعاته وشكله ومعناه وخياله، حيث يعد صاحب الخيوط الأولى البارزة في تيار الشعر العربي الحديث ، الذي انتشر في العصر العباسي ، ومن ثم يكتب الدارسون علي ديوانه عبارة " أبو المحدثين"<sup>(١)</sup>، من هو بشار؟.

بعض أخباره:

هو بشار بن برد بن بوجوح. كان جده من سبي المهلب ابن أبي صفرة<sup>(٢)</sup>. حيث كان والياً علي خراسان ، وأبوه " برد" كان طيئناً يضرب اللبن. وقد هجا حماد عجرد بشاراً بصناعة أبيه<sup>(٣)</sup>، وكان أبوه هذا أول الأمر في عداد رقيق (خيمة القشيرية) وقد زوجته مولاته هذه آمة رومية مملوكة لرجل من الأزدي فولد بشار رقيقاً ، ويقال مولى أم بشار الأزدي تزوج امرأة من بني عقيل، فقدّم الآمة الرومية أم بشاراً وولدها في صداق زوجته العقيلية، فأعتقت هذه الزوجة بشار وأمه، لأنه أثر في نفسها كون الوليد الصغير أعمى، ولذا كان ولاء بشار في بني

(١) ابن رشيقي: العمدة ، ط١، دار الجيل لبنان ، ج١، ص ٣١

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ١٢٩

(٣) نفسه: ص ١٣١



عقيل، وكانت أمه تسمى " غزاله" وكان له أخوان ، ويفيد الجاحظ أنهما كانا أخويه  
لأمه، ويُقال إن أحد أخويه كان أعرج والأخر ناقص اليد فهم ذرية " منوفة" (١).  
وكان بشار ذكياً أخذ يتعلم العربية يذهب به إلي مجالس العلماء والأدباء ،  
علي ذلك مرباه في بني عقيل ، كما أنه بحكم عاهته التي ولد بها لم يكن مهياً  
لتعليم صناعة أو حرفة غير التردد علي المساجد لطلب العلم ، وقد ظهر نبوغه في  
قول الشعر ، وكان المربد بالبصرة سوقاً للشعر وساحة للهجاء ، فكان أول غرض  
من أغراض الشعر يتعلق به بشار هو الهجاء، ويبدو أن الوسط الأدبي في المربد  
ليس هو وحده الذي وجهه بشاراً إلي حب الهجاء والتعلق به ، بل طبيعة بشار  
الغنيفة الغضوب المعتدية غير المحببة ، كان حب العداوات في طبعها سجية تلذ  
لها ، وكان الهجاء أوفق الأسلحة التي ترضيها ، ويقال أن والده كان يضربه  
بسبب تعرضه للناس، وكثرة شكواهم منه، وهو يقول لأبيه إن الله يقول (( ليس  
علي الأعمى حرج)) (٢). ويروي عن الأصمعي انه قال: " قال بشار الشعر وله  
عشر سنين، فما بلغ الحلم إلا وهو مخشي معرة اللسان بالبصرة. قال : وكان  
يقول: هجوت جريراً واستصغرت وأعرض عني ، ولو أجابني لكنت أشعر أهل  
زمانى" (٣). وفيما يروي صاحب العمدة يقول: " ...لم أهجه لأغلبه ، ولكن  
ليجيبني فأكون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر الناس" (٤).

وقد رغب بشار في أن يكون متمكناً من العربية خبيراً بها فيمم نحو البادية  
ليكون ذا باع في اللغة مشهوراً له بتمكنه وإقذاره. وكان بشار ضخماً عظيم  
الخلقة مجدور الوجه طويلاً ، جاحظ المقلتين ، يغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح  
الناس عمي ومنظراً، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنح وبصق عن يمينه  
وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب (٥). ويقال أن بشاراً كان نظيفاً في ملبسه ، وكان

(١) محمد طاهر عاشور: ديوان بشار ، ص ٧-٨

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ - سورةالنور آية ٦١ ص  
٣٥٨.

(٣) نفسه ، ص ١٣٨

(٤) ابن رشيق: العمدة ، ج ١، ص ١١٠

(٥) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ١٣٥

ذا طابع خاص في اختيار لباسه ليسهل عليه ارتداؤه ، وكان أخواه كما سبق القول قصابين، وكان يدين لهما بأنهما أغنياه عن التكسب بالشعر والتعرض للملوك<sup>(١)</sup>. في مطلع حياته، ولذا كان عطوفا عليهما، وكان بدورهما يعمدان لملابسه النظيفة ويرتديانها دون إذن منه فيصيبها التلوث والاتساخ فتفوح منها رائحة كريهة، وكان يلبس ملابس متسخة فقليل له ما هذا يا أبا معاذ؟ قال : هذه صلة الرحم<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان بشار قبيح المنظر والأخلاق معاً حيث لم يكن مهذباً، بل كان ينقاد لكل نزعاته السيئة، كان يري الهجاء المؤلم أخذ بضبع<sup>(٣)</sup>، الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام علي المديح فاليستعد للفقر، وإلا فاليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطي<sup>(٤)</sup>.

وكان بشار شديد الاعتناء بنفسه وشديد الغرور بها ، يروي أن رجلاً قال لبشار ، أني أنشدت فلانا قولك:

إذا أنت لم تشرب مراراً علي الغذي ظمنت وأي الناس تصفو مشاربه؟  
فقال المستمع ما كنت أظن هذا البيت إلا لرجل كبير مجرب ، فقال بشار لمن حكي له: ويلك أما قالت له : هو والله أكبر الجن والأنس<sup>(٥)</sup>. ولما استيقظت في بشار مواهبه الشعرية أخذ بغدو علي المربد ، فيستمع للفرزدق و جرير وأضرابهما ، وتعرض لجرير يريد أن يرد عليه ليشتهر ولكنه لم يآبه له. وظل يعاني بهذا الغناء في الهجاء ، وحتى يقال إنه كان سبب حتفه<sup>(٦)</sup>. ثم أخذ بشار يجالس علماء الكلام. فكان يصحب واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة ، واعدة ذلك لأن يتصل بآراء الزنادقة التي كان يرد عليها واصل وغيره من المتكلمين ، كما أعده لكي يعرف شيئاً عن منطق اليونان وفلسفتهم مما تسرب إلي تلك الجماعة.

(١) محمد طاهر عاشور: ديوان بشار ، ص٧-٨

(٢) الأغاني : ج٣ ، ص٢٠٨ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص٦١

(٣) الضبع: الكنف والناصة : يريد العضد

(٤) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج٣ ، ص٢٠٢

(٥) نفسه ، ص ١٤٨

(٦) نفسه ، ص٢٤٥.

ثم أظهر بشار زندقته حتى أباح واصل دمه ، ثم هرب إلي البصرة ومدح سليمان بن هاشم بن عبد الله ، ثم مدح القيسيين لأن ولاءه كان لقيس المضربة ، ولما قامت الدولة العباسية عاد إلي البصرة ، وقد عاد تأثراً ، شاعراً كأن الدنيا أقبلت عليه ، وأخذ يمدح العباسيين وخاصة المهدي ، ولكنه كان يتغزل بشعره وفيه شيء من الرفث وأنه يصرح فيه بأشياء تفسد الشباب فنهاه المهدي عن ذلك الغزل ويشكو في شعره من هذا النهي كثيراً ، ولا تلبس الأخبار أن تتواتر علي سمع المهدي بزندقته، فيأمر بقتله ، يقول ابن المعتز : " وقيل: بل قيل للمهدي إنه يهجو فقتله ، والذي صح من الأخبار في قتل بشار أنه كان يمدح المهدي، والمهدي يُنعم عليه. فرُمي بالزندقة ، فقتله ، قيل: ضربه بسبعين سوطاً ، فمات، وقيل: بل ضرب عنقه ، وكانت وفاته سنة سبع وقيل ثمان وستين و مئة(١).

وواضح أن عوامل متشابكة أثرت في شخصية بشار الأدبية فقد كان مولي، وكان يحس بعمق أنه قن بن قن، وأنه من أسرة فقيرة مختلفة في المجتمع، فانطوي علي مرارة ولدت فيه ميلاً قوياً إلي العدوان، فقد ورث عن جنسه الفارسي مزاجاً حاداً. واندفاعاً شديداً نحو المتع الحسية.

يمكن لنا أن نحصر العوامل التي أثرت في شاعريته في عاملين هما: آفة العمى التي لازمته منذ صغره والشعوبية التي عمل من أجلها وأظهرها كثيراً في شعره ، حيث يمكن أن نقول إن هذين العاملين قد أثرا في شاعريته كثيراً، حيث ولدا فيه المعاني القوية والخيال الخصب والتصوير البديع الرائع. وسوف نتعرض لهما بشيء من التفصيل لنتبين أثرهما في التجديد في شعره.

آفة العمى في حياة بشار وأثرها في فنه الشعري:-

من المؤكد أن كثيراً من الأدباء قد ابتلوا بعاهاة مختلفة منذ ولادتهم وصغرهم فأصبحت هذه العاهة سبباً في تفوقهم في مجاله سواء كان شاعراً أو

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٢١

أدبياً كاتباً، كما كان طه حسين لذي يعتبر علماً من أعلام الفكر العربي ، حيث حول هذه العاهة إلي طاقة إبداعية ، ووظفها توظيفاً تلاشت عنده تماماً وأصبح يعيش حياة عادية، وكذلك بشار كان يمكن أن يوظف هذه الآفة. ويكسب بها حب الناس وعطفهم، يقول الدكتور طه حسين : " قد كان من المعقول أن تكون العاهة التي ابتلي بها بشار مصدراً لحب الناس إياه وعطفهم عليه ورفقهم به، لو أن بشاراً عرف كيف يتلقى هذه الآفة، وكيف يحتملها، وكيف يعرف مكانته منها، ولكن من البائسين من يجعل الله البؤس مصدر النعمة منهم، والسخط عليهم لأنهم يئسون احتمال هذا البؤس أو يضعونه في غير موضعه ، أصاب الله بشاراً بهذه الآفة ولكنه أساء الانتفاع بذكائه وحدة ذهنه فأصبح بغيضاً إلي الناس مذموماً عندهم ، ثقيلاً عليهم"<sup>(١)</sup>.

ولم يقف الأمر ببشار عند سخطه علي آفته بل تجاوز ذلك إلي الاستعلاء والتمدح بها ومن أمثلة ذلك قوله:

عَمِيَتْ جَنِيناً وَالذُّكَاءَ مِنَ الْعَمَى      فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَعْقِلاً  
وغازضَ ضياءَ العينِ للقلبِ فاغتدي      بقلبِ إذا ما ضيَّعَ الناسَ حصلاً  
وشعرٌ كنورِ الروضِ لآءمت بينه      بقولِ إذا ما أحرزَ الشعرَ أسهلاً<sup>(١)</sup>

وأيضاً فإن هذه الآفة شكلت رؤيته الفنية والإبداعية ، لأنه كان يعمد إلي بعض الصور الفنية التي يريد أن يظهر بها براعته الفنية التي تفوق براعة المبصرين ، فيستخدم كل ما أوتي من طاقة إبداعية كامنة داخله ليعبر عن الشيء الذي يريد قوله بألفاظ ومعانٍ وخيالٍ يفوق خيال المبصرين، من ذلك:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا      وأسيفنا ليلٌ تهاوى كواكبهِ<sup>(٢)</sup>.

بل أنه يكثر في شعره من حديث المبصرين ، ويستخدم خياله الخصب الذي تميز به وجعله في طليعة المجددين في الشعر في هذا العصر ، وفي ديوانه نجد أشعاراً كثيرة استخدم فيها حاسة البصر التي يفتقدها مثل قوله<sup>(٣)</sup>.

(١) د. طه حسين : حديث الأربعاء ، ط ١٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٨.

(٢) الديوان ، دار الكتب للطباعة، بيروت: ص ٥٧٧-٥٧٨.

(٣) نفسه ص ٢٠٨.

يا منظرًا حسنًا رأيتُهُ من وجهه جاريةً فديتةً  
أبيت أرمداً ما لم اكتحلُ بكم وفي اكتحالي بكم شاف من الرمد  
وقوله<sup>(١)</sup>.

واحور محسود علي حسن وجهه يزين السموط نحره وترائبه  
وقوله<sup>(٢)</sup>.

حوراء أن نظرت إليـ ك سقتك بالعينين خمرا  
وكان رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا  
وكان تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحر

وأكثر من ذلك تراه يواجه الاعتراض علي استخدامه أسلوب المبصرين، في  
التصوير والتخيل والإحساس، حيث يقول<sup>(٣)</sup>.

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا  
قالوا بمن تـري تهذي؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ماكانا  
ويقول أيضاً متحدياً آفته<sup>(٤)</sup>.

عجبتُ فطمة من نعني لها وهل يجيد النعت مكفوف البصر  
الذي يتأمل هذه النماذج الشعرية يجد أن بشاراً قد أبدع في نظمها مستخدماً  
ملكته الفطرية من خيال ودقة وحس مرهف ، ولذلك صاغ شعراً يفوق شعر  
المبصرين. ولعل هذه الصور والمعاني التي تطرق لها والوسائل التي استخدمها  
تدخل في باب التجديد في شعره وتعكس الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها في  
العصر العباسي من ترف ونعيم وتحضر في كل جوانب الحياة.

وهذه الآفة قد كان لها أكبر الأثر في شعر الهجاء عنده لأنها شكلت  
شخصية الهجاء عنده، لما يحثه من سخط وتبرم ونفور في مخالطة المجتمع، في  
كثير من الأحيان، مما أدى به إلي الجنوح لقول الشعر الوقح الذي يخرج عن

(١) نفسه ص ٣٣٦

(٢) الديوان : ص ١٤١-١٤٨

(٣) نفسه ، ص ٥٢٧-٥٢٨

(٤) نفسه ، ص ٦٠٧

الآداب والأعراف، حيث يتناول أعراض الناس بأقبح وأحط ألفاظ السباب، وكذلك لم يكن شعر الغزل عنده إلا أوضح الأسباب في تأثير هذه الآفة عليه، حيث لجأ إلي الشعر الحسي الفاضح حيث تغزل في المرأة في أخص الأماكن فيها من غير التزام بأدنى خلق ومراعاة الشعور العام. وكل ذلك سببه شعوره بأنه خسر المرأة مرتين، الأولى حين حُرِم التمتع بحسن مرآها، والثانية حين حُرِم من ثنائها عليه وإعجابها بمنظره الحسن.

مع ذلك فإن له مواقف لا تخلو من طرفافة ونحو من ذلك ما يروييه صاحب الأغاني، حيث يقول علي لسان راو: " كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يفهمه ولا يفهم، فأخذ بيده وقام يقوده إلي منزل الرجل وهو يقول:

أعمي يقود بصيراً لا أبالكم      قد ضلّ من كانت العُميان تهديه

حتى صار به إلي منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله يا أعمي<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك فإن بشار كان شديد الشعور بآفة العمى فقد حكي أنه سأل صائغاً أن يصنع له جاماً<sup>(٢)</sup>. فيه صورة طيور تطير فلما وافاه الصائغ بمظلة، سأله بشار هل رسمت فوق هذه الطيور طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها، فقال الرجل: لم أعلم ذلك فقال بشار: بل قد علمت، ولكن علمت أنني أعمي لا أبصر شيئاً<sup>(٣)</sup>.

من هذا يتضح لنا أن هذه الآفة التي ألمت ببشار كان لها الأثر في فنه الشعري، كما كانت أحد العوامل المهمة في تكوين ملكة الشعر عنده والتجديد فيه.

شعوبية بشار:

الذي يقرأ كتاب الأغاني وديوان بشار يجد أخباراً وأشعاراً تتصل بشعوبيته تارة وولائه للعرب ومزجه لهم تارة أخرى.

(١) الأغاني: لأبي فرج الأصفهاني، ط، الثقافة، بيروت ج ٣، ص ٢٠٢

(٢) الجام: إناء للشراب أو الطعام من فضة أو نحوها

(٣) المازن: بشار بن برد، دار الشعب، ص ٢١.

وقضية الشعوبية في التاريخ عامة، وفي التاريخ العربي في العصور الإسلامية بعد الفتوحات الواسعة قضية إنسانية إلى جانب كونها سياسية، ولها في الدول الإسلامية جانب ديني يضاف إلى بعدها الإنساني والسياسي.

ذلك إن الشعوب التي تدخل في حوزة دولة أخرى بالفتوحات لابد وأن تتطلع إلى سيادة نفسها والي الترقب لساعة الخلاص، ولا يمكن لأي فكر إنساني أن ينكر علي الأفراد والجماعات داخل الدولة المقهورة ذلك الحق ، بل إن كل فكر إنساني منصف ينكر عليها تنكرها في إخلاصها لقوميتها واستغلالها بعطفها ، حتى إذا أنخرط أبناء الدولة المغلوبة في شعب الدولة الغالبة ، واخلصوا في هذا التداخل وذلك الإدماج ، فإن ذلك لا يمثل حبههم للعنصر الجديد وتفضيله علي أصلهم ، فإذا أعتدي أحد من أفراد الشعب الغالب علي أحد من أفراد الشعب المغلوب ، فلا بد للمغلوب أن يدافع عن نفسه ولا ينكر عليه أحد ثورته. لكن للمسألة بعداً، أخر في ظل الدولة الإسلامية إذا كانت هي الغالبة ، ذلك أن الإسلام كدين سماوي له شريعته الإلهية المحكمة ، التي لم تترك للبشر حكماً أو محكومين التصرف في الأصول العامة للعلاقات الإنسانية ، بل شرّعت لكل العلاقات تشريعات دينية ودينية تحكمها وهي تشريعات صالحة في كل الأزمنة والأمكنة وغير قابلة للتغيير.

والإسلام بالنسبة للدول المغلوبة تناول حقوق أهل الذمة وهم الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية ، وقرر تأمينهم فيما يتصل بعباداتهم وعقائدهم، وحول الدولة مسئولة عن رعايتهم في الشؤون الدنيوية مثل رعاية المسلمين. وحقهم في ذمة الجماعة المسلمة ، وهذا يعني عدم ظلمهم ومساواتهم مع المسلمين، مقابل جزية يدفعونها من أجل حمايتهم من المسلمين.

وفي ظل الإسلام فإنه لا يحق لمسلم أن يفتخر علي غيره من خلق الله مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

إن الإسلام قطع دابر العنصرية وتصدي لها بإغلاق الطريق عليها بوضوح وحسم بلغ العنف أحياناً في تأديب الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه الذين اخطأوا و لجأوا إلي العنصرية واتخذوها سلاحاً للمساس ببعض إخوانهم المسلمين مثل بلال رضي الله عنه.

من كل هذا يتضح أن دفاع فرد من الشعوب المغلوبة عن أصله وجنسه واعتزازه بها أمر لا ينكر عليه علي المستوي الإنساني ، أما علي المستوي الديني في ظل الإسلام فإنه لا يوجد أصلاً فكرة العنصرية بين الجماعة المسلمة لأن القاعدة العامة يقرها القرآن في قوله تعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"<sup>(١)</sup>.

من هنا يمكن أن نراجع أخبار بشار وأشعاره في سياق الشعوبية، وأخباره في مصادر كثيرة، وإذا راجعت الأغاني مثلاً ، نجدها تدل دلالة واضحة علي أنه قال أقوالاً متفرقة تدل علي نزعة الشعوبية ، ولكن له ما يبرره في أقواله وأفعاله في هذا المنحي، وأن قوله لا يدل علي كراهية العرب ونعني زوال ملكهم ، وإنما هو رد فعل مشروع أمام الموقف العام.

يروى صاحب الأغاني أن بشاراً دخل علي الخليفة ، فسأله المهدي فيمن تعتد يا بشار؟ فأجابه بقوله: (أما اللسان والزى فعربيان، وأما الأصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين)<sup>(٢)</sup>.

ونبتت قوماً بهم جنّة	يقولون من ذا وكنيت العلم
ألا أيها السائل جاهداً	ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر	فروعي وأصلي فريش العجم
فإني لأغني مقام الفتى	وأصبي الفتاة فما تعصم

هذه الأبيات تكشف لنا عن التوازن والصدق مع النفس وعدم مجاورة الحق عند بشار، بل تدل علي أن ميزان بشار في العربية أوضح من ميزانه في غيرها، حيث أجاب المهدي بقوله: (أما اللسان والزى فعربيان). واللسان ليس أمراً

<sup>(١)</sup> سورة الحجرات الآية ٣.

<sup>(٢)</sup> الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ٢١٤



عارضاً في حياة الإنسان بل هو فكرة ووجدانه وعواطفه وشتي أبعاد ذاته فما الظن بالشاعر الأديب؟ وأما الزّى فصدى النفس وترجمان الشخصية، وكم أناس نحكم عليهم من الزى فإذا اقتربنا منهم نجد حكماً عليهم صحيحاً ، ثم أضاف بشار (وأما الأصل فعجمي) وهو صادق كل الصدق لأن نسبه من جهتي أمه وأبيه في غير النسب العربي ولا عيب في ذلك ، ولو أن بشاراً اتجه إلي الولاء لأصله وتخلص من كل شيء عربي حوله لغة وزيا ويسر نفسه لذلك لما كان موضع إنكار عليه من الناحية القومية والإنسانية ، ولكن بشاراً يعيش واقعه ويخلص له ، حيث نجد منذ الوهلة الأولى أن لغته عربية فيحبها ويخلص لها ويقبل عليها ويصبح من انبغ شعرائها ، كما يعيش أيضاً حياته العربية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية، فيسعى إلي الخلفاء والحكام والولاة ويمدحهم ويتصل بهم، ثم يقول: " أنه كريم بل هو أنف الكرم لأن أصوله وفروعه نمت في الكرام بني عامر، وهو يرفع شأن آبائه من العجم ويجعل منزلتهم تساوي منزلة قريش في العرب فيقول: " قريشي العجم، وكأنما التكريم الأعلى الذي لا يدانيه تكريم عنده هو مقام قريش ، وفي ذلك احترام وتفضيل لقريش وسموها وهو بذلك أقرب لتكريم العرب من البحري في آخر سينيته.

وأراني من بعد أكلف بالإثـم — راف طراً من كل سنخ وآس

وهناك موقف آخر لبشار فيه هجوم صريح علي العرب ولكنه بكل المقاييس لا يحسب عليه، ولا يشكل طبيعة نزعتة وعواطفه بل قاله في سياق الدفاع عن النفس أمام هجمة وقحة لإعرابي عنف عليه ، ويروي صاحب الأغاني فيقول: (١). " دخل إعرابي علي مجزأة بن ثور السدوسي، وبشار عنده، وعليه بزة الشعراء، فقال الإعرابي: مَنْ الرجل؟ فقالوا رجل شاعر، فقال: أمولي هو أم عربي؟ قالوا بل هو مولي ، فقال الإعرابي: وما للموالي والشعر! فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال: اتأذن لي يا أبا ثور؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ، فانشد بشار يقول:

خليلي لا أنامُ علي إقتسار ولا أبي علي مولي وجارٍ

(١) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

سأخبرُ فاخرَ الأعرابِ عني      وعنه حين تأذن بالفخارِ  
أحين كسيت بعد العري خراً      ونادمت الكرام علي العقارِ  
تفاخر يا ابن راعيّة وراعٍ      بين الأحرارِ حسبك من خسارِ  
وكنت إذا ظمئت إلي قراح      شركت الكلبَ في ولغِ لإطار<sup>(١)</sup>.  
تريغ<sup>(٢)</sup>. بخطبة كسرَ الموالي      ويُسيك المكارمُ صيدَ فأرِ  
وتغدو للقتافذ تدرّيهما<sup>(٣)</sup>.      ولم تعقلُ بدراج<sup>(٤)</sup>. الديارِ  
وتتشح الشمال للابسيها      وترعي الضان بالبلد الفقارِ  
مقامك بيننا دنسُ علينا      فليتك غائب في حر نارِ  
وفخرك بين خنزير وكلب      علي مثلي من الحدث الكبار<sup>(٥)</sup>.

فقال مجزاة للإعرابي: قبحك الله! فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك " هذا النفي يدل علي أن بشار كان يدفع عن نفسه الإهانة بل الشتائم والسباب والاحتقار الذي صبّ عليه في مجلس مضيقة " مجراه بن ثور " وفي النص دلالات يحسن أن نشير إليها ، أولاً قول الإعرابي " أمولي هو أم عربي " ففي السؤال تجريح واضح لبشار، وكأنه أراد أن يقول: أمن السادة هو أم من العبيد؟ وكأنما عزّ علي الإعرابي تلك الهيئة الخاصة التي ظهر بها بشار وهو لا يعرفه. بل كان من الأحرى أن يتعرف عليه ويعرف ما ألم به من عاهة حتى يصون لسانه ولا يخرجه.

وثانيهما قول الإعرابي: " ما للموالي والشعر؟ " فالإعرابي برغم تفوق الموالي في اللغة والأدب وبرغم إقبالهم الإسلام ديناً وعلماً ، ما يزال يعيش فكرة موهومة هي أن العرب أصحاب الشعر وأصحاب لغة الشعر وغيرهم لم يخلق لهذا ولم يؤهل.

(١) الإطار : يعني الإناء

(٢) تريغ: تطلب

(٣) تدرّبها: تختلها لتصيدها

(٤) الدراج: القنفذ

(٥) الكبار: المفرط في الجسامه.

وثالثة الملاحظات تستفاد من تعليق " مجزأة بن ثور"، حيث قال للإعرابي (قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك وأمثالك) فقد دعا عليه مجزأة بأبشع ما يدعي به علي إنسان، حيث يقول له "قبحك الله " فإنما أصابك علي يد بشار خاص بك وبأمثالك.

وموقف بشار شديد الوضوح في إنه دفاع عن النفس ، والبيت الأول في قصيدته شديد الدلالة في وجوب المساواة ورفض أي تفكير عنصري أو طبقي، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

خليلي لا أنام علي اقتسار<sup>(٢)</sup> ولا آبي<sup>(٣)</sup> علي مولتي وبار

وبشار يوضح أنه لا يقبل الظلم والإهانة ، وأنه ليس الشخص السيئ الخلق الذي يترفع علي الناس مولتي كان أو قريباً بالجوار ، وهو بذلك يمثل روح الإسلام وجوهره في الإيمان بمطلق المساواة بين الناس دون أي تمييز يرجع إلي اللون والجنس.

وبشار يقف من قضية العنصرية التي أرهق بها العرب الموالي موقفاً يلوذ فيه بالإسلام ديناً وعقيدة ، لأن العبودية لله وحده لا غيره وذلك في قوله العميق الساخر<sup>(٤)</sup>:

أصبحت مولتي ذي الجلال وبعضهم  
مولاك أكرم من تميم كلهم  
فارجع إلي مولاك غير مدافع  
سبحان مولاك الأجل الأكبر

هكذا يعلي الصوت بأنه لا عبودية إلا لله، وأولي بالعرب وهم حملة الدين الجديد أن يبالغوا في إدراك هذا المعنى ويكونوا قدوة فيه، وبشار في هذه الأبيات يضع القضية في موضعها العادل لأصحاب الدين وحملته إلي الشعوب الأخرى.

(١) الأغاني - ج ٣ ص ١٦٠.

(٢) اقتسار : يعنى القهر.

(٣) آبي : استعصى.

(٤) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ٢٠٢

علي أن للقضية بالنسبة لبشار وجهاً آخر، يتضح في قصائدها ولأته للعرب وفخره بهم من ذلك ما قاله مفتخراً بولائه لقيس<sup>(١)</sup>.

أمنت مضرة الفحشاء أنني	أري قيس تضر ولا تضار
لقد علم القبائل غير فخر	علي أحد وأن كان افتخار
بانا العاصمون إذا اشتجرنا	وأنا الحازمون إذا استشاروا
ضمنا بيعة الخلفاء فينا	فحن لها من الخلفاء جـار
يحي من بني عجلان شوس	يسير الموت حيث يقال ساروا
إذا زخرت لنا مضر وسارت ربيعة ثمن اجتمعت نزار	
أقام العابرونا علي هوانا	وأن رغمت أنوفهم وساروا
لنا بطحاء مكة والمصلي	وما حاز المحصب والجمار
وميراث النبي وصاحبه	تلادا لا يباع ولا يعار
وأواح السرير ومن تنمي	علي ألواحه تلك الخيار
كان الناس حيث تغيب عنهم	نبات الأرض أخلفة القطار

هذه القصيدة قوية في أدائها صبقت في ثوب يتسم بالفحولة وأن المعاني الفخرية فيها تعد من أرفع درجات الفخر بنزار وما تفرع منها من قبائل.

والذي يلفت النظر في هذه القصيدة إن قائلها لو لم يكن بشار وكان عربي النسب خالصة لقليل: ومن غيره يستطيع أن يبدع هذا الإبداع الذي هو أصل ما يكون عربيته في لسانه ونبضه هواجسه ، وأعرق ما يكون معرفة بتاريخ القبائل وتقاليد العروبة وعقيدة الإسلام ، وبشار الذي قال الأبيات جدير بتلك الأوصاف مع زيادة وصف أنه ينافس العرب في عربتهم لساناً وتقاليداً أو تاريخياً وحمى بالإسلام.

وهناك قصائد أخرى لبشار في مدح العرب والافتخار بولائه العربي، ومن أقواها وأخطرها قصيدته التي مطلعها<sup>(٢)</sup>.

جفا ودّه فازوراً أو مل صاحبه وأزري به لا يزال يعاتبه

(١) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الديوان ص ١٤١ ط دار الكتب.

وهي التي يمدح فيها مروان بن محمد قيس عيلان، وقيل في مدح يزيد بن هبيرة قائد جيش قيس، ومعروف ولاء بشار لقيس عيلان، وهي قصيدة تدل على التمكن الفني البعيد المدى لغة وفناً وتاريخاً وتقاليداً، وحكمة ونقاد بصيرة، وتعد واحدة من عيون الشعر العربي.

ولا شك في أن مدائحه العربية، وفخره بمواليه العرب الذي يعتبر نفسه واحداً من المعروفين في نسبهم من اقوي الدلالة علي أنه ذاب في مجتمعه الجديد ولاءً.

وهذه القصائد التي قيلت في الفخر أو المدح وما احتوت عليه من ابداع فني عال في الخيال والمعاني والألفاظ لجديرة بأن تعد ضمن الرصيد الذي يرفع بشار ودرجة كبيرة في مجال التجديد في الشعر العربي، وما استخدم هذه الوسائل الراقية في الأسلوب والمعني علي حسب اختيار الموضوع، إلا نوعاً من التطوير والتجديد، وهذا ما لمسناه من خلال ألماننا بأفة العمى التي لازمته وما طالعه من خلال الشعبوية عنده.

التجديد في شعره:

لقد أبدع بشار إبداعاً قوياً في الأغراض الشعرية التي تناولناها وأبرزها عنده: المدح والفخر والهجاء والغزل، وأضاف إلي هذه الأغراض التقليدية المفردات الشعرية الشعبية التي تتمثل في مقطوعاته الخفيفة التي تستوعب من مفردات الحياة اليومية.

والذي نلاحظه في شعر بشار أن الأغراض التقليدية التي أكثر من القول فيها تعتمد علي السمات الأساسية أو التقليدية في الشعر العربي، ولكنه يضيف إلي ذلك النسيج التقليدي خصائص عصره الثقافية والاجتماعية ثم يترك علي ذلك بصماته بكل أبعادها. فمدحه يتميز بالقوة والأصالة والجزالة وفخامة التعبير وغرابته أحياناً، ويستوعب فيه الخيال العربي القائم علي التراث العربي في التقاليد المدح، ولكنه في الوقت ذاته جديد بما يحمله من جدة الحياة الفكرية والاجتماعية، ثم استخدام بعض المفردات الجديدة التي تظهر تطور المجتمع

العباسي، ويتضح ذلك في مدحه للخليفة المهدي في قصيدة طويلة يحثه فيها بعقد الخلافة لأبنة موسي الهادي ، حيث في القصيدة المسلك التقليدي في البناء لكنها تتخللها بعض الصور الجديدة في تشبيه المراكب والسفن بالخيل، ثم يصور لنا الظعائن داخل الهودج، ويأتي بصورة السفينة وهي صورة حديثة وجديدة فكأنه أراد أن يوضح مدى التطور الذي لازم الحياة في العصر العباسي الأول، وفي ذلك تجديد في الصورة رغم البداية التقليدية ، يقول بشار في مطلع قصيدته<sup>(١)</sup>.

أقوى وعطل من فراطة التمد فالربع منك ومن رياك فالسند<sup>(٢)</sup>.

فالهضب أوحش ممن كان يسكنه هضب الوراق فما جادت له الجمد<sup>(٣)</sup>.

عافوا المنازل من نجد وساكنه فما دريت لأنى طية عمدوا<sup>(٤)</sup>.

وخلفوا لك آثاراً مدعشرة ما حولها سبد منهم ولا لبـد

فالمطلع تقليدي يصف الشاعر فيه كيف أصابت الوحشة المكان بعد فراق المحبوبة منه، حيث أصبح دمناً بالية خربه، ثم يصف المحبوبة وصفاً دقيقاً مشبهاً لها بالمها ويصورها داخل الهودج علي ظهر الإبل ، كما يعرض بعض الأوصاف الحسية من البيئة، كما كان يفعل الجاهليون. ويقول<sup>(٥)</sup>:

بانوا بهنّ وفي الأحجاج غانيه في جيدها ومتالي ليبتها غيد<sup>(٦)</sup>.

عبل مسورها وعث مؤزها مثل المهاة رداح نبتة رود<sup>(٧)</sup>.

هيفاء لفاء جرد حلّ مخلخلها تحيي وتقتل من شاءت بما تعد<sup>(٨)</sup>.

فما يفوز الذي أحييت بمنفعةٍ ولا لمن قتلت عقل ولا قود<sup>(١)</sup>.

(١) الديوان: ص ٣٢١-٣٢٩ ، ط ، دار الكتب

(٢) أقوى وعطل : خلا ، فراطة : اسم امرأة ، التمد والربع: أسماء أو كن

(٣) الهضب: موقع

(٤) عافوا: تركوا أو كرهوا : العطية : المعاني المقصود

(٥) الديوان ص ٣٢٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

(٦) الأحجاج: جمع حدج وهو الهودج ، أو مركب النساء ، الفانية الفتاة الجميلة.

(٧) المتالي: ما يلي أي أواخر: الليث ، صفحة العنق

(٨) العبل: الفخم ، المسور: مكان السوار المعصم: الوعث الضعيف

حتى أغتمسن ضحي في آل قرقرة سقياً لهن وللصمد الذي صمدوا  
ثم نلاحظ المفردات الجديدة التي أتى بها بشار وهو مصطلح المراكب يعني به  
السفن التي تجري علي البحر مشبها لها بالخيل في سرعتها، وهذه الصورة جديدة  
في ناحية الاستخدام، وكان بشار أراد أن يوضح مدى التقدم الذي طرأ علي وسيلة  
السفر والترحال في العصر العباسي، حيث يقول في نفس القصيدة:

وقربت لمسير منك يومئذ مراكب منك لم تولد ولم تلد<sup>(٢)</sup>  
تقلي بهن طريق ما به أثر في مستوي ما به حزن ولا حد<sup>(٣)</sup>  
لا في السماء ولا في الأرض مسلكها ولا تقوم ولا تمشي ولا تخذ<sup>(٤)</sup>  
ولا يذقن أكالاً ما بقيت ولا يشربن ماء وهن الشرع الورد<sup>(٤)</sup>  
جون مجللة قعس مجرشة ما بات يرمضها أين ولاخضد<sup>(٥)</sup>  
تلوي الأزيمة في أذنا بها وبها في السير يعدل إن جارت فتقتصد<sup>(٦)</sup>  
من كل مقربة للسيير منقزة خوفاً تجمع منها الجو جوء الأجد<sup>(٦)</sup>  
من سبعة فإذا أنشأت تحسبها وفاكها كملا في كفك العدد<sup>(٧)</sup>  
السمر والنجر والنجار يقرعها والفقر والقيرو الألواح والعمد<sup>(٧)</sup>

والجديد في الموضوع هو أن الشاعر استعاض للرحلة، لممدوحة بالسفينة بدلاً  
من الخيل، والإبل، حيث كانت الرحلة إلي الممدوح علي ظهر المطايا عامة  
وبالأخص الإبل والخيل، ولكن بشاراً أراد أن ينقل ما استجذت في عصره من  
وسائل للنقل تكون أكثر راحة وأسرع في قطع المسافات للممدوح ، فنلاحظ أن

(١) هيفاء: جميلة رفيقة الخصر ، الفاء : كثيرة لحم الفخذ ، المؤزر: مكان الإزار أي الحفر: المصاة : الغزاة،  
الرواح: الثقيلة الأرداف ، جرد حل: ضخم ، القود : القيادة ، تخذي: تسير ، البذل: الفرق ، البدن: الناقة  
المروضة.

(٢) المراكب: السفن - الحزن : الأرض الصعبة - الجدر : الأرض المستوية.

(٣) اتخد من الوخد وهو المشى السريع.

(٤) أكالاً : الأكل - الشرع : القاصدون مكان الماء.

(٥) الجون: صف للنياق - مجللة : موضوع عليها احبل وهو الشراع - الجرشع : الصدر الضخم.

(٦) الجؤجؤ : الصدر: الاجد : القوى.

(٧) السمر : موضع المسامير - النجر: الخشب - الفقر : اللوح الجامع لضفتي السفينة - القيرو : الزفت التي  
تطلى به السفينة - العمد: الصواري.

الموضوع تقليدي لكن الشاعر أضاف إليه خصائص عصره وما طرأ عليه من تطور وتجديد في طريقة التعبير وتوسعا في تحقيق شعبية الشعر<sup>(١)</sup>.

كذلك في مجال المدح والافتخار بالعرب وولائه لهم ينظم قصيدة قوية تعد من أجمل وأقوى ما مدح به، وهي التي مدح فيها محمد بن مروان ويمدح فيها قيس عيلان وفي الأغاني<sup>(٢)</sup>. يمدح يزيد بن هبيرة قائد جيش قيس عيلان ، وهي قصيدة تدل علي التمكن الفني البعيد المدى: لغة وفناً وتاريخاً ، وتقاليد وحكمة ونفاذ بصيرة، وتعد من عيون الشعر العربي. يهمننا فيها الصور الدقيقة والخيال الواسع والمعاني الجديدة التي أوردها الشاعر في قصيدته يقول فيها<sup>(٣)</sup>:

جفا ودّه فازورّ أوّمل صاحبه وأذري به أن لا يزال يعاتبه<sup>(٤)</sup>.  
خليلي لا تستكراً لوعة الهوى ولا سلوة المخزون شطت حبابه<sup>(٥)</sup>.  
سقي النفس ما يلقي بعبدة عينه وما كان يلقي قلبه وطائبه<sup>(٦)</sup>.

هذه القصيدة تلفت النظر بما فيها من حكمة رائعة تدل علي خبرة بالحياة ، وفي الوقت نفسه تمثل طابعاً فنياً صفيّاً عميق الغور سهل المأخذ، ففيها السهولة والقوة، والصفاء والعمق، وهي بصياغتها الفنية الرقيقة تمثل خطوة من خطي بشار نحو التجديد وتجعله في طليعة الشعراء المحدثين. ولنستمع إليه يقول فيها<sup>(٧)</sup>.

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهده ولا عند صرف الدهر يزورّ جانبه  
أخوك الذي إن ربته قال إنما أريت وأن لا ينته لان جانبه  
يخونك نوي القربي مرارا وربما وفيّ لك عند الجهل من لا تقاربه

(١) نجيب البهيني : تاريخ الشعر العربي في أواخر القرن الهجري ص ٣٥٢

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ١٢٨

(٣) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) جفا: بعد ، العرد : الحب ، افرور: مال أو يعم

(٥) شطت: بعدت

(٦) عبدة: امرأة ، طبائبه : جمع ظبية

(٧) الديوان: ص ٢١٤ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.



فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تك في كل الأمور تجانبه  
وأجد علي مولاك في الفقر والغني ولا تقرب الخلق الذي أنت عائبه  
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ويستمر بشار في شعر الحكمة في هذه القصيدة ، وتتسم كلها بالسهولة والخفة  
والعمق والسلامة، بحيث تبدو شعراً شديداً الصفاء عليه رونق الحدائث والجدة،  
وهذا ما يؤكد بحثنا عن الجديد في شعره في هذا الجانب. وشعر الحكمة لم يفارقه  
حتى عندما انتقل إلي المدح في هذه القصيدة وهو الغرض الأساسي من القصيدة  
حيث يقول:

رويداً تصاهل بالعراق جياننا وسام لمروان ومن دونه الشجا أحلت به أم المنايا بناتها وكننا إذا دب العدو لسخطنا ركبنا له جهراً بكل مثقف غدونا له والشمس في خدر أمها يضرب يذوق الموت من ذاق طعامه كأن مثار النقع فوق رؤوسنا بعثنا لهم موت الفجاءة إننا	كأنك بالضحك قد قام نادية وهول كلج البحر جاشت غواربه <sup>(١)</sup> : بأسيافنا إنا ردي من نحاربه وراقبنا في ظاهر لا نراقبه وأبيض تستقي الدماء مضاربه تطالعنا والطل لم يجز ذائبة وتدرك من نجى الفرار مثالبه وأسيافنا ليل تهاي كواكبـه بنو الموت خفاق علينا سبائبه
--	---

وهذه القصيدة تؤكد أن بشاراً كان يسمو بشعره في ظل العصر الأموي إلي  
درب جديد في الشعر العربي يتسم بالعمق والرصانة والسهولة والرونق الصفي،

(١) السام: القاصد ، مروان: الممدوح ، القوارب: أمالي : الأمواج.

ذي المنحنى المحدث الجديد، في معانيه وصورة وخياله ، ويتضح ذلك في هذه القصيدة حيث دقة التصوير، وبراعة، الخيال في قوله السابق.

عدونا له والشمس في خدر أمها تطلعا والطل لم يجر ذائبه<sup>(١)</sup>

حيث التصوير الدقيق في قوله: " الشمس في خدر أمها تطلعا" والملكة الكاملة في اختيار الألفاظ وربطها ثم أعمال الخيال.

ونلاحظ الدقة أكثر في تصوير المعركة مستخدماً الصور البيانية الرائعة في التشبيه التمثيل الذي يضيف علي القصيدة رونقاً وجمالاً في قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسانا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

هذه الصورة من الصور الجديدة الرائعة النادرة في عقد المقارنة بين صورة السيوف اللامعة وسط الغبار العالق في السماء وبصورة الكواكب التي تساقطت في ليل مظلم شديد العتمة.

مما يدل علي قوة المعركة وشدتها. وهذا في حد ذاته يضاف إلي شاعرية بشار الفذة المجددة.

كذلك إذا انتقلت إلي قصيدته التي يمدح فيها عمر بن العلاء ، حيث تضم إلي جانب المدح الافتخار ، ونجد فيها نغماً طروباً من بحر المتقارب وموسيقاه الغدبة التي تفيض رقة وسلاسة وجدة و حداثة ، مع تمكن واقتدار من ناحية اللغة ، ويلفت النظر تلك المقدمة الغزلة الجديدة في مبنائها ومعناها يقول فيها<sup>(٢)</sup>.

وجارية خلقت وحدها كأن النساء لديها خدم

دوار العذاري إذا زرتها أطفن بحوراء مثل الصنم<sup>(٣)</sup>

يظللن يمسحن اركانها كما يمسح الحجر المستلم

وبيضاء يضحك ماء الشبا ب في وجهها لك أو تبتسم

ظمئت إليها فلم تسقني بري ولم تشفني من سقم<sup>(٤)</sup>

(١) الديوان: ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الديوان: ص ٥٨٨، ط ، دار الثقافة ص ٢١٤ تحقيق العلوى.

(٣) الدوار: الصنم الذي يدورون حوله ، الحوراء : الواسع سواد العين.

(٤) الري : الشراب حتى الشبع ، السقم: المرض.

وقالت هويت فمت راشداً      كما مات عروة غماً بغم<sup>(١)</sup>.  
دستت إليها أبا مجلز      وأي فتى إن أصاب أعتزم<sup>(٢)</sup>.  
فما زال حتى أنابت له      فراح وحلّ لنا ما حرم<sup>(٣)</sup>.

ثم يمضي بعد ذلك في حوار ه علي نسق محاورات عمر بن أبي ربيعة ، بما فيها من خفة الروح وفكاهة المأخذ ، وعيشية المزاج ، وهو برع براعة طريفة ، حيث ينفذ من خلال رابطة موضوعية إلي مدح أبن العلاء ، فهو يصور أنه تزوجها عندما يقول: " فراح وحلّ لنا ما حرم" ثم يوضح لنا بعد ذلك أنه إذا قلّ الثراء وضاع المال ودعت الحاجة فعليها أن تجد الخطي إلي أبن العلاء يقول:

أقول لها حين قلّ الثراء      وضاق المراد وأودي النعم  
إذا ما افتقرت فأحي السري      إلي أبن العلاء طبيب العدم  
دعاني إلي عمر جوده      وقول العشييرة بحر خضم

وهذا النمط من عقد الصلة موضوعية بين المقدمة الغزلية وموضوع القصيدة ظاهرة عظم شأنها في العصر العباسي لا سيما عند أبي تمام والمتنبي وهذه الظاهرة تستحق الوقوف عندها لما فيها من جدة وحادثة.

يمكن لنا القول في المدح عند بشار بأنه جمع فيه بين أصالة التراث الشعري وتقاليد عمقه وجزالته وفخامته، وأحياناً يتعمد في ذلك الأعراب والصعوبة اللغوية، ليدل علي تمكنه ويفخر بموهبته الشعرية واللغوية معاً. ولكن ميله إلي السلامة والمرونة في فن الشعر كان يغلب عليه ويجعله يقول الجديد الذي يعد باباً متميزاً في السهولة والرقّة والحداثة ، ثم يضاف إلي ذلك قدرته علي تفجير الحكمة التي ما تزال تفرض نفسها علي المستمع العربي ، كما له تفننه في مداخلة المقدمة التقليدية لموضوع المدح مداخلة موضوعية كما في نمازجه السابقة. وبشار كما يقول النقاد خاتمة الشعراء التقليديين ورأس الشعراء

(١) عروة : عروة بن حزام من بني عوزة العاشق لعفراء بنت عمه مات بها حباً ولم يتزوجها.

(٢) أبو مجلز: أحد أنبياع بشار: دستت: أرسلت سراً.

(٣) أنابت: خفضت وأمتثلت.

المحدثين بمعنى أنه باديتهم وفتح الطريق أمامهم إلى الشعر الحديث الذي ملأ ديوان الشعر العباسي فيما بعد.

بشار شاعر مكث في الغزل ، والغزل عنده يعتبر القسيم لكل أغراضه الشعرية ، وذلك لأن الغزل كان استجابة لنزعة فطرية جدية لم يهذبها بشار ، ولم يأخذها بالقيمة الاجتماعية الراقية، بل أصبح لها المجال لتمارس تمردها واستهتارها إرضاء لنزواته وتعويضاً لحرمانه من رؤية الجمال والاستمتاع به عن طريق العين، وهذا الحرمان جعله أكثر جراءة وعدواناً طلباً للعرض النفسي والجسدي . لان رؤية الجمال تؤدي إلى شيء من الاستقرار النفسي.

وقد تأثر بشار في شعر الغزل عنده بعمر ابن أبي ربيعة ، وفي ديوانه نجد كثيراً في الشعر العاري الفاضح يتناول الغرائز علي نحو ساخر، فهو يتكلم عن الغريزة بشيء لا يقبل حيث يكثّر من الشعر الحسي العاري ، كذلك تأثر في فنه بالوليد بن يزيد، فهو خليط منهما. نجد فيه الميل القوي إلى اللهو، وفيه خلط بين الغزل والخمر، وجنوح إلى الأوزان القصار التي كان العصر يحبها لملاءمتها الموسيقي الخفيفة المرححة التي كان العصر يحبها وهذا المزج والخلط يعد براعة فائقة ومقدرة وحدائث في التناول للموضوع مما نحس فيه بشيء من الجدة وخير ما يمثل هذه الاتجاهات الثلاثة، وامتزاجها في شعره قصيدة في صاحبة له كانت واعدته ثم اعتذرت بمرض<sup>(١)</sup>:

يا ليلتي تزداد نكرا	من حب من أحببت بكرا
حوراء أن نظرت إليك	سقتك بالعينين خمرا
وكان رجع حديثها	قطع الرياض كسين زهرا
وكان تحت لسانها	هاروت ينفث فيه سحرا
و تحال ما جمعت عليه	ثيابها ذهابا وعطرا
وكأنها برد الشراب	صفا وراق منك فطرا
جنيه انسيه	أو بين ذاك اجل أمرا
وكفأك أني لم أحط	بشكاة من أحببت خيرا

(١) الديوان: ص ٥٢٧-٥٢٨ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت.

الإمقاله زائـر  
نثرت لي الأحران نثرا  
متخشعاً تحت الهوى  
عشرا وتحت الموت عشرا

هذه الأبيات تمثل لنا غزل بشار الحقيقي وهو الغزل اللاهـى تجاه المرآة ، ويمثل عصره ومجتمعه وشخصيته ، ذلك الغزل العابث الذي يشيع روح الخلاعة والفجور في النساء قبل الرجال ، ويمثل أيضاً الحياة المترفة اللاهية ، حيث أخذ ينمو ويزدهر ، أشكال مختلفة ، لكنه في النهاية دقيق عذب الصياغة فيه توليد للمعاني ورشاقة في الوزن وجمال في الصياغة ، كما فيه استخدام الوسائل البيانية بصورة فنية متقنة ، حيث يستخدم الشاعر التشبيه المعنوي بشيء محسوس يبرز لنا جانب الخيال في شعره.

كأن رجع حديثها  
قطع الرياض كسبن زهرا

كما استخدم بشار البحور الخفيفة والوزن الرشيق حيث جاءت من بحر مجزوء الكامل مما يعد تجديد في الموسيقى.

وفي غزله أيضاً نجد التطرف والتطري في كثير من أشعاره كذلك مداعباته للنساء وأشاعة روح اللهو والعبث في وسطهن ، ويحكي عنه في الأغاني قصص طريفة ومتنوعة معهن وهناك نص رواه صاحب الأغاني ومهد له بقوله<sup>(١)</sup>: "كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقاً لسيدتها ومداحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغن ، فسُر بحضوره، وشرب حتى سكر وقام، ونهض بشار ، فقالت: يا أبا معاذ أحب أن تذكر يومي هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي، وبشار يهوى الاستجابة لمطالب الجميلات والرقائق ، فأجابها بقصيدة ذات مستوي فني رائع رفيع في الإبداع المتمكن من لمح المعاني وتوليدها ، ويدل علي روح الحياة الاجتماعية التي يحيها وينتمي إليها حياة اللهو والترف والتطري في توليد أحاديث النساء إلي لا تتصل بحقيقة العشق والحب ، بل تدل علي خبرة وتجربة في إشاعة اللهو

(١)الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص١٥٨-١٥٩.

والعبث المحببة لدي أنواع من النساء يعشقن اللهو السابغ والهوى المباح  
يقول<sup>(١)</sup>:

وذات دل كأن البدر صورتها  
فقلت أحسنت يا سؤلى ويا أملى  
يا حبذا جبل الريان من جبل  
قالت فهلا فدتك النفس أحسن من  
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة  
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة  
فاسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً  
يا ليتني كنت تفاحاً مفلجاً  
حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها  
فحركت عودها ثم انثنت طرباً  
أصبحت أطوع خلق الله كلهم  
فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا  
لو كنت أعلم إن الحب يقتلني  
فغنت الشرب صوتاً مونقاً رملاً  
لا يقتل والله من دامت مودته

باتت تغني عميد القلب سكراناً<sup>(٢)</sup>  
فاسمعين جزاك الله إحساناً  
وحبذا ساكن الريان من كانا  
هذا لمن كان حب القلب حيراناً  
والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
أضمرت في القلب والأحشاء نيراناً  
يزيد صبا محبا فيك أشجاناً  
أو كنت من قضب الريحان ريحاناً  
ونحن في خلوة مثلت إنساناً  
تشدو به ثم لا تخفيه كتماناً  
وأكثر الخلق لي في الحب عصياناً  
فهات إنك بالإحسان أولاناً  
أعددت لي قبل أن ألقاك أكفاناً  
يذكي السرور ويبكي العين ألواناً.  
والله يقتل أهل الغدر أحياناً

هذا لون جديد من الغزل الذي يمثل طبيعة بشار ، ومزاج العصر من الناحية  
الاجتماعية ، ويهمننا من الناحية الفنية القول بأن بشار يعد بحق في شعر الغزل  
زعيم المحدثين في إشاعة هذا الأسلوب المحدث فنياً واجتماعياً.

ورغم هذا الشعر الرائع العذب الجديد في معناه السلس في موسيقاه نجد أن  
بشاراً له إبداع في الغزل الحسن الذي كان يمتد بين أطراف متباعدة من العري  
الحسي في الجسد إلي العربي النفسي في القول ، ويمكن تقديم شيء من نماذجه  
يقول فيها بروية صاحب الأغاني<sup>(٣)</sup>:

(١) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) الدل: الدلال

(٣) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ١٥٨-١٥٩.

درةٌ بحريةٌ مكنونةٌ      مازها التاجرُ من بين الدرر  
 عجتَ فطمةٌ من نعتي لها      هل يجيدُ النعتُ مكفوفُ البصر  
 أما بددَ هذا لُعبِي      وشاحي حلَّه حتى انتثرَ  
 فدعيني معه يا أمّتا      علنا في خلوةٍ تقضى الوطر  
 أقبلت مقضبةً لضرب      واعتراها كجنون مستعر  
 بأبي والله ما أحسنه      دمعُ عين يغسل الكحل قطز  
 أيها النوامُ هبوا ويحكم      وأسألوني اليومَ ما طعم السهر  
 هذه الأبيات تذكر بأنفاس عمر بن أبي ربيعة في غزله الحسي وغير ذلك كثير  
 عند بشار يصل إلي درجة السقوط.

لكن بشار أيضاً تناول الشعر العفيف في الغزل التقليدي في نماذج كثيرة في  
 ديوانه محافظاً علي الطراز القديم في الغزل من ذلك قوله: (١):

أخشابُ حقاً إن داركِ تزعجُ      وإنّ الذي بيني وبينك يلهجُ  
 فواكبدا قد انضج الشوقُ نصفها      ونصفُ علي نارِ الصبابةِ ينضجُ  
 ووا حزنا منهن يحفن هودجا      وفي الهودج المحفوف بدرٌ متوجُ  
 فإن جنتها بين النساء فقل لها      عليك سلامٌ مات من يتزوجُ  
 بكيتُ وما في الدمع منك خليفة      ولكن أحزاني عليك توهجُ

هذا الشعر في الغزل العفيف يذكرنا بالغزل الجاهلي لا سيما في مطالع القصائد  
 التي يمتاز غزلها بالسهولة، والرقّة والوضوح و القوة كما عند النابغة الذبياني  
 في قوله (٢):

أمن آل مية رائح أو معتد      عجلان ذا زاد وغير مزود  
 زعم البوارح أن رحلتنا غداً      وبذاك خبرنا الغدافُ الأسودُ (٣)

وقول عنتره بن شداد:

هل غادر الشعراءُ من متردمٍ      أم هل عرفتَ الدارُ بعد توهم

(١) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) النابغة - الديوان ص ٢٧ - الأغاني ١٥٦/٩.

(٣) الغزاف : الغراب.

يا دارُ عبلةً بالجواءِ تكلمى  
وعمى صباحاً دارَ عبلةً واسلمى  
وقول بن عدي بن زيد العبادي<sup>(١)</sup>:

اتعرفُ رسمَ الدارِ من أم معبد  
فرماك الشوق قبل التجلد  
وقول بشار أيضاً في نفس البديع من الشعر.

لعبدة دارٍ ما تُكلدنا الدارُ      تلوحُ مغاياها كما لاحَ أسطارُ  
أسائلُ أحجاراً ونوياً مهدما      وكيف يجيبُ القولُ نويً وأحجارُ  
وما كلمتني دُراها إذ سألتها      وفي كبدي كالنفظ شَبَّتْ له النارُ  
وعندَ مغاني دارها لو تكلمتُ      لمكتتبٍ بادي الصبابةِ أخبارُ  
تحملُ جيراني فعيني لبيتهم      تفيضُ بتهتانٍ إذ لاحتُ الدارُ  
بكيت علي من كنتُ أحظي بقربه      وحق الذي حاذرت بالأمس إذ صارو  
هناك أبيات كثيرة في ديوانه في هذا النوع من الغزل ، وبشار نظم أيضاً في  
الغزل الذي كان يملأ الساحة ويأخذ مكان الصدارة في تلك الفترة ، والذي اشتهر  
بالغزل العذري ، عند جميل بثينة ن وكثير عزة ، وقيس بن ذريح صاحب لبنى ،  
وقيس بن الملوح ، صاحب ليلى ، هذا النمط من الشعر اتجه إليه بشار لا تقليداً  
به ، بل إرضاءً لتزعتة حبه للمرأة ، مطلق امرأة ، لحبه لها جرداً ولعطشه لها  
روحاً ووجداً من خلال بعدها الحسي ورهافتها النفسية والشعورية.

ومن أفضل شعره العفيف للفرى بشابه الشعر الندري قوله: <sup>(٢)</sup>:

أبيت ارمداً ما لم أكتحل بكم      وفي أكتحالي بكم شاف من الرمداً  
رقت لكم كبدي حتى لو إنكم      تهوون الا أريد العيش لـم أرد  
كأن قلبي إذا ذكراكم عرضت      من سحر هاروت أو ماروت في عقد  
ما هبت الريح من تلقاء دار أرضكم      إلا وجدت لها برداً علي كبدي  
وكذلك قوله <sup>(٣)</sup>:

سلبت عظامي لحمها فتركتها  
عواري في أجلاها تتكسر

(١) الشعر والشعراء بن قتيبة ص ٢٢٦ ترجمة في الأغاني ١٧/٢.

(٢) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٣) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٥٢٤.



وأخلت منها مخها فتركتها — أنابيب في أجوافها الريح تصفر  
خذي بيدي ثم ارفعى الثوب فانظري ضنى جسدي لكنني اتستـر  
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها نفس تذوب فتقطـر  
ومثل هذه الأبيات وغيرها في ديوان بشار كثيرة ، ولقد فنن بحق في فن الغزل  
، وهذا الباب في شعره وكما يمت إليه بصلة هو باب المفردات الشعبية التي لجأ  
إليها بشار ولم يكن وحده بل جواره رجال الشعراء أسهموا وأضافوا ووسعوا  
القول في هذه الحداثة الفنية والاجتماعية من أشهرهم الوليد بن يزيد وأبو نواس.  
يعد الوليد بن يزيد هو الذي بدأت علي يده الشعبية التي كانت تقف عند  
حدود المعاني. والموضوعات ، ولم يكن الوليد يعني باللفظ السهل والقريب ولم  
يكن صاحب تصنع ، وجاء السيد الحميري بمذهبه في اختيار اللفظ السهل النقي  
وتجنب العويص والغريب ليحقق الشعبية العامة للشعر<sup>(١)</sup>.

الشاعران كلاهما لم ينزلاً بموضوعات الشعر عن مستواها الرفيع الذي  
جري عليه التقليد ، ولكن شعرهما ظل محجوباً عن العامة ومقصراً عن أرضاء  
طائفة ضخمة من العواطف.

والانفعالات ، حتى جاء بشار بشعره ليبين هذا الجانب من الشعر الذي يعبر  
عن العواطف المتصلة بالجو وحقق بشار هذا الجانب وراج به ، ونزل بشار  
بالشعر الرفيع من موضوعاته الرفيعة إلي كل موضوع مهما بلغت تفاهته لأنه كان  
يرضي طائفة من الناس ، حتى أخذ عليه النقاد نقاوت شعره ، فيقول له رجل:

ربابة ربة البيت تضب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فيقول له بشار: " كل شيء في موضعه ، وربابة هذه جارية لي ، وأنا لا آكل  
البيض من السوق .... ولها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع هذا البيض تحضره  
لي ، فكأن هذا من قولي لها أحب البيض وتحسن عندها من: قفا نبك من ذكري  
حبيب ومنزل<sup>(٢)</sup>.

(١) نجيب محمد البهني: تاريخ الشعر العربي ، ص ٣٢٥.

(٢) الموشح المرذبانى: ط ، القاهرة : ، ١٣٤٣هـ ، ص ٢٤٨-٢٤٩.

من هذا يتضح لنا أن بشار من المجددين في الشعر العربي من ناحية الموضوعات والأغراض الشعرية التي تنظم فيها، ولقد راينا كيف استطاع بتوليداته في المعاني وخياله الخصب أن ينقل الشعر إلي مرحلة ، متطورة ومتقدمة ملائمة للعصر الذي فيه مع محافظته علي النسيج التقليدي للقصيدة العربية.

أما من ناحية الصياغة والصورة ن فالتجديد عنده لم يكن اختيارياً وإنما فرضته عليه تلك العاهة التي ألمت به ، ويتمثل ذلك في التشبيهات التي مرت بنا في قصائده ، حيث يلجأ إلي التشبيه الإبهامي الذي يعتمد علي الصورة والخيال. وهذا التجديد في التشبيهات إذا كان قد أخذ من عصره ما أخذ ، وذهب القوم في خيوله فلأنه كان بالقياس إليهم هرباً من قديم وفراراً من نغمة طال ترديدها حتى ملوها<sup>(١)</sup>.

فعماد التشبيه البصر والرؤية ، وذكاء الحسي ، ودقة إدراك العلائق والخورق. والعاملات الأخيرات يصبحان ثانويين بالقياس إلي الأول ، وتقدم قيمتهما في بعض الأحيان، وذلك عندما يأتي الشاعر بالتشبيه معتمداً علي السمع في أركانه ، وما يرسخ في النفس من مفاهيم الأشياء مخالفة لحقيقتها مخالفة كبرى " وبشار ولد أعمى في نظر إلي الدنيا خطي<sup>(٢)</sup> . لذلك هو مجرد من كل فكرة للرؤية والشكل واللون ، أما اعتماده التشبيه فلأنه فرض محتوم عليه ، لأنه أراد إشباع مركب النقص الذي فيه ، ولقد كان بشار كذلك حقاً.

كان التشبيه عند السابقين يقوم علي الدقة العارمة وملاحظة وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به. ويقوم علي مطابقة الصورة للصورة الموضحة ، وبلغ عندهم حد الإعجاز ، ومضرب المثل عندهم قول أمريئ القيس.

ما زرفت عيناك إلا لتضربي      بسهميك في أعشار قلب مقتل

(١) نجيب محمد البهيني: تاريخ الشعر العربي ، ط، دار الفكر ، ص ٣٥٤.

(٢) الأغاني : لأبي فرج الأصفهاني ، ط ، الثقافة ، بيروت ج ٣ ، ص ٢٢.

ولكن بشار لم تكن له القدرة بما يسعده بأن يأتي بمثله ولا يقاربه ، فقال  
به إلى التشبيعية التقريبي ، فأدي به إلى الخفوض ، واعتمد علي الإبهام ، كما  
رأينا في شعره حيث يقول:

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسبن زهرا

حيث لا يستطيع فهم العلاقة بين ترديد حديثها ، وبين قطع الرياض التي كسبتها  
الزهور ، وذلك لأن ركني التشبيه أحدهما مسموع وثانيهما مرئي ، والمقارنة  
بينهما عند من يسمع ويرى جميعاً ، وغيرهما عند من يسمع ولا يرى .  
والتشبيه عند بشار يختلف من الآخرين ، إذ الصورة عنده مقصودة ،  
والحديث عنده مسموع ، فهو تشبيه محسوس بغير محسوس ، وعند الآخرين  
تشبيه محسوس بمحسوس ، وكذلك قوله:

حوراء أن نظرت إليـ ك سقتك بالعنين خمرا

وهذا البيت قياس أثر شيء منظور بأثر شيء مذوق ، وذلك لا يقع إلا في  
الوهم ولا يفهم إلا تقريباً . فالحور هو شدة سواد العين في شدة بياضها وهي  
أشياء ، لا بد أن يراها وأصفها وبشار لم يراها قط ، ونظره صاحبه التي يقع أثرها  
في نفسه موقع الخمر من فمه لم يراها أيضاً قط حتى يشبهها بغيرها .  
وقد يكون بشار أكثر توفيقاً ، إذا اعتمد علي الوصف علي ما هيئ له من  
قوى خاصة ، وذلك قبل البيت الذي عبه عليه النقاد:

إنما عظم سليمي حبتي قصب السكر لا عظم الجمل<sup>(١)</sup>.

لأنه تشبيه محسوس بمحسوس ، ولذلك وقع منه موقع السلامة ، كذلك قوله:

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا<sup>(٢)</sup>.

حيث لا نستطيع أن نفهم المعنى الحقيقي للبيت هل كان الشاعر يقصد  
عذوبة ريقها أو إلي سحر حديثها أو إلي غير ذلك ، مما تذهب فيه الظنون في  
فهم المدلول غير المباشر لعبارة: " هاروت ينفث فيه سحرا".

(١) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٥٧٤ ، برواية أخرى.

(٢) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٥٢٩ ، ملحقات قافية الرء

ومذهب بشار لهذا التشبيه الإبهامي وما يتعلق به كان لوناً جديداً في هذا العصر ، فأولع به وتبعه فيه واعتبر به مبدعاً وله مبتكراً وبه صار أستاذ المحدثين .

وبشار أيضاً كان من المجددين في شعره ببدايته في استخدام البديع قالوا: (إن أول من فتح البديع م المحدثين بشار، وابن هرمة ، وابن ميادة ، ساقاة العرب وأخر من يستشهد بشعره <sup>(١)</sup> . ويظهر ذلك في قول بشار <sup>(٢)</sup> .

لم يطل ليلى ولكن لم أنم      ونفى عني الكرى طيف ألم  
نفسى عني يا عبد واعلمى      إننى يا عبد من لحم ودم

والبديع كان يراد به التجديد في معالجة الشاعر شعره باستخدام الصورة والإكثار فيها وتنويع وسائل الاستفادة بها ، فيدخل فيه التشبيه والمجاز والاستعارة ، وقد يدخل تحت مدلولها المحسنات اللفظية " علم التجنيس " ولا يقصد به في ذلك الزمان المعنى الاصطلاحي الذي استقرت عليه في هذا العصر .

ومن الوجوه التي كان النقاد يعدونها م البديع يعني الجديد أن يعدل الشاعر من درجة الاستعمال التقديم لمعنى ومتى ذلك ما جاء منسوباً إلي أبي عمر بن العلاء ، أن أبداع الناس بيتاً هو بشار <sup>(٣)</sup> . في قوله <sup>(٤)</sup> :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم      ونفى عني الكرى طيف ألم  
نفسى عني يا عبد واعلمى      أننى يا عبد من لحم ودم

حيث يكمن الإبداع في هذا البيت عند أبي عمر بن العلاء في عدول الشاعر نحو جديد في تفسير طول الليل ، فقد عبر الشعراء قبله علي التحدث عن طول الليل أمام الناس ، فالليل لا يزال له طوله الذي خلق به ، ولكن المهموم لم يمنحه ، فخاله طويلاً ، وما كان كذلك. وعلي هذا النحو ترك بشار بصماته واضحة في الشعر العربي ، لسبقه بالتجديد فيه. وكان له حق الريادة في ذلك وأن يطلق عليه أبو المحدثين .

(١) العمدة: ابن رشيق ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٢) الاغاني ٣/١٥٠ - الديوان ص ٥٩١ دار الكتب بيروت

(٣) الاغاني - ٣/١٤٤ .

(٤) الديوان: ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت. ص ٥٩١ .

## المبحث الثاني: التجديد عند أبي نواس:

لقد رأينا في المبحث السابق كيف استطاع بشار أن يضع بصماته واضحة في مسيرة الشعر العربي ببراعته في المعاني والأخيلة والصورة وتجديده في الموضوعات مع المحافظة علي النسيج الفني التقليدي للقصيدة العربية. كذلك نجد أبا نواس له بصمات واضحة في رفع الشعر العربي علي مدرجة التطور والحدثة، التي ما تزال تجعل الشعر العباسي ذا منزلة وبريق، بل يجعل له الحلقة الذهبية في تاريخ الشعر العربي ، وقد تفنن وتصرف في فنون الشعر العربي، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضريّة وأخرجه من اللهجة البدوية ، يضاف إلي ذلك إنه شاعر الخمرة بلا منازع. وحامل لواء التجديد بالرغم من فجوره وإحاده في خمرياته وغزله الشاذ ، والتجديد عنده يكمن بصورة واضحة في خمرياتها ، وغزله الشاذ ((الغزل بالمذكر)) فمن هو أبو نواس .

أبو نواس " الحسن بن هاني " ١٤٥هـ - ١٩٨هـ

ولد بالأهواز إحدى قرى خوزستان في فارس ، ويقال إنّ والده من دمشق من جنود مروان آخر الخلفاء الأمويين (١). أمّا أمه فأسمها جليان فارسية الأصل، انتقلت إلي البصرة وكان الحسن في الثانية أو السادسة من عمره وأقام بالبصرة حتى الثلاثين، ثم كانت رحلته مع والديه من الحباب، ثم رحلته إلي البادية مع بن أسد.

اختلف في مولده ف قيل سنة ١٣٦ وقيل سنة ١٤٥ وقيل سنة ١٤٨ وقيل سنة ١٤٩هـ، كما اختلف في موته ف قيل سنة ١٩٥-١٩٦ وقيل سنة ١٩٨هـ (٢).

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن عي يعقوب الحضرمي فلما قرأ القرآن رمي إليه يعقوب بخاتمه وقال له: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة (١).

(١) ابن منظور: أبو نواس : ص ١٨-٢١ تقديم محمد بن النصر ، بيروت.

(٢) نفسه ص ٢٦.

تتفّف أبو نواس ثقافة واسعة فقد أخذ يذهب إلي حلقات المسجد الجامع بالبصرة فطلب علم الحدث علي جلّه من شيوخه منهم الإمام أحمد بن حنبل، وأمّا النحو فأخذه عن أبي زيد النحوي (٢).

يقول ابن المعتز " كان أبو نواس عالماً فقيهاً، عالماً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حظ ومعرفة بطرق الحديث يعرف ناسخ القرآن ومنسوخة ومحكمة ومتشابهة.

كان أحفظ القدماء والمخضرمين و أوائل الإسلاميين والمحدثين (٣). هذه النشأة الثقافية لم توجهه الوجهه الصالحة بل غلب عليه المجون والفسق نتيجة إنغماسه مع المجان العابثين وفي مقدمتهم والبه بن الحباب. الذي تعرّف على أبي نواس وصحبه معه إلي الأهواز، ومهد له طريق الفسق والغواية والفساد، وضمه إلي ساحة أهل المعرفة والخلاء، وفتح الطريق أمامه بحيث أصبح أبو نواس عالماً بين المجان والعابثين. ليس من المهم دراسة تاريخ أبي نواس لأنّ أخباره تعرضت لها كثير من الكتب خاصة الأغاني لأهميتها وشهرتها ، ولكن يهمننا التجديد في شعره من خلاله ديوانه وفنه، إذ يعدُّ بحق شخصية ذات منزلة رفيعة في النهوض بالشعر العربي إلي مستوي جديد من الحداثة المبتكرة المتأنقة السهلة تدرجه أنه بيزاً أقرانه من الشعراء، إذا طلب إليهم في المجلس الواحد أن يعبروا عن موقف أو فكرة أو شعور، فكان أدقهم وأحكمهم وأسلسهم في التعبير، وولّنت ذلك التفوق والتفرد، والتمكن والأقتدار، بالإضافة إلي الخيال البعيد والسرعة في البديهة، نذهب مع هذه الرواية التي تأخذ شكل المباراة الشعرية، ولكن لها قيمتها الفنية. يروى أن الرشيد دخل يوماً علي مقصورة جارية تسمى "الخيزان" علي غفلة منها فوجدها تبترد بالماء ، فلما شعرت به سترت جسدها بشعرها ، بحيث لم ير منها شيئاً فأعجبه فعلها، وتركها وعاد إلي مجلسه ، ونادي

(١) نفسه ، ٢١.

(٢) ابن منظور: أبي نواس : ص ٢١.

(٣) نفسه

من بالباب من الشعراء وحكي لهم ما رأي، وطلب إلي كل منهم أن يصور ذلك  
الموقف شعراً يوافق ما في نفسه، فأنشأ بشار:

تحببتكم والقلب صار إليكم      بنفسي ذاك المنزل المتجيب

إلي أن يقول :

وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا      وكيف وأنتم حاجتي أتجنب  
علي أنهم أحلى من الشهد عندنا      وأعذب من ماء الحياة و أطيّب  
إلي أن جاء دور أبي نواس فقال:

نضت عنها القميصَ لصبّ ماءٍ      فورّد خدها فرط الحياءِ  
وقابلت الهواء وقد تعرت      بمعتدل أرق من الهواءِ  
ومدّت راحة كالماء منها      إلي ماء معدّ في إناءِ  
فلما أن قضت وطراً وهمّت      علي عجل لتأخذ بالرداءِ  
رأت شخص الرقيب علي اقتراب      فاسبلت الظلام علي الضياءِ  
وغاب الصبح منها تحت ليل      فظل الماء يجري فوق ماءِ  
فسبحان الإله وقد براها      كأحسن ما تكون من النساءِ

فقال الرشيد علي الفور ، سيف ونطق يا غلام ، فارتاع أبو نواس ، وقال لم يا  
أمير المؤمنين؟ فأجابه : أكنت معنا؟ قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي: فأمر له  
بأربعة آلاف درهم (١).

سقتنا هذه الرواية لنأكد أن أبا نواس قفز قفزة جديدة بالشعر العربي في  
باب التجديد والحدائثة التي تعني التمكن والاعتدال والسهولة ، والتأثير الفني  
المعتمد علي صدق الحس ورهافة الشعور وسهولة التعبير مع المقدرة الفنية.  
لعل حب الحدائثة والجدّة ، بل المبالغة في الظهور بكل ما هو جديد  
مستحدث، والتنكر لكل ما هو شائع مستقر أو موروث قديم ، كانت تقف وراء  
ثورته علي الأطلال، يضاف إلي ذلك شغفة المبالغ فيه بالخمريات وجنوحه الشاذ  
إلي الغزل بالمذكر.

(١) عباس محمود العقاد: أبو نواس : ديوان ، دار الكتب بيروت ، ص ٢٨.

التجديد عند أبي نواس يكمن بصورة واضحة في شعره في ثورته علي نظام القصيدة التقليدية ما يسمى " بالوقوف علي الأطلال" ثم مجونه في وصف الخمر وغزله الشاذ. وهذا ما فصله لنبيين التجديد في شعره .

### ثورته علي الأطلال:

أن بناء القصيدة العربية ظل يفرض نفسه، كما استقرت تقاليدده في العصر الجاهلي، وظلت هذه التقاليد سائدة طوال العصر الأموي، فلما كان العصر العباسي الأول وجاء دور أبي نواس علي مدرجة السلم العربي، وجدناه قد حمل لواء الثورة علي المقدمة الطللية للقصيدة العربية، ومعروف أن أبرز عناصر هذه المقدمة الوقوف علي الأطلال والحنين إلي المحبوبة، وبكاء الديار والزمن، ولكن أبا نواس رفض تقديس هذه الأمور والالتزام بها، بل سخر منها واستهجنها، ويعدّ أبو نواس صاحب اللواء في الثورة علي هذه المقدمة، رغم أن هناك محاولات سبقته، ولكن دوره كان الدور الرئيس و المعلم البارز في هذا الباب ، بحيث يمكن للدارس أن يتجاوز من عداه عند الكلام علي هذا الدور ، ولكننا نلمح في سرعة تلك المحاولات الأخرى ما دُمننا في سياق التجديد وتبيين طبيعة الدور العميق لأبي نواس في هذا المجال.

كان الكُميت بن زيد شديد الحب لآل البيت ، وقد نادي بترك الوقوف علي الأطلال ، ولكن دعوته آنذاك لم تكن دعوة فنية اجتماعية بل كانت مردها هواه السياسي الديني ، ولكن صوته في الساحة الفنية لم يلق استجابة ولم يترك أثراً . ثم جاء أشجع السلمي ، ونادي بأن مسارح الشباب ، وضروب الملاهي وأنماط الحياة الجديدة أولي بأن تكون موضوع القول في المقدمات ، من ذلك قوله:

مالي وللربيعُ والرسومُ      هنَّ طريقي إلي الهموم  
للحظ طرفٍ وغمزُ كفَّ      وخمرةٌ من نبات ريم  
وريحُ ريحانهٍ بمسكٍ      تدعو نديماً إلي نديم



أحسن من خيمةٍ وربعٍ تجرحه الريحُ والنسيمُ (١).

نجد في طبقات ابن المعتز أبياتاً لأبي حيان الموسوي يدعو فيها إلى نكران الوقوف علي الأطلال وبكائها، بل يتجه إلي وصف الحياة من حوله، وبخاصة مناظر الطبيعة في "قُطْرَبُل" حيث يقول:

لا تَبِكِ هنداُ ولا المِواعيسا      ولا لربِّعٍ عمدتُ مأنوسا  
وقَفَ بقُطْرَبُلٍ ونزْهتها      وأحبس بها عن مسيرك العيسا

هكذا يدعو الشاعر إلي التأمل في جمال الطبيعة، والحياة من حوله بصفة عامة والتخلي عن ذكر هند والبكاء علي الريح والديار، فإذا جاء دور أبي نواس فإنه يبدو في الساحة، وكأنما حمل الراية وحده لأن صاحب دعوة، وصاحب ثورة، وليس مجرد رأى لأن دعوته لعميقة عريضة موجعة ساخرة فها هو يسخر من التمسك بتقليد الوقوف علي الأطلال في قوله (٢):

قل لمن يبكي علي رسم درسٍ      واقفاً ماضراً لو كان جلس  
أتـرك الرّبـعَ وسلمي جانباً      واصطبح كرخيـة مثل القبس (٣)  
نبتُ دهرٍ هُجرت في دنّها      ورمت كـل قذاة ودنس  
كـرم الجوف إذا ما ذاقها      شـاربٍ قُطب منها وعبس  
هكذا يسخر ويدعو إلي الشراب ، وهو يكرر ذلك ويصرُّ عليه بقوله (٤):  
أنس رسم الديار ثم الطلولا      واهجرَ الرّبـعَ دارساً ومحيلاً (٥)  
هل رأيت الديار ردت جوابا      وأجابت لذي سؤال سوؤلا  
واشربنها كأنها عين ديكٍ      يطرد الهمَّ طعمها والغليلا  
هي إذ ما تقلقت في عروقي      عجل الهمم عن فوادي الرحيفا

(١) راجع الأوراق للصولي ، ص ١١٢ ، أخبار الشعراء طبعة ، ١٩٣٤م.

(٢) الديوان ص ٣٠٥ ، ط١ ، دار الكتب بيروت.

(٣) الرضية: من أسماء الخمرة : القبس : الشعلة من النار.

(٤) الديوان ص ٤٢٢ ، دار الكتب ، بيروت.

(٥) المحيلا : الممحو

كما أنه يدعو في نماذج متكررة إلي نبذ حياة البدو بما فيها من عناء وتعب ومشقة وشظف، والإقبال علي حياة الحضر لما فيها من السهولة، والترف في العيش ، وهنا نجده يتأثر بحياة المدينة في ظل الحياة العباسية المترفة والمنعمة فيقول<sup>(١)</sup>:

دَع الْأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجَنُوبُ      وَتَبْلِي عَهْدَ حَدِيثِهَا الْخَطُوبُ

إلي أن يقول في ذلك النص:

دَع الْأَبْلَانَ يَشْرِبُهَا رِجَالُ      رَقِيقُ الْعَيْشِ بَيْنَهُمْ غَرِيبُ  
إِذَا رَابَ الْحَلِيبُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ      وَلَا تَخْرُجُ فَمَا ذَاكَ حُوبُ<sup>(٢)</sup>.  
فَأَطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةً شَمُولُ      يُطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقُ أَدِيبُ  
يَكَادُ مِنَ الدَّلَالِ إِذَا تَثْنِي      عَلَيْكَ مِنْ تَسَاقُطِهِ يَذُوبُ  
فَهَذَا الْعَيْشُ لَا خَيْمَ الْبُؤَادِي      وَهَذَا الْعَيْشُ لَا اللَّبْنَ الْحَلِيبُ

أبو نواس لديه الحدة والسخرية من الأطلال وأصحابها حيث يقول<sup>(٣)</sup>:

عَاجَ الشَّقِيِّ عَلِي دَارِ يَسْأَلُهَا      وَعُجِبْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ الْبَلَدِ<sup>(٤)</sup>  
لَا يَرْفِي إِلَيْهِ عَيْنِي مِنْ بَكِي      وَلَا تَشْفِي وَجَدَ مِنْ يَصْبُو إِلَيَّ وَتَدِ<sup>(٥)</sup>  
حَجْرًا قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ      لَا دَرَّ دَرَكٌ قَلَّ لِي مِنْ بَنُو أَسَدِ  
أَسَدٍ وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيْسٍ      لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدِ  
وَإِخْوَانُهُمْ دَعُ إِذَا عَدِمْتَكَ وَاشْرَبَهَا مُعْتَقَةً      صَفْرَاءُ تَصْنُقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّبَدِ

ولأبي نواس قصيدة رائية تعتبر أكثر وضوحاً وإفصاحاً في حملته علي الأطلال وأهلها ، وفي إقباله علي الحياة الجديدة التي تستلزم التجديد في كل شيء بما في ذلك الأدب عامة والشعر بصفة خاصة، ويؤكد في قصيدته لو كان المحبون العرب القدامى أحياء في هذا الزمان لأحبوا حباً يواكب طبيعة العصر وتطوره وواقعه

(١) الديوان ، ص ٣٥ ، دار الكتب بيروت.

(٢) الحوب: الإثم

(٣) الديوان ، ص ١٤٩ ، دار الكتب بيروت.

(٤) الخمارة: حانوت الخمرة

(٥) لا يرقأ: لا يسكن: المراد بالحجر والوتر : الأطلال الدراسة

مهما كان أليماً مسفأً، فلو كان المرقش حياً لما أحبَّ سميّة محبوبته بل أحبَّ غلاماً، وهذا هو جديد إلي نواس . يقول في رائيته<sup>(١)</sup>.

دَعِ الرُّسْمَ الَّذِي دَثَّرَا	يُقَاسِي الرِّيحَ وَالْمَطَرَ
وَكُنْ رَجُلًا أَضَاعَ الْعِلْمَ	مَ فِي اللِّذَاتِ وَالخَطَرَ
إِنَّكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ	وَرَدْتَ فَلَمْ تَجِدْ صَدْرًا
مَنْ عَجِبَ لِعَشْقِهِمُ الْجُبْنَ	فَاهِ الْجِلْفِ وَالصَّحْرَا
فَقِيلَ مَرَقَشٌ أَوْ دِي أَمَا	وَلَمْ يَعْجِزْ وَقَدْ قَدَّرَا
وَاللَّهِ لَا أَشْهَرَا	حَلَفْتُ بِهِ وَلَا بَطْرَا
لَوْ أَنَّ مَرَقَشًا حَيًّا	تَعَلَّقَ قَلْبُهُ ذَكَرَا

هكذا هو أبو نواس يتحدث لنا عن واقع الحياة التي هي ملاذه ويصرح جهراً بترك التقاليد القديمة من وقوف علي الأطلال وذكر الديار ونبذ الحياة القاسية الصعبة والإقبال علي حياة الحضر السهلة حياة العصر المتعسرة، ولكن هذه الثورة التي أعلنها علي الطلال، كانت مسار جدل ووجهات نظر متباينة عند النقاد والدارسين نعرض لها بإيجاز وندلي رأينا في هذه القضية.

١/ يري الدكتور طه حسين أنّ أبا نواس يدعو إلي مذهب جديد ، وهذه الجده التي يدعو إليها لم تكن أمراً طارئاً في حياته وحياة الناس، بل كانت هي الأمر الواقع في التطور الاجتماعي والثقافي والأدبي ، ولكن الفرق يبقي في التنبيه لهذا الجديد وفي الاعتراف به والدعوة إليه<sup>(٢)</sup>.

ثم يضيف الدكتور طه حسين إلي مقتضيات التجديد الفني والحضاري اللذين أغرم بهما أبو نواس، سياسياً حيث يقول: " علي أنّ المذهب الجديد علي حسنه واستقامته، وعلي أنّ أبا نواس موفق فيه، لم يسلم من أشياء تمكنا من أنّ نفهم بغض الناس له ونعيمهم عليه، فهو ليس مذهباً شعرياً فحسب، وإنما هو مذهب سياسي أيضاً، يذم القديم . لا لأنه قديم بل لأنه قديم ولأنه عربي، ويمدح الحديث

(١) الديوان ، ص ٢٨١ ، دار الكتب بيروت .

(٢) طه حسين: حديث الأبعاء، ٩٤/٢-٩٧ .

لا لأنه حديث بل لأنه حديث، ولأنه فارسي، فهو أذن مذهب تفضيل الفرس علي العرب مذهب الشعوبية المشهور<sup>(١)</sup>.

فالدكتور طه حسين يرى مذهب أبي نواس كان شعوبياً ، ولكنه غير ذلك في نظرنا، بل كان مذهباً فنياً أساسه حب الحضارة التي يحيها ويعيش أيامها ، وحب الصدق الفني والصدق النفسي.

فيما يتصل بالصدق الفني والنفسي يقول الدكتور طه حسين: " كان أبو نواس إذن حين يصف الخمر أو حين يتغزل يقصد إلي ما يقصد إليه الشعراء المجيدون من وصف الحسي والشعور، وتمثيل العاطفة تمثيلاً صحيحاً. كان أبو نواس يريد أن ينهج بالشعر منهجاً جديداً، لم ينتهجه المتقدمون، أو قل أنهم نهجوه ولكنهم لم يشعروا بذلك، ولم يتخذونه عقيدة أو مذهباً في الأدب، كان يريد أن يتخذ الشعر لساناً للحياة الحاضرة. وأن يعدل أسلوب القدماء في وصف الأطلال والبكاء عليهما، وفي تغني الإبل والشاه، إلي وصف الحياة التي يحيها الشعراء والمستمعون لهم، إثارة للصدق وبعداً عن الكذب، بل كان أبو نواس إذن في هذا الشعر المخالف للأخلاق وأصول الفضيلة، محباً للأخلاق وأصول الفضيلة كان يؤثر الصدق وينكر الكذب..."<sup>(٢)</sup>.

فالأصل عندنا في مذهب أبي نواس هو التجديد الذي أساسه الصدق الفني والنفسي ، والتعلق بتطور الحياة إلي حضارة جديدة شُقق منها أبو نواس بحياة اللهو واللذة والترف ، ولذلك يكون من الصعب عليه أن يتجه بهواه إلي تقاليد الحياة الجاهلية الجافة ، يعشقها ويتغني بها ويكون فيها صادقاً مع نفسه وحياته وفنه، ولذلك لا نتفق مع الدكتور طه حسين في فكرة الشعوبية عند أبي نواس بمعناها السياسي.

٢/ يرى الأستاذ عباس محمود العقاد: أن مركب النقص كان يعثور أبا نواس بسبب إقتناعه بالطعن في نسبه، وأبو نواس تشبث بسبب هذا الإحساس بكنيته

(١) نفسه ٩٠/٢

(٢) طه حسين: حديث الأربعاء ٤٣/٢ ط ١ ، دار المعارف القاهرة.

فراراً من نسبه المدخول، وكانت العقدة تعمق في باطنه أكثر وأكثر نتيجة اهتمام العصر بالنسب<sup>(١)</sup>.

نتيجة مركب النقص الذي لزمه من الطعن في نسبه ، وسط مجتمع شديد الاهتمام بالنسب ومراتب شرفه ، ووجاهته، كان إيمانه الخمر وهيامه بها وحفاوته بمجتمعها " فهو يشرب الخمر لأنها شراب الملوك ، أو الشراب العريق الذي عاش مع أجداده الأكاسرة ، والقيصرة... وهو يستريح إلي شربها حيث لا فخار بالآباء و الأجداد ، وبين القدامى الذين يهابونه ويتذللون بين يديه.... وجنونه المتسلط أن يفتح كل خمرية ، أو يتخللها بالنعي علي الطلول والرسوم ، ومن يذكر الطلول والرسوم... والهدف من ذلك النعي علي الرسوم والطلول إنما هو الإزراء بأهلها وبعيشتهم وفخارهم الذي عزّ عليه أن يجاريهم فيه ، والإشارة بالخمر التي لا يدرك الكفاءة لها كل شارب ولا يسمو الشاربون لها إلي مثل شمائل أبي نواس ، لا جرم تصبح المنادمة قرابة تغني عن قرابة النسب بين أناس لا يتفاخرون ولا يتعاطون.

يتضح من كلام العقاد إنّ جانباً من جوانب أعراض أبي نواس النفسية كانت تربطه بالخمر ، وكانت تحرّضه في الوقت نفسه علي ذم الطلول والسخرية منها ومن أصحابها.

لكن هجوم أبي نواس علي الأطلال وأصحابها أتخذ في بعض أبعاده بعداً سياسياً لدى معاصريه ، يقول العقاد: " ولم يخف علي أحد من أبناء عصره ما كان يعنيه بالاتجاه علي الأطلال، وباللجاجة في هذه الأثناء ، ولم يكن هو يخفي مقصده منه وهو يتبعه بالأثناء علي الأعراب من كل قبيل ، ويقابل بيت الخيام وإيوان كسرى، وبين الزروب والميادين ، فلهذا نهاه الخليفة عن الاستمرار في هذه اللجاجة، وأمره بوصف الأطلال فقال<sup>(٢)</sup>:

دعاني إلي وصف الأطلال مُسلط<sup>(٣)</sup> لقد ضقت ذرعاً أن أجوز له أمراً<sup>(١)</sup>

(١) عباس محمود العقاد: أبو نواس ، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) أبو نواس - الديوان ص ٢٠٢.

(٣) المسلط : السلطان

فليس اللهج بالنعي على الطلول دعوة إلى التجديد كما يترأى من النظرة السطحية إلى ظاهر العبارة، ولم يأمره الخليفة بالكف عنه لأنه تجديد ينكره، ولكنه فهمه علي معناه الذي لا يفهم سواه من هذا التهوين بتحقيق الأطلال وأهل الأطلال وخشي من مغبته بين القبائل المتحفزة في تلك الآونة، فنهاء نهيا عن هجاء سياسي لا تحمد عقباه. وبعد فهل كان أبو نواس ليتجنب بكاء الأطلال إيثاراً للتجديد أو إيثاراً لمذهب كائناً ما كان من المذاهب الفنية؟. كلا فإنه لم يدع إلي تجنبها إلا ليستترد من ذلك إلي النعي علي أهلها ومفاخر أنسابها ، و إلا فمطالعه في بكاء الأطلال تزيد عن مطالع الشعراء من معاصريه أو المتقدمين عليه<sup>(٢)</sup>.

وفي رده يري الباحث أن أبا نواس صاحب مذهب فني واتجاه تجديدي حضاري قوامه الصدق الفني النفسي. أما كلام العقاد في قوله بأن في عصره ولا سيما الخلفاء قد فهموا موقفه من السخرية بالأطلال وإهمالها فهماً سياسياً ، قوله حق، لأن هذا الفهم السياسي حق العصر الذي عاش فيه أبو نواس ، خاصة وأن العباسيين كانوا يعتمدون علي العنصر الفارسي في تدبير شؤون الدولة وكانوا يحرصون بشدة علي احترام كل ما هو عربي، والدفاع عنه، حتى لا يتهموا عند شعبهم العربي من وراء تنكرهم للعروبة في إسلامهم، ولذلك كانوا يؤكدون عروبة التقاليد، وهذا التفسير السياسي من الخلفاء والنقاد، حماة التراث وسدنة اللغة والتقاليد هو التفسير الفني الصحيح الذي نقله بعيداً عن عصرهم، وتفسير أهل العصر هو التفسير المناسب لظروفهم الاجتماعية والسياسية.

مذهب العقاد في التفسير النفسي اتجه إلي الكشف عن العقد النفسية المتصلة بمرض النرجسية عند أبي نواس ، وفي حدود الكشف عن العقد المختلفة التي أورثته الرغبة في المخالفة لما هو شائع ومستقر ، والتي شكلت أنماطاً شتى في سلوكه وتفكيره منها إدمانه الخمر ولاحقاره الأنساب أو تذويبه لقيمتها رغبة في التعلق بقيم أخرى ، ولكن الشخص يقاس بخصائصه وخلائقه وأنماطه وسلوكه ، ويخضع لأي تفسير من التفسيرات ، والمهم أنه مقتنع بنمط سلوكه وتغيره وأنه

(١) أجوز : أخالق

(٢) عباس محمود العقاد: أبو نواس ، ص ١٤٢-١٤٤.

صديق مع نفسه رغم إخفاء دوافعه ومكونات عقده، ومنايع اعتقاده وتفكيره، وهذا ما نراه، وفي تفسير الظاهرة الفنية لدى أبي نواس فهي سياسة عند أهل عصر أبي نواس، وعند العقاد، أي: هي شعوبية في آخر الأمر، وليست كذلك في نظرنا، لأن تفسير أهل العصر هو التفسير النفسي لموقف أبي نواس، وهو في نظري موقف فني واضح يمثل الاستجابة الصحيحة لصدق نفسه مع واقعه الاجتماعي وواقعه الفكري والسلوكي وموهبته الفنية ذات الطاقة التعبيرية الغادرة علي تصوير كلما تحسه وتلذه وتحياه.

أبو نواس نفسه يؤكد أن مذهبه فني، وأنه اتجه إلي حضارة عصره ومجتمعه، وأنه لم يكن يهدف إلي إثارة الصدق في الفن.  
من ذلك قوله<sup>(١)</sup>.

صَفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ القِدْمِ	فَأَجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنِهِ الكَرَمِ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ التِّي جَعَلْتِ	سُقْمَ الصَّحِيحِ وَصَحَّه السُّقْمُ
فَعَلَامَ تَذْهَلُ عَنِ مُشْعَشَعَةٍ	وَتَهِيمُ فِي طَلِّ وَفِي رَسْمِ
تَصْفُ الطَّلُولَ عَلِي السَّمَاعِ	أَفْذُو الْعِيَانِ كَانَتْ فِي الْعِلْمِ

بها

أساس الدعوة عنده ترجع إلي ضرورة الصدق مع النفس ومع الفن وتتصل اتصالاً قوياً بموقفه مع رفض المجتمع والثورة عليه، الذي يتمثل أقوي ما يتمثل في تنكره للعرف والتقاليد الاجتماعية، إذ يجد متعة ولذة في المخالفات للعرف والتقاليد. وهذه الفكرة تقف وراء شذوذه في الغزل بالذكر ووراء اسرافه في اللهو والمجون، وهكذا تتنوع الأسباب في شخصية أبي نواس، لكنها تفرز في النهاية ظواهر سلوكية وفكرية وفنية تتسق تمام الاتساق مع شخصيته.

لأهمية تلك الظاهرة حرصنا علي تناولها في بحثنا عن التجديد في شعر أبي نواس لأنها تعدُّ واحدة من الظواهر البارزة عن التجديد في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، حيث إنَّ الشاعر حاول تغيير نمط القصيدة الجاهلية في

(١) ديوانه: ص ٤٥٩ ط دار الكتب العلمية بيروت

افتتاحيتها، وما كان معهوداً عند الشعراء القدامى، ثم تعرضنا إلي آراء بعض النقاد حول ثورته علي الأطلال لنضيف بعداً جديداً للقضية ثم وضحنا ما نراه. لعلّ الشاعر يظهر تجديده فيما ذكرنا من ثورته علي الأطلال ونظام القصيدة القديم، ثم خمرياته، وغزله الشاذ بالمذكر.

### شعر الخمر والمجون:

بعد أبو نواس زعيم المجددين لهذا الفن عند كثير من النقاد، رغم أن وصف الخمر قد تناولها الجاهليون قبله ، ولكنهم لم يكونوا يمضون في هذا الوصف إمعانهم في وصف الخيل والإبل لأنهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش، بحيث يستطيعون أن يعكفوا عليها<sup>(١)</sup>.

لما جاء العصر الأموي ضعف سلطان الدين بعد عصر الراشدين، حيث الفرق الولاية إلي السياسة؛ ومشاكلها وأعبائها، وحيث جنحت الحياة الأموية إلي ضروب من اللهو وألوان من اللذة لا سيما في الحجاز والكوفة، وظهر كثير من المجان وأصحاب اللهو، ثم يرتقي المجتمع في الكوفة خطوة في سلم اللهو تكثر جماعات المجان وأصحاب السوء، ويرتفع نقاب الحياة تماماً عن وجه المجتمع، وتتحول الأنعام الهادئة إلي أنعام صارخة صاخبة، يصبح الشاطئ الكوفي مسرحاً صاخباً لا يسمع فيه العزف المنفرد الذي كان يسمع من قبل، وإنما تروي فيه مجموعات ضخمة تعزف بآلات موسيقية مختلفة، وهذا اللهو والمجون يكون بين الشاطئين: الأموي والعباسي، حيث أخذت جماعات المجان ترفوقه مخلفة ورائها الفضيلة التي صرعت علي مذبح اللهو والمجون والخلاعة، لتستقبل علي الشاطئ الأخر الرزيلة، وقد جردت من ثيابها جميعاً، وبسطة ذراعيها لتضم إلي أحضانها هؤلاء الوافدين من طلابها<sup>(٢)</sup>. وتبلغ النظرية مداها ويتساقط شباب الكوفة في حماتها المظلمة، وكلما اشتدت ظلمة الهاوية زاد عدد المتخبطين فيها ، وفي

(١) يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة.

(٢) الأغاني ٧٥/١٢ ساسي



أعماقها السحيقة مضت جماعات من الشعراء تضرب علي غير هدى ، وقد أَلَفَّ  
اللهو بينهم وربط المجون بين أسبابهم ، كلهم فاسق، وكلهم خليع ماض ، وكلهم  
سكير متهم ، في دينه منهم ، مطيع بن إياس<sup>(١)</sup> ، و حماد عجرد ، و حماد  
الراوية، و حماد الزيرقان<sup>(٢)</sup>. ويحي بن زياد<sup>(٣)</sup>. وآدم بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup>. ووالية ابن  
الحياب ، أستاذ أبي نواس في الخمر.

الشيء الذي لا شك فيه أن هذا الأدب المكشوف لم يظهر من قبل في الشعر  
العربي بهذه الصورة ، وإنما يدين بظهوره لهذه الطائفة من الشعراء المذكورين ،  
وغيرهم أكثر ، فهم أصحاب المدرسة الأولى في فنّ الخمر ووصف شرابها وكل ما  
يتعلق بها وأبو نواس يعد زعيم الخمریات، حيث جعلها فناً مستقلاً وتفنن في  
تضيف معانيها ، وجنّ في الهيام بها ، وجعلها راية التجديد في شعره عندما رفع  
المعول لهدم القديم في بناء القصيدة ، وهي معينة إلي كل لهوه وعبثه ومجونه ،  
وهي ميدان إبداعه المحدث جدة صياغة ووفرة معان ، وكل ذلك نجده في ديوانه  
الذي يحمل اسمه، وهو ملئ بالحديث عن الخمر وصنعها ووصف كأسها ومجالس  
شرابها ، وتجديده يكمن في الصياغة الجديدة والمعاني المنتقاه بما يلائم شرب  
الخمر ، ومجلسها ، ووصفها وصفاً دقيقاً هي وكأسها ومن يقدمها ، ولنستمع إليه  
يقول:

يا غلامَ المدامِ والكأسِ والطا      سي وهبيّ لنا مكاناً كأسِ  
واسقتنا يا غلامُ حتى ترانا      لان نطيقُ الكلامَ إلا بهمسِ  
خمرةٌ قيل أنها عَصروها      من خُدودِ الملاحِ في يومِ عرسِ

فأبو نواس كان محباً للخمر متيماً بها وقد صارت الخمر حياته وكل همه ،  
وهو أيضاً رفع من شأنها بتقديسها وهو الذي يقول<sup>(٥)</sup>:

يا خليلي قد خلعتُ عذارِي      وبدا ما أكنّ من أسراري

(١) الأغاني ٧٠/١٣ ساسي

(٢) الأغاني ٧٧/١٢ ساسي

(٣) الأغاني ٥٨/١٤ ساسي

(٤) الأغاني ١٤٢/١٦ ساسي

(٥) الديوان ص ٢٢٢ دار الكتب الطيبة ، بيروت

فأشربا الخمر وأسقياني سُلَافاً  
عُتِّقْتُ بَيْنَ نَرْجَسِي وَبِهَارِ  
لَبِثْتُ فِي دَنَانِهَا أَلْفَ شَهْرٍ  
لَمْ تَفْحَصْ وَلَمْ تَعْدَبْ بِنَارِ

قد أبدع أبو نواس في وصف الخمر ووصف كأسها ومن يشربها ويقدمها ويصف مجالس شربها ، وكل ذلك في دقة فائقة وسهولة متناهية ، وكان يختار الألفاظ التي تؤدي المعنى تماماً وتتناسق مع صورته وخياله. وكان يصف الخمر بدقة سواء كانت في الحانات أو في الحدائق كما كان يصفها من قبله ، ووصفه الدقيق لهذا الفن يعتبر جديداً من عدة جوانب منها الصورة والخيال ، اسمه يقول<sup>(١)</sup>:

يا ليلة طاب لي بها الأرقُ  
نسقي سُلَافاً من نبت دسكرة  
أختارها في القطافِ سائماً  
نازعاً لها ساحةً غطارفةً  
يسقون من قهوةٍ مُعْتَقَةٍ  
جاء بها كالخلوق في قَدَحِ  
كأنَّ ابريقنا إذا صُفِّقَتْ  
كأنها والمزاجُ يترعها  
كأنها حُفٌّ من قراقرها  
في مجلسٍ ليس فيه فاحشةٌ  
حتى بدأ من صباحها الفلقُ  
ما شابها في دنانها الرنقُ<sup>(٢)</sup>  
حُمراً وسوداً كأنها الحُذْقُ  
كأنهم من شقيقة شُققوا<sup>(٣)</sup>  
لها دبيبٌ في المخِّ يستبقُ  
تزهو في جوفه فتألقُ<sup>(٤)</sup>  
في الكأس شيخٌ مزْمِزٌ شرقُ  
شهابُ نارٍ في الجوِّ يحرقُ  
لطوقها جُدُ حيةً يقفُ<sup>(٥)</sup>  
إلا ، حديثٌ ومنطقٌ أنقُ

وقد تأثر أبو نواس بشعراء الخمر الذين سبقوه وخاصة الوليد ابن يزيد الذي كان له أكبر الأثر في أبي نواس، وتأثر بالحسين بن الضحاك في لهوه ومجونه ، وعكاشة<sup>(٦)</sup>. العمي شاعر الخمر الذي سبق أبا نواس وعصره ،

(١) الديوان ، ص ٣٦٨ دار الكتب الطبية ، بيروت

(٢) الدسكرة: فارسية ، تعني بيوت اللهو والشراب.

(٣) الغطاوقة: الواحد غطريف وهو الشاب الظريف ؛ الشقيقة : شقائق النعمان

(٤) الخلق: نوع من الطيب ، تزهو م تزهو وتضيء.

(٥) القراقر: صوت الفقاقيع ، اليقف : الأبيض.

(٦) الأغاني ج ٣، ص ١٦-١٧.

ومنشأة هو منشأ أبي نواس في البصرة ، وبنو العم المنسوب إليهم عكاشة من تميم ، وطريقته هي طريقة أبي نواس ، وكان يعمق الخمر أيام المهدي . وطريقة عكاشة هي طريقة أبي نواس في الخمر .

وأبو نواس يقسمها إلي عدة عناصر هي: تحية المجلس، وذكر الندامي ووصف مكانة الشراب، ووصف الخمر وفعلها، ولوعتها قبل المزاج وبعده، ثم وصف الساقى، والغناء في المجالس والمغنية، وواقع ذلك في نفوس الشرب وهذه الصورة تدل علي التجديد الذي أدخله أبو نواس في الخمر ، حيث الدقة في الوصف ومزج ذلك بالخيال البعيد ولتبيين ذلك اسمع إليه يقول<sup>(١)</sup>:

وَأَمَلَهُ دَيْكُ الصَّبَاحِ صَيَّاحًا <sup>(٢)</sup>	ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُخْرِهِ فَارْتَاخَا
غَرْدًا ، يُصَفِّقُ بِالْجَنَاحِ جِنَاخَا	أَوْ فِي عَلِي شَقْفِ الْجِدَارِ بِسُدْقَةٍ
كَمَسُوفِينَ غَدُوا عَلَيْكَ شِحَاخَا <sup>(٣)</sup>	بَادِرِ صَبَاحِكَ بِالصَّبُوحِ ، وَلَا تَكُنْ
بَدَرْتَ يَدَاهُ بِكَأْسِهِ الْإِصْبَاحَا	إِنَّ الصَّبُوحَ جَلَاءَ كُلِّ مُخْمَرٍ
يَقْتَاتُ مِنْهُ فَكَاهَةٌ وَمُزَاخَا	وَحَدَّيْنِ لَذَاتٍ ، مُعَلِّ صَاحِبِ
وَأَزَحْتَ عَنْهُ حُنَّائَهُ فَاَنْزَاخَا <sup>(٤)</sup>	نَبَّهْتَهُ وَاللَّيْلُ مُنْتَبِسٌ بِهِ
حَسْبِي وَحَسْبُكَ صَوْوُهَا مِصْبَاخَا	قَالَ : أَبْغَيْي الْمِصْبَاحُ ، قُلْتُ لَهُ : أَتُنْدُ
كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَّاحَا	فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزُّجَاجَةِ شَرِبَةً
عَطَلًا فَالْبَسِيهَا الْمِزَاجُ وَشَاخَا	مِنْ قَهْوَةٍ جَاءَتْكَ قَبْلَ مِزَاجِهَا
أَهْدَتْ إِلَيْكَ بِرِيحِهَا تَقَاخَا	شَكَّ الْبِزَالُ فَوَادَهَا فَكَانَمَا
مِنْهَا بَهَنَ سَوَى السَّنَانِ جِرَاخَا	صَفْرَاءُ تَفْتَرِسُ النُّفُوسَ فَلَا تَرَى
حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّامَةَ بَاخَا	عَمَرْتَ يَكَاتِمَكَ الزَّمَانُ حَدِيثُهَا
لَوْلَا الْمَلَالَةُ لَمْ يَكُنْ لِيُبَاخَا	فَأَبَاحَ مِنْ أَسْرَارِهَا مَسْتَوْدَعَا
فَازْهَنَنَّ وَأَثْبَتَ الْأُرُوحَا	فَأَتَتْكَ فِي صُورٍ تَدَاخَلُهَا الْبَلِي

(١) الديوان: ص ١٢٣ .

(٢) الصبوح : الخمر .

(٣) المسوفون : المطوفون .

(٤) الحنات : بقية النوم .

فكأنها ، والكأس ساطعةً بها صُبِحَ تقاربَ أمره، فأنصاحا

فمعاني أبي نواس في هذه القصيدة نفس المعاني عند الشعراء الذين سبقوه ولو أمعنا النظر في القصيدة نحو الروعة في كل شيء، في النغم المنساب عدوبه جمالاً، والألفاظ التي تلائم تماماً المعاني المطلوبة ثم نلاحظ الصور الرائعة لديك وهو يصيح طرباً مصفقاً بجناحيه ويستقبل الصباح وما اجمل التكرار في قوله (يصفق بالجناح جناحا) والخيال الرائع في استخدامه اللون البياني (الديك يصفق). ثم نلاحظ الصورة الأثرة ذات الشفافية للشراب في كأسه وأروع من ذلك طريقة التصوير حيث يقول:

قال أبغني المصباح، قلت له: أتتندأ حسبي وحسبك صوؤها مصباحا

فسكبت منها في الزجاجة شربةً كانت له حتى الصبح صبّاحا

للصورة عند أبي نواس من أوضح ملامح التجويد في شعره ، حيث يركز عليها دائماً ويكثر من الصور المتتابعة في البيت الواحد أو في الأبيات المتلاحقة، ومع ذلك فأنت قريب من الطبع بعيد عن الصنعة شأنه شأن الصانع الحاذق<sup>(١)</sup>.  
أسمعه يقول<sup>(٢)</sup>:

بين المدام، وبين الماء شحناءً تتقدّ غيظا ، إذا ما مسها الماءُ

حتى تُري في حوافي الكأس أعينها بيضاءً وليس بها من علة داء

كأنها حـيـث تمطو، في أعنتها من اللطافة في الأوهام عنقاء

تبني سماءً علي أرض مُعلقة كأنها علق والأرضُ بيضاء

نجـومـها يقق في صحبتها علق يُقلها من نجوم الكأس أهواء

جلت علي الوصف، حتى ما يطالبها وهم فتخلفها في الوصف أسماء

تقسمتها ظنون الفکر، إذ خفيت كما تقسمت الأديان آراء

من كفّ ذي غنج حلو شمائله كأنه عند رأي العين غذراء

له بكيـت كما يبكي النوى رجل علي المعالم والأطلال بكاء

كذلك قوله في صورة الرائم للخمر<sup>(١)</sup>:

(١) نجيب البهيتي : تريخ الشعر العربي ، ص ٤٣٦ .

(٢) الديوان: ص ١٧ دار الكتب العلمية.

كأنها دمعة في عين غانيه      مرهء رقرقها ذكر المصيبات<sup>(٢)</sup>

تنزوا إذا مسها قرع المزاج كما      تنزوا الجنادب أوقات الظهيرات<sup>(٣)</sup>

وتكتسي لؤلؤات من تعطفها      عند المزاج شببهات بووات

ويتسم شعر أبي نواس بالوضوح خاصة في وصف الخمر، وذلك ركن هام في تصويرها وأن الأضواء تلتقي وتفترق ، وتشق ، وترق ، وترق رقيق الزهر وتلطف لطف النور، وقد تتعدد الألوان حتى تجمد دراً وذهباً وبلوراً وهذا نمط جديد في شعر الخمرة عنده أنظر قوله:

صفراء تحكي التبر في حافاتها      عقد الحباب كلؤلؤ متبدد<sup>(٤)</sup>

لما أخذنا بها صهباء صافية      كأنها البدر وسط الكأس تتقد<sup>(٥)</sup>

وقوله:

الخمر تفاح جري ذائباً      كذلك التفاح خمر جمده

فأشرب علي جامد ذاً نوب ذاً      ولا تدع لذة يوم لغد<sup>(٦)</sup>

وقوله:

وكان أفداح الزجاج، إذا جرت      وسط الظلام كواكب الجوزاء<sup>(٧)</sup>

يسعي بها من ولد يافث أحور      كقضيبي بأن فوق دعص نقاء

رقت علي الماء حتى ما يلائمها      لطافة وجفاء عن شكلها الماء

فلو مزجت بها نوراً لمازجها      حتى تولد أنواراً وأضواء

ويظهر في شعر الخمر عند أبي نواس تجريد المادة واستقلال الفلسفة ، حيث نلاحظ في شعره بعض الأبيات التي يحول فيما الشاعر الثمر إلي كائن من نور وشعاع قد تجرد من مادته ، وفي هذه الأبيات يستقل إدراكه بعلم الفلسفة وما

(١) الديون : ص ١٠٠ .

(٢) المرهء: العين التي ليس بها كحل

(٣) اللؤلؤات: الفقايع علي سطح الخمرة ، تشبه اللؤلؤات في شكلها واستدراتها.

(٤) الديوان: ١٥٦

(٥) نفسه ، ١٥٣

(٦) نفسه: ص ١٥٥

(٧) نفسه: ص ٢١ .

انتهي إليه العلم والفلسفة في عصره من إدراك تجرد المادة ، وانتمائها إلي ما يشبه العدم ، وهذه طريقة جديدة وأسلوب جديد في نظم الشعر وخاصة وصف الخمر . يقول<sup>(١)</sup>:

تخيّرْتُ والنجومُ وقفٌ      لم يتمكنَ بما المُدارُ  
فلم تزلَ تأكلُ الليلي      جُثمانها ما بها انتصارُ  
حتى إذا ما ماتَ كلُّ ذامٍ      وخلصَ السرَّ والنجارُ  
عادت إلي جوهر لطيف      عيانُ مَوجوده ضُمارُ  
كأنَّ في كأسها سراياً      تخيله المَهْمَةُ القفارُ  
لا ينزلُ الليلُ حيثُ حلتُ      فليلُ شرابها نهارُ

تأمل كيف استطاع الشاعر أن يحول الفلسفة: إلي شعر رائع فائق بقدره متناهية ، وأنظر إلي أي مدى أستقل أبو نواس نظرية التحول بالقدم كما لنا القول بأن أبا نواس في وصفه للخمر يعتبر رائداً ومجدداً في هذا الميدان للشعر ، ونواحي التجديد في شعره واضحة ، في اللفظ والصورة وولوعة بالألوان واستقلاله للفلسفة والعلم وتحويلها إلي شعر وهذا ما يهمننا كثيراً في هذا المبحث. ثم نتناول جانباً آخر من جوانب التجديد عنده في غزله بقسميه الشاذ والضعيف<sup>(٢)</sup>.

الغزل عنده:

اشتهر أبو نواس بنوعين من الغزل: الغزل الأنثوي الذي يتوجه فيه بالقول والنجوى إلي محبوبية كما هو معروف في الطبائع والغرائز ، وغزل آخر شاذ هو الغزل بالمذكر ، وأبو نواس من ارق الشعراء في الغزل وأقدرهم عليه، وأكثرهم تفنناً فيه ، أضف إلي ذلك، إنه خليع ماجن ، ولذلك يؤخل فيه افتتان الخلاعة واللهو ما يجعله أكثر تأثيراً وقرباً من الطبائع والغرائز ، ولعلّ من أروع وأبدع ما

(١) الديوان: ص ٢٠٥ دار الكتب.

(٢) الديوان: ص ٢٠٥.

قاله في شغفة بالمحبوبة وإقباله عليها في خيال مهذب بعيد الإسفاق بتلقائية تامة قوله<sup>(١)</sup>:

أتاني عنك سبك لي فسبي      أليس جري بفيك اسمي فحسبي  
وقولي ما بدأ لك أن تقولي      فمــــا إذا كله إلا لحبي  
فصارك الرجوع إلي وصالٍ      فما ترجين من تعذيب قلبي  
تشابهت الظنون عليك عندي      وعلم الغيب فيها عند ربي

ويسرف كثيراً في وصف الجمال الجسدي ، وهو حيث يبعد عن الإثارة يستطيع أن يبدع صوراً شتى من المحاسن الجسدية التي تدل علي إسرافه علي نفسه في تتبع المرأة والإعجاب بها من ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

وعاري النفس من حلل العيوب      غدا في ثوب فتان ريب  
براه اله حين برى هلالاً      وخفض عنه متقطع القضيب  
فيهتزّ الهلال علي قضيب      ويهتزّ القضيب علي كتيب

الذي يلفتي حقاً تلك المعاني المختارة بدقة وإناقة تامة ثم الألفاظ الموصية مع الدقة في الوصف كل ذلك يصيب في قلب شعري رائع جميل مع إنسياب موسيقي بحر الوافر المناسبة إلغاً عزوبة وسهولة، ومن روائع غزله ، قوله<sup>(٣)</sup>:

ياقضىــــيباً في كتيب      ثم في حــــسنٍ وطيب  
يا قــــريب الدارٍ ما وصــــ      لــــك مني بقريب  
يا حبيبي بــــأبي أنــــ      سيــــتني كل حبيب  
لشــــقائي صاغك الــــ\* \* \*ه حبيباً للقلوب

ويسترسل في استخدام البحور القصيرة ذات الموسيقى العذبة والنعيم الشجي والمعاني المتأنقة مع خفة الألفاظ ، وسرعتها ، اسمع قوله: من بحر المغتضب<sup>(٤)</sup>:

(١) الديوان: ص ١٢٣

(٢) ديوانه: دار الكتب العلمية بيروت، ص ٥٥

(٣) ديوانه: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٥٥

(٤) نفسه ص ٤٧ .

حاملُ الهوى تعبُ	يسـ تخفهُ الطربُ
إنْ بكـي يحقُّ له	ليس ما به لعِبُ
تضحـكين لأهيةً	والمحبـب ينتجبُ
تعجبينَ مِنْ سـقـمي	صـحـتي هي العجب
كُلُّما انقضي سببُ	منك عادلي سنبُ

فالتجديد في غزله يكمن في ابتكاره للمعاني وتوليدته لها مع شفافيته ، ثم قدرته من الاقتراب من المعنى الواحد والموقف الواحد، ومن ثم فغزله يتسم بالرقّة والموسيقي العذبة، ويلذّ القارئ ترديده والاستماع إليه ، وساعد علي رفته استخدامه للبحور القصيرة في الشعر كما في النموذج أعلاه ، مستخدماً مجزوء الرمل والوافر قبله ثم المقتضب لتلائم الموسيقي والمعنى وتمثل قمة الإبداع ، وفي شعر الغزل عنده لا تجد قلبي المحب الذي هزه الشوق ويراه الوجد، ولكنك تجد قلباً أترع بالثروة وحببت إليه الشهوات فهو جليس شذاذ منحدرين غارقين في الإباحة والقي. فهو يحب كل جميلة، ويعشق كل مليحة ويتوق إلي معني الأوثثة أينما كانت.

وأبو نواس بارع في الغزل الشاذ الذي يعرف باسم " الغزل بالمذكر" نفس البراعة في الغزل المؤنث وهو بذلك يمثل قمة الفسق والمجون، أما من الناحية الفنية في الشعر فهو من الموضوعات الجديدة التي برع فيها أبو نواس. وفي ديوانه نماذج كثيرة تدل علي إسرافه في توليد المعاني المتصلة بهذا الموضوع، وتدل علي فرط هواه الذي يبدو لكثير من الدارسين كأنما يدفع عن نفسه عاراً لحق به ولا يجد وسيلة سوى أن يشيع روح هذا التحليل حتى تبدو هذا المرض المختلط سمة عامة تغمر أفراداً متعددين في المجتمع، وبذا يصبح صاحب هذه الآفة أنساناً متساوياً مع الآخرين في وجهة هذه التهمة ، إذ التهم الأخلاقية تعظم حيث تسود الفضيلة وتشيع الرزيلة.



وفي ديوانه نماذج كثيرة لهذا النوع من الغزل الشاذ يصف فيها المذكر أو الغلمان أوصافاً تعكس عن شذوذه ورغبته في مداعباتهم والشهوة إليهم ، ويصوغ ذلك بأسلوب فني دقيق يقول<sup>(١)</sup>:

قال الوشاةُ بدت في الخدِّ لحيتهُ  
الحُسنُ منه علي ما كنتَ أعمدهُ  
أبهي وأكثر ما كانت محاسنهُ  
وصار من كان يلحي في مودته  
فقالتُ لأتكثرُوا ماذاكَ عائبهُ  
والشعرُ جـرزلهُ فمن يطالبهُ  
إن زال عارضهُ وأخضرُ شاربهُ  
إن سيل عني وعنه قال: صاحبهُ  
وقوله أيضاً<sup>(٢)</sup>:

ما أستكمل اللذات إلا فتي  
هذا يقـويه، وهذا إذا  
وكلما أشـتاق إلي قبلة  
نشربها صرفاً ولم نقترع،  
يشربُ والمـردُّ نداماه  
ناوله القهوة حـياه  
من واحد ما كان أحلاه  
وشـرطنا من نام نلناه  
وقوله يصف غلاماً:

لم ينسني السعي والطواف ولا الـ  
قضيـبُ بانٍ أن قام ينخزلُ  
ميسان من حيث ما عطف له  
تخالُ خديه لإحمرارهما  
يراه كسـلان من تساقطهُ  
يجلُّ أن تلحق الصفات به  
داعون لما ابتهلن وابتهلوا<sup>(٣)</sup>  
وأن تـولي فكله كفل<sup>(٤)</sup>  
حياك وجـههُ بحسـنهُ المثل<sup>(٥)</sup>  
يُفتح الـوردُ فيهما الخجلُ  
وما به غيرُ نعمةٍ كسـلُ  
فكلُّ حـسنٍ لحسـنـه خول<sup>(٦)</sup>

وهذا النوع من الغزل الشاذ انتشر في العصر العباسي علي يد مجموعة من المجان المنحرفين من العرب والأجانب علي السواء ، كانوا يجتمعون ولا يفترقون

(١) الديوان: ص ٥٩.

(٢) نفسه ، ص ٤٣٥.

(٣) السعي والطواف: من أركان الحج.

(٤) ينخزل يمشي في تناقل

(٥) الميسان: المائل، عطف له : أرتد إليه

(٦) الخول: العبيد

لأهمّ لهم إلا الشراب والعبث بالغلّمان ، والتغزل الفاضح بهم في صراحة بغیضة وإباحية صرفه ، وقد صوروا رغباتهم الشاذة الدنيئة المنحرفة، ثم وصفوا الغلمان أدق الوصف في أجسامهم وبالذات الأجزاء التي تعجبهم وترضي رغبتهم المنحرفة ، ثم تغزلوا فيهم وتحدثوا عن إعجابهم بهم واستمائهم لهم كما كانوا يتغزلون بالغلّمان ، ولقد هیأت لهم الظروف مثل هذه البيئة الصالحة لهذه الخلاعة وأن يقوموا بهذا الدور الشاذ في الحياة.

أما أبو نواس في مدحه فقد أجاد إجادة بالغة برغم تنكّره عن تقاليد القصيدة العربية، وثورته عليها، فإنه في المدح سار علي نفس النهج التقليدي محافظاً عليه اسمعه يقول في مدح الرشيد قصيدة مطلعها<sup>(١)</sup>:

حيّ الديارَ إذ الزمانُ زمانٌ      وإذ الشباكُ لنا خوَى ومعانُ<sup>(٢)</sup>  
يا حبذا صفوانٌ من مُترَبِّعٍ      ولربُّما جمعَ الهوى سفوانُ<sup>(٣)</sup>  
وإذا مررتَ علي الديارِ مُسلِّحاً      فلغيرِ دارِ أميمة الهجرانِ  
إنّا نسبنا والمناسبُ ظنّةٌ      حتى رُميتِ بنا ، وأنتِ حصانُ

لكن في مدحه للأمين يتخذ ديابة غناء في شعره يخرج من ترانيمه حباً لممدوحه ، وإبداعاً في تقاسيم فنّه ذي السمّات التجديدية المتمثلة في المعاني والأخيلة والنسيج الفني من جهة أخرى ، ونلاحظ ملامح التجديد واضحة في المعاني والأخيلة: في قصيدة يمدح فيها الأمين يقول<sup>(٤)</sup>:

يا دارُ ما فعلت بك الأيام      ضامتكِ والأيامُ ليس تضامُ  
عَرُمُ الزمانُ علي الذين عهدتهم      بك قاطنين والزمانُ عَرامُ<sup>(٥)</sup>  
أيامٌ لا أغشي لأهلك منزلاً      إلا مراقبةً علي ظلامُ  
ومن ألمّ بها فقال سلامٌ      كم حلَّ عقدة صبره الإلامُ

(١) الديوان: ص ٥٤٨

(٢) الشباك: طريق الحجاج إلي البصرة

(٣) سفوان: مكان به ماء بالبصرة

(٤) الديوان: ص ٤٩٠

(٥) عرام: مكان الزمان: اشتد شراسة : وأذي:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمتُ سرَحَ اللّهُو حيثُ أسامو<sup>(١)</sup>  
وبلغتُ ما بلغَ أمروءُ بشبابه فإذا عصارة كل ذلك آثامُ  
وإذا المُطِيُّ بنا بلغن محمداً فظهروهن علي الرجال حرامُ  
ملكُ إذا أعلقت يداك بحبله لا يعتريك البؤسُ والإعـدامُ  
ففي شعر المدح عنده أصالة واقتداراً وبراعةً وابتكاراً وتوليد للمعاني  
وبراعة إتقان ، يجمع إلي ذلك الأصالة والفحولة وشيء من الجدة والطرافة، تتم  
داخل النسيج الملتزم بالتقاليد الفنية ومن توليداته هذه الأبيات في مدح الفضل بن  
يحي البرمكي<sup>(٢)</sup>:

إذا ضنَّ ربُّ المالِ أعلنَ جُودَه يجيَّ علي مالِ الأميرِ وأذنا  
فللفضل صولاتُ علي صُلبِ مالِه تري المالُ فيها بالمهانةِ مُدعنا  
وهكذا يعدُّ أبو نواس من الشعراء المجددين في الشعر العربي ، في المعاني  
والخيال والتوليدات المبتكرة، وقد وضح التجديد بصفة خاصة في خمرياته وغزله  
الشاذ، ولكن رغم ذلك يلتزم في أغراضه بالإطار التقليدي للقصيدة العربية كما  
رأيناه في المدح في شعره.

(١) انفرت بالدلوهم قربتها بالماء لتمتليء

(٢) الديوان ص ٥٥٧.

## المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية:

رأينا في المبحث السابق كيف ارتفعت موجة اللهو والزندقة في بداية العصر العباسي الأول، وأنّ الشعر قد انتشر بصفة واسعة في الكوفة والبصرة وبغداد ، وترتب علي ذلك اندفاع طائفة كبيرة من شعراء اللهو والمجون غمروا أنفسهم في تياره الدافئ الذي كان كلما اشتدّ تدفقه ارتفعت درجة دفته ، فازداد اندفاع الناس حوله وانغمروا فيه ، وكان طبيعياً أن يكون لهذا الاندفاع رد فعل فظهر جماعة من الشعراء يقفون في وجه هذا التيار، ويقيمون في طريقه السدود ، ليقفلوا من شدة اندفاعه، فاتجهوا إلي شعر الزهد وأكثروا من ذكر الموت فيه ، منهم شاعرنا البارع في الزهد أبو العتاهية (١٣٠-٢١٣هـ).

بعض أخباره:

هو إسماعيل بن القاسم من سويد بن كيسان ، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولي بني زهرة<sup>(١)</sup>. كانت كنيته أبو اسحاق ولكن أبا العتاهية كنية جديدة وغلبت عليه ، ولد في "عين الثمرة" القريبة من الكوفة سنة ١٣٠هـ ونشأ بالكوفة، وكان نسبه من الموالي وولاًوة من جهة أبيه لعنزة، ومن جهة أمه في بني زهرة<sup>(٢)</sup>، كان من الأنباط لأن جده الثاني "كيسان" من عين الثمر قرب الأنبار غربي الكوفة ، كان ينزلها الأنباط<sup>(٣)</sup> ، وأبو العتاهية يكره أن ينسب إلي الأنباط ، لأنهم كانوا يمثلون طبقة اجتماعية متدينة المنزلة في مجتمع الكوفة ، ذات الطبقة العربية الاستقرائية وطبقة الموالي تليها في الرتبة والمكانة ، ثم طبقات عامة المجتمع، منها الأنباط وهي من مؤخرة الطبقات. ولقد كانت نشأته هذه بين طبقات الشعب الدنيا، ووقفه علي أساليب حياتها، وثبات أمثالها، ومعانيها، وما تتلخص فيه من تجاربها ، من عبارات في نفسه وغريزته ، ثم

(١) الأغاني: ص ٣١٤

(٢) نفسه

(٣) يا خون المحموي: معجم البدرات ، ص ٢٥٣/٦

قيامه علي تحصيلها ليكمل ذلك ما نقصه مما أدى إلي انخراطه مع زمرة المخنثين بالكوفة وحصل علي ألقابهم.

وتعميق مسألة الإحساس ، بالنسب والطبقة الاجتماعية لدي أبي العتاهية ، نشأة متواضعة ، حيث كان أهله يعملون في صناعة الجرار وأن والده كان يعمل بالحجامة<sup>(١)</sup>، ولذلك كان ينكر علي المجتمع الإسلامي أن يكون التفاضل بالاحساب والأنساب لا بالتقوى بقوله<sup>(٢)</sup>:

دعني من ذكـر أبٍ وجدٍّ      ونسبٍ يُعليك سوارَ المجدِ  
ما الفخرُ إلا في التقى والزهدِ      وطاعةٍ تُعطي جنانَ الخلدِ  
لأبدٍ مِن وردٍ لأهلِ الوردِ      إماً إلي خجلٍ وإماً عَدِّ

وواضح من أخباره إنه رزق رهافة الحس وغزارة الطبع التي من نظم الشعر يقول عنه صاحب الأغاني: "إنه كان ذا لباقة وفصاحة"<sup>(٣)</sup> " ولكنه كان يعاني من الفوارق الاجتماعية في مجتمع الكوفة و معاناته أكثر كانت من التباهي بالأنساب وهو من أقل الطبقات ، ويضاف إلي ذلك أن أسرته كانت تعمل بصناعة الجرار ، مما جعل الجوارى مثل " عيبه" تتوسل إلي الرشيد لكي لا يهبها إلي أبي العتاهية لأنه بائع جرار. وقد عاش أبو العتاهية ظروفًا نفسية قاسية الشيء الذي جعله يضرب في شعاب الحياة مع المخنثين من شباب الكوفة.

ومرت به في أحداثه تجربة نفسية كان لها عميق الأثر في حياته، فقد تعلق قلبه بغرام إمرأة نائحة ذات جمال وحسن اسمها " سعدي" حيث كانت لهذا الحب أثر في حياته لأنها إمرأة نائحة تبكي لا تغني وترنم بشعر الغزل والحب وإنما اتخذت من ذكر الموت والغناء والنحيب ألحاناً حزينة ، بينما شباب الكوفة يعيش حياة اللهو و المجون وعالم الطرب والغناء<sup>(٤)</sup> ، أنحاز أبو العتاهية منذ سن مبكرة

(١) الأغاني: ٦/٤

(٢) الديوان: أبو العتاهية ص ٦٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(٣) الأغاني: ١٠/٤

(٤) الديوان ص ٢٥ دار الكتب العلمية

إلى الجانب المظلم من الحياة ليفر مع هذه النائحة في الوادي الموحش الكئيب  
حيث تهجع الأجساد الأبدية ، يقول<sup>(١)</sup>:

حُفِرَ مسقفةً عليهن      الجنادلُ والكثيبُ  
فيهن ولدانٌ وأطفالٌ      وَ شُبانٌ وشيبُ

ولكن أبو العتاهية صدم في غرامه الأول ، وتخلت عنه صاحبتة وتركته ، ولكنه انتقم منها في أبيات هجاها بها ، حيث صبَّ كل غضبه في هذه الأبيات. وأخذ أبو العتاهية يلفت إليه الأنظار بشعره وأخذ بعض الناس يقصدونه للشعر ، وعندما لمعت بغداد أراد أبو العتاهية أن يظهر شاعريته ، فذهب إليها في خلافة المهدي ، حيث مدحه بقصائد كثيرة، وفي بلاط المهدي تعلق قلبه بجارية الخليفة "عتبة" التي أخلص الحب لها، ولكنه سجن بسببها بعد أن عرضت عنه وشكته للخليفة. الشيء الذي كان له عميق الأثر في حياته. ويُعدُّ النقاد هذا السبب في اعتزاله حياة اللهو والعبث والمجون والعيش مع المخنثين والشراب والمنادمة، وترك مجالس الرشيد ، كما عزم ألا يقول بيتاً في الغزل<sup>(٢)</sup> بل أقسم علي نفسه ألا يتكلم سنة كاملة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>(٣)</sup> وقصته مع الرشيد حكاها الرواة مفادها أن الرشيد أمره أن يقول شعراً في الغزل ، ولكنه امتنع فسجنه الخليفة الرشيد.

والذي نريد أن نصل إليه أنه تزهد ولبس الصوف وأصبح مع الذين يعيشون حياة الزهد والزهاد من المتصوفة والنسك ولا نريد أن نسرف في أخباره والأسباب التي أدت إلى زهده فقد تناولها النقاد في أخباره والأسباب التي أدت إلى زهده ، نودّ الحديث عن التجديد في فنه الشعري ، وخاصة الزهد .

### التجديد في شعر الزهد:

لقد أختار أبو العتاهية الزهد موضوعاً لشعره ، لأنّه يريد طلب الرضي الشعبي والقرب من العامة، ولذلك نجده مسرفاً في شعره ، مبالغاً فيه إلى حد

(١) ديوانه ص ٢٥.

(٢) الأغاني: ص ٦٣١١

(٣) نفسه ص ٣٠

السقوط والابتذال أحياناً ، وهو يري أن الشعر الجديد لا يحمل غير ذلك ما دام مكتوباً ليقرأه العامة<sup>(١)</sup> والخاصة فهو شاعر الشعبية دون منازع لذلك التف كثير من الناس يعشقون شعره لأنهم يجدون فيه السلوى والراحة ولأنه قريب إلي أفهامهم.

لفت أبو العتاهية أدباء عصره بتميزه بخصائص ينفرد بها بين طبقة الشعراء المحدثين وقد ذكر صاحب الأغاني كثير منها<sup>(٢)</sup>. وهو شاعر الشعبية اللفظية ، وينتهي إلي أن ويقف شعره كله عن الزهد. وهو حريص علي أن يحقق لشعره هذه الشعبية ، ومدرك لموضوع الشعر ولفظه من حيث أنهما يحققان له غايته من الشعبية ، فأهم خصائص مذهب أبو العتاهية الشعري هو هذه الشعبية في حفظ الشعر ، التي تقربه إلي أفهام الناس جميعاً ، وتحببه إليهم، وتنزل به من سمائه إلي دنيا الواقع والحياة.

وتأتي بعد ذلك سهولة اللفظ وقرب المعني، ولطفه، وبرأته من التعميق والتكلف والغموض، ثم أنه عريق في الشاعرية، قريب المأخذ، معناه سريع المثل له مثل في قلوب الناس، وهو لا يركب إلي قول الشعر طريقاً وعرأً إذ أنه " كان أقدر الناس علي بديهة وارتجال" <sup>(٣)</sup> وأنه مجدد في أوزان العروض، وأنه شاعر الطبع والدقة.

أما شعر الزهد عنده ، فإن الفكرة الأساسية التي يدور حولها في حياته الزاهدة هي " فكرة المصير" مصير الإنسان في الحياة ، ومصيره بعد الموت ، وهي فكرة تتردد في شعره بصورة واسعة لإنكار تجد لها نظيراً ، إلا عند أبي العلاء المعري ، وهذه فكرة يطوف حولها حيناً ويتغلغل في أعماقها حيناً آخر ويستخرج منها معاني وصور مختلفة ومتعددة وإنه يشكلها أشكالاً شتى<sup>(٤)</sup> فكرة الموت والمصير في شعره واضحة وتتجلي فيها العاطفة الدينية في أقوى صورها، ولا

(١) تاريخ الشعر العربي: نجيب محمد البهيتي ص ٣٧٥.

(٢) الأغاني : دع جد ٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧.

(٣) الأغاني: ح ٣ ، ص ٨٣١.

(٤) حياة الشعر في الكوفة ، د. يوسف خليل ص ٥٢١.

نجد أثراً للعقل الفلسفي في شعره ، وشعره في هذا الجانب يمثل هزة ودينية إسلامية واضحة أذ نجده متأثراً بالقرآن الكريم تأثيراً كبيراً ، ودوره في الحياة الكمنة في طريقة لخطاب الناس خطاباً عنيفاً.

وذلك نجد الوضوح والبساطة في الألفاظ وقرب المعني ، وهذا من نواحي التجديد عنده يقول<sup>(١)</sup>:

فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثَّبَاتَا	أَنْسَاكَ مَحَايَاكَ الْمَمَاتَا
تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا	أَوْ ثَقَّتَ بِالدُّنْيَا وَأَنْتَ
وَطَوَّلَهَا عَزْماً بِتَاتَا	وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَيَّ الْحَيَا
قَدْ رَأَى كَأَنَّا فَمَاتَا	يَا مِنْ رَأَى أَبْوِيهِ فِيمَنْ
أَمْ خِلْتِ أَنْ لَكَ أَنْفَلَاتَا	هَلْ فِيهِمَا لَكَ عَيْرَةٌ
مَنْ مَنِيَّتِهِ فَمَاتَا	وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَلَّتَ
أَوْ تَبَيَّتُهُ بِيَّاتَا	كُلُّ تَصَبُّحَةٍ الْمَنِيَّةُ

ومن شعر الزهد عنده نجد الأنداز والترهيب من المصير المحتوم مع تمسك الناس بالحياة التي تنسيهم الموت فهذه صيحة من صيحاته يقول<sup>(٢)</sup>:

فَكَلِّكُمْ يَصِيرُ إِلَيَّ تَبَابِ	لِدُو لِمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تُرَابِ	لِمَنْ نَبْنِي وَنَحْنُ إِلَيَّ تُرَابِ
أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تَحَابِي	أَلَا يَا مَوْتِ لِمَ أَرَّ مِنْكَ بَدَا

وهو يتقدم ليوجع أكثر وينذر الشعر ، ولا يفوته أن ينبه بمسئولية الراعي والرعية ويغري بعمل الصالحات في التالية<sup>(٣)</sup>:

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشَّتْ مَعْقُولُ	طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُولُ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتَرَعَيْتَ مَسْئُولُ	يَا رَاعِي النَّفْسِ لَا تُغْفَلِ رِعَايَتَهَا
لِلْأَمْرِ وَجِهَانٍ مَعْرُوفٍ وَمَجْهُولُ	خُذْ مَا عَرَفْتَ وَدَعْ مَا أَنْتَ جَاهِلُهُ
حَتَّى يَغُولَكَ مِنْ أَيَّامِكَ الْغُولُ	وَاحْذَرِ فَلَسْتَ مِنَ الْإَيَّامِ مَنْفَلَتَا

(١) ديوانه ص ٤٨ ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) ديوانه ص ٢٣ .

(٣) ديوانه ص ١٦٥ .



لن نستتم جـمـيلاً أنتَ فاعله  
 ما أوسعَ الخَيْرِ فابسطِ راحتك به  
 إني لفي منزلٍ ما زلتَ اعمره  
 وليس من موضعٍ ناديه من حرسٍ  
 لم يشغل الموتُ عنا مُذْ أعدنا  
 ومن يمت فهو مقطوعٌ ومجتنب  
 كَلْ ما بدا لكَ فالآكالُ فاتيةُ  
 إلا وانتَ طـليقَ الوجهِ يهلولُ  
 وكُنْ كأنك عند الشرِّ مغلولُ  
 عي يقيني بأني عنه منقولُ  
 إلا وللموتِ سيفٌ حيه مسلولُ  
 وكلنا عنه بالذاتِ مشغولُ  
 والحيُّ ما عاش مغشي وموصولُ  
 وكلُّ ذي أكلٍ لابدَّ مأكولُ

نلاحظ بوضوح قرب المعني وسهولة اللفظ حيث لا نجد من الغريب والعقد شيئاً ، و المعاني واضحة وكأن الكلام نثر وهذا هو مفهوم الشعبية في شعره إذا الكل يفهم ما يقول عامتهم وخاصتهم. فمعانيه قريبة للأفهام ، ولها موقع في القلوب.

والحياة عند أبي العتاهية. كما هي في القرآن الكريم. دار الفناء والزوال ومتاع الغرور.

لَعَمْرُكَ ما الدُّنْيَا بدارِ بقاءٍ      كفاك بدارِ المَوْتِ دارُ فناءٍ<sup>(١)</sup>  
 ألا إنّما الدُّنْيَا متاعٌ غرورٍ      ودارُ صُعودٍ مرّةً وحُدُورٍ<sup>(٢)</sup>  
 ما زُخْرُفُ الدُّنْيَا زِبْرَجُ أهلِها      إلا غُرُورٌ كُـلُّهُ وَحُطَامٌ<sup>(٣)</sup>  
 بُلينا مِنَ الدُّنْيَا على حُبنا لها      بدارِ غُرُورٍ ويحها ما أغرّها<sup>(٤)</sup>  
 ألم تَرى أنّما الدُّنْيَا حُطامٌ      وأنّ جميعَ ما فيها غُرُورٌ<sup>(٥)</sup>  
 إلا إليّ اللهُ مصيرُ الأمورِ      ما أنتِ يا دُنْيَا إلا متاعٌ غرورٍ<sup>(٦)</sup>

وفي شعره نجد أيضاً النيل من ذوى المكانة والجاه والملوك والأكابر. وكلُّ

ذلك في بساطة تامة يقول<sup>(١)</sup>:

(١) الديوان ، ص ١٦٥ .

(٢) الديوان ، ص ٥ .

(٣) الديوان ، ص ١٠١ .

(٤) الديوان ، ص ٢٠٧ .

(٥) الديوان ، ص ١٠٨ .

(٦) الديوان ، ص ٩٤ .

وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ \* \* \* تَلَحَّفَ فِيهَا بِالثَّرَى وَتَسْرِبَلًا  
أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَتَقَتَ بِمَنْزِلٍ تَرَى المَوْتَ فِيهِ بِالْعِبَادِ مُوَكَّلًا

وقوله:

كَمْ مِنْ مُلُوكٍ زَالَ عَنْهُمْ مُلْكُهُمْ فَكَأَنَّ ذَاكَ المَلِكُ كَانَ خَيَالًا<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوُمٌّ وَلَكِنَّ المُسِيءَ هُوَ المَظْلُومُ  
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمِضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ<sup>(٣)</sup>.

وقوله في فناء القرون الغابرة من مجزوء الكامل:

أَيْنَ القُرُونُ بَنُو القُرُونِ وَذَوُو المَدَائِنِ وَالحُصُونِ  
وَذَوُو التَّجْبِرِ فِي المَجَا لَسَّ وَالتَّكْبِرِ فِي العِيُونِ  
كَانُوا المُلُوكَ فَأَيُّهُمْ لَمْ يَغْنِهِ رَبِّبَ المَنْوُونَ  
صَارُوا حَديثًا بَعْدَهُمْ إِنَّ الحَديثَ لَذُو شِجُونِ<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ الدقة وعضوبة المعاني ووقعها في القلب مع حلوة الموسيقى المناسبة من مجزوء الكامل.

وقوله أيضاً في نسيان الناس للميت وعزفهم عنه، وهي مقطوعة تدل على اقتدار فني في التقاط المعاني البسيطة من جهة، وفي براعة إيقاعها من جهة أخرى، للإفهام كما يحقق الشعبية التي كان يقصدها. ويقول من مجزوء الكامل<sup>(٥)</sup>:

رَبُّ مَذكُورٍ لِقَوْمٍ غَابَ عَنْهُمْ فَنَسُوهُ  
وَكَأَنَّ بِالمرءِ قَدْ يَبْكِي عَالِيهِ أَقْرَبُوهُ  
وَكَأَنَّ القَوْمَ قَدْ قَا مُوَا فَقَالُوا أَدْرِكُوهُ  
سَأَلُوهُ كَلْمُوهُ حَارَكُوهُ لَقِنُوهُ  
فَإِذَا اسْتَيْأَسَ مِنْهُ القَوْمُ قَالُوا احْرِقُوهُ

(١) الديوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٨١ .

(٢) الديوان ، ص ١٨٢ .

(٣) الديوان ، ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) الديوان ، ص ٢١٦ .

(٥) الديوان ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .

مَدَّوهُ غَمَّضُوهُ	حَرَّقُوهُ وَجَّهُوهُ
كَفَنُوهُ حَتَّطُوهُ	ارْفَعُوهُ غَسَّلُوهُ
د المانيا شَيَّعُوهُ	أَخْرَجُوهُ فَوْقَ اعْوَا
قِيلَ هَاتُوا وَاقْبِرُوهُ	فَإِذَا صَلُّوا عَلَيْهِ
الْأَرْضَ رَهْنًا تَرَكَوهُ	فَإِذَا مَا اسْتَوَدَعُوهُ
أَذَقْرُوهُ أَثَقَّلُوهُ	خَلَّفُوهُ تَحْتَ رَمْسٍ
أَوْحَدُوهُ أَفْرَدُوهُ	أَبْعَدُوهُ أَسْحَقُوهُ
أَسَلَمُوهُ خَالَفُوهُ	وَدَّعُوهُ فَارَقُوهُ
كَأَنَّ لَمْ يَعْرِفُوهُ	وَأَنْتَبُوا عَنْهُ وَخَلَّوهُ
كَانَ فِيهِ لَمْ يَلُوهُ	وَكَأَنَّ الْقَوْمَ فِيَمَا

تأمل هذا اللحن الحزين، إنه ليس لحناً شعرياً ، وإنما هو " لحن جنائزي".  
إنه لحن الموت يعزف شاعر الموت علي أوتاره الحزينة الباكية . إنه ليس شعر  
مشاعر ، ولكنه نعيب بومة كئيبة تنعي الإنسان حياته وتشيعه بل تستقبله بهذا  
النحيب، بل هذا العويل، وربما كان متأثراً بحبه الأول "سعدى النائحة " (١). التي  
استقرت في أعماقه منذ شبابه ، وأصداء نواحيها المشئوم الذي طالما يستمع إليه.  
إن أبا العتاهية يعتمد علي هذا الوزن القصير السريع مجزوء الرمل ليمثل  
به سرعة الانحدار "قصة الحياة" إلي نهايتها، وقصر ذلك الفصل الختامي الذي  
تسدل الستارة بعده عليها، ثم يعتمد علي هذه القافية الهائية "المزدوجة الموصلة  
بمد" يمثل بها ذلك النواح النحيب وتلك الآهات والزفرات التي تنبعث من صدور  
الحراني في مناحات الموتى حارة حزينه عميقة.

ثم يتجه الشاعر إلي منظر القبور، فإنه يقف عندها ويوازن بين حال  
أصحابها فيها وحالهم من قبل في الدنيا، فهو يتحدث عنها وعنهم وإليها وإليهم،  
وهو في الحاليتين يحاول أن يستخلص العبرة، وأن يذكر الإنسان بهذا المصير

(١) حياة الشعر في الكوفة، د : يوسف خليف، ص ٥٧٣.

المحتوم الذي لا بد أن يصير إليه كما صار إلي الذين كانوا يستمتعون بالحياة قلة  
ثم طوقهم يد الموت وألقت بهم تحت التراب. يقول (١):

إِنِّي سَأَلْتُ الْقَبْرَ مَا فَعَلْتِ      بَعْدِي وَجُوهٍ فِيكَ مُنْعَفِرَةٌ  
فَأَجَابَنِي صَيَّرْتُ رِيحَهُمْ      تُؤْذِيكَ بَعْدَ رَوَائِحِ عِطْرَةٍ  
وَأَكَلْتُ أَجْسَادًا مَنَعَمَةٌ      كَأَنَّ النَّعِيمَ يَهْزُهَا نَضْرَةٌ  
لَمْ أَبْقِي غَيْرَ جَمَاجِمٍ عَرَبَتْ      بِيضِ تَلْوُحٍ وَأَعْظُمِ نَخْرَةٍ

ثم يتناول قبور الملوك وقبور أصحاب اللهو والمجون كل مأخذ العبرة  
والعظة ، لأن أصحابها كانوا مستمتعين بحياتهم أكثر من سواهم، وكانوا في  
حياتهم لا يذكرون مصيرهم المحتوم، وهو في ذلك يمثل الواعظ الحاسب الذي  
يلفت الناس إلي حياة الآخرة وترك نعيم الدنيا الزائل. ويقول (٢):

زُرْتُ الْقُبُورَ قُبُورَ أَهْلِ الْمَلِكِ فِي      الدُّنْيَا وَأَهْلِ الرَّعِيعِ فِي الشَّهَوَاتِ  
كَأَنُّوا مُلُوكَ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ      وَمَلَابِسٍ وَرَوَائِحِ عَطِيرَاتِ  
فَإِذَا بِأَجْسَادِ عَرِينٍ مِنَ الْكِسَا      وَبِأَوَجِهِ فِي التُّرَابِ مُنْعَفِرَاتِ  
لَمْ تَبْقِ الْأَرْضُ غَيْرَ جَمَاجِمٍ      بِيضِ تَلْوُحٍ وَأَعْظُمِ نَخْرَاتِ

وهذه القبور عذرة أحياناً سجون لا تشبهها السجون. إنما سجون تضم

العالمين جميعاً، دونه أحد عن التراب.

إِنَّ الْقُبُورَ سِجُونٌ      مَا مِثْلُهُنَّ سِجُونٌ  
كَمْ فِي الْقُبُورِ قُرُونٌ      مِمَّنْ مَضَى وَقُرُونٌ  
مَا فِي الْمَقَابِرِ وَجْهَةٌ      عَنِ التُّرَابِ حُصُونٌ (٣).

فأبو العتاهية في أشعاره التي قدمناها يقوم بدور الواعظ الديني بحديثه عن  
المصير وذكر الموت والقبر وحاله ثم نهاية الإنسان، ولذلك نجده أتجه اتجاهها  
جديداً في أشعاره وهو اتخاذها للنثر وسيلة أساسية لمعالجة هذا الموضوع الديني

(١) الديوان، ص ١٠٥/ دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢) الديوان ، ص٣٨-٣٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٣) الديوان ص ٢١٨-٢١٩.

وهو أنسب للنثر لأن الخطيب والواعظ جوره عادة ما يكون مؤثراً بالنثر حتى ترتجف له القلوب.

ولذلك عمد الشاعر في أن يطبع شعره بالطابع النثري، وهو طبيعة حاله أقرب للعامة في سهولة معناه وبساطته ألفاظه، وهو أيضاً صاحب رصيد وافر من المفردات اللغوية التي يستخدمها متى أراد.

وأبو العتاهية لم يقف عند حد الاتصال بهذه المواعظ ليتأثر بها في شعره، وإنما راح يستمد مادته منها ويتكى عليها، لا في أفكارها وموضوعاتها فحسب، بل

ولكنه في أساليبها وصورها، وإذا كان أبو العتاهية له القدرة علي أن يحيل كلام العامة شعراً، فإن العملية الفنية هنا أسهل لأن هذه المواعظ ليست نثراً عامياً سوقياً، وإنما نثر فني حقق به أصحابه كثيراً أو قليلاً من الصنعة الفنية<sup>(١)</sup>. فالشاعر قام بتحويل الكلام العادي إلي نثر فني ثم تحويل هذا النثر الفني إلي شعر، وهذه العملية سهلة عند أبي العتاهية لأنه كما يروى عنه ابن مناذر قوله فيه: (( يتناول شعره من كمة ))<sup>(٢)</sup> وقديماً قال عنه أحد ممدوحيه لبعض من كان يهاجمه من الشعراء: (( والله إنّ الواحد منكم ليدور علي المعني فلا يصيبه ويتعاطاه فلا يحسنه ... وهذا كأن المعاني تجمع له ))<sup>(٣)</sup>. وحقاً لقد جمعت المعاني لأبي العتاهية. وبهذه الخاصية أخذ أبو العتاهية هذه المواعظ النثرية ومضي يترجمها شعراً، ولكنه كان يترجمها أحياناً ترجمة فنية وأخرى ترجمة حرفية، ولننظر إليه في هذه القصيدة من حيث شعره لنثبت فيها كيف يترجم هذه الترجمة الحرفية:

أشرب فؤادك بقضة اللذات \*\*\* واذكر حلول منازل الأموات  
لا تلهينك عن معادك لذة \*\*\* تقني وتورث دائم الحسرات  
إنّ السعيد غداً زهيداً قانع \*\*\* عبداً الإله أحسن الإخبات  
أقم الصلاة لوقتها بطورها \*\*\* ومن الضلال تفاوت الميقات

(١) ينصرف من يوسف خليف: حياة شعراء الكوفة، ص ٥٧٧.

(٢) الإلاني ٥٧/٤ دار الكتب

(٣) الأغاني ٣٨/٤ دار الكتب

وإذا اتسعت برزق ربك فاجعلن \*\*\* منه الأجل لأوجبه الصدقات  
في الأقربين وفي الأبعد تارة \*\*\* إن الزكاة قرينة الصلوات  
وارع الجوار الأهله متبرعا \*\*\* بقضاء ما طلبوا من الحاجات  
واخفض جناحك إن رزقت \*\*\* تسلطاً وارغب بنفسك عن اللذات  
وأنظر كيف استطاع الشاعر أن يحول النثر إلي شعر وأن يخاطب القلوب،  
حث الشاعر علي إقامة الصلاة وأداء الزكاة وإخراج الصدقات، وهذه الأبيات عبارة  
عن خطبة دينية في قالب موزون مقفى، فإنه هنا قد ترجم الخطبة الدينية ترجمة  
حرفية و أحال عبارتها النثرية شعراً موزوناً مقفى، وهذه ميزة جديدة في هذا  
العصر وملكة تميز بها شهره فقط.

وقد دفعته هذه "النثرية" إلي التحلل أحياناً من النظام التقليدي للقافية  
العربية، ومحاولة التخفف من قيوده الصارمة. وله أرجوزته تسمى "ذات الأمثال"  
من أهم أعماله الفنية، تتحدث عن الجوانب الأخلاقية، وهي أطول قصيدة في  
مجموعة شعره الأخلاقي بل في مجموعة شعره كلها ونذكر صاحب الأغاني "لأنها  
طويلة جداً"<sup>(١)</sup>، وأنه يقال "أن له فيها أربعة آلاف مثل"<sup>(٢)</sup>، ويقول عنها أيضاً "من  
بدائع"<sup>(٣)</sup> وهي عمل ضخم ليست مثلاً بسيطاً أو قليل الشأن، بل هي عمل فني  
جديد في شكله وموضوعه. أما من حيث الموضوع فقد جعل صاحبها من شعر  
الحكمة الذي كان أبياتاً متناثرة ينثرها الشعراء من حين إلي حين موضوعاً مستقلاً  
قائماً بذاته يقف علي قدميه أمام الموضوعات التقليدية الأخرى كالمدح والغزل  
والهجاء، ، وأضاف بذلك موضوعاً جديداً إلي موضوعات الشعر العربي. لقد أراد  
أبو العتاهية أن يثبت قدميه علي الأرض صلبة قوية حتى يضمن البقاء والاستقرار  
لشاعريته فلم ينظم في الحكمة قصيدة كسائر القصائد وإنما نظم قصيدة ذات آلاف  
الأبيات كما ذكرنا.

(١) الأغاني، ٤/٣٧ دار الكتب.

(٢) الأغاني، ٤/٣٦.

(٣) نفسه.

أما من ناحية الشكل فإن قوافيها تجري علي أساس ازدواجي. وهذا الازدواج يبتعد بها ابتعاداً واضحاً عن صورة القصيدة العربية وتقترب اقتراباً واضحاً من صورة السجع<sup>(١)</sup> وهذه الطريقة الممزوجة لم تكن معروفة في الشعر العربي القديم ومزدوجة تعني أن كل بيت ينفرد بقافية يشترك فيها شطراه. والقصيدة لا تتعرض لموضوع واحد وإنما موضوعات متعددة وأفكار متفرقة، وكل بيت من أبياتها يعرض فكرة مستقلة، وقد تشترك مجموعة الأبيات إلي فكرة واحدة، ولكن بظل لكل بيت وحده موضوعية قائمة بذاتها تعرض جانباً معيناً من جوانب الفكرة العامة. والأفكار التي يعرض لها في ارجوزته هي خلاصة أفكاره التي عرض لها في قصائده ومقطوعاته. وإنما حديث عن القناعة والتقوى، وعن العمل الصالح والقبیح، وعن الفساد والصلاح، وعن الدنيا الممزوج صفوها بالكدر وعن الخير والشر، وعن الصداقة والصديق، وعن البخل والشح، وعن السكون والصمت، وعن الشيب والشباب والخدعة والمكر، وعن الغدر والكذب، وعن الضيق والفرج، وعن الموت والحياة، والتعمير والخراب، والبقاء والغناء إنها باختصار خلاصة آرائه في النفوس والحياة في صورة "دستور" وفي مواد متعددة وبنود مختلفة أمام كل بند فكرة من أفكاره<sup>(٢)</sup>. وتعرض لبعض الحكم والأمثال في شعره لا نستقصي كل الحكم وإنما نأخذ جزءاً منها، مثلاً قوله في الخير والشر.

١/ حَسْبُكَ مِمَّا نَبْتَغِيهِ الْقَوْتُ	ما أَكْثَرَ الْقَوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
٢/ الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا	مَنْ رَجَى اللَّهَ وَخَافَا
٣/ هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمْنِي أَوْ فِذْرُ	إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدْرُ
٤/ لِكُلِّ مَا يُوْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلْمُ	مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَيَّ مِنْ لَمْ يَنْمُ
٥/ مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ	وَخَيْرُ ذِكْرٍ الْمَرْءُ حَسَنُ فِعْلِهِ
٦/ إِنْ الْفَسَادَ ضَدَّهُ الصَّلَاحُ	وَرُبَّ جَدِّ جَرَهُ الْمَزَاجُ
٧/ مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَا	مُبْلَغَكَ الشَّرُّ كِبَاغِيَةَ لَكَ

(١) يوسف خليق: تاريخ الشعراء في الكوفة، ص ٥٨٣

(٢) يوسف خليق: تاريخ الشعراء في الكوفة، ص ٥٦٣.





أحبُّ أخاً في الله ما صحَّ دينه وأفرشه ما يشتهي من خلّاتي  
صفيّ من الأخوان كلُّ موافق صبور علي ما نابه من بوائق<sup>(١)</sup>.

وفي شعر أبي العتاهية نجد الابتهالات الصوفية التي يمجّد الله فيها ويسبح له، فإنها تتردد في شعره من حين إلى حين أنغماً روحانية صافية تحلق بالنفس في أجواء رحيبة سامية، وتخفف من أصداء التشاؤم والأنقاض والوحشة التي تشيع فيه. إنها نجوى صادقة يناجي بها الشاعر ربه ليرتفع بنفسه عن المستوي المادي الذي يعيش فيه إلى مستوي روعي يطمع في الوصول إليه، وتتردد هذه الابتهالات أحياناً في مطالع قصائده ومقطوعاته وأحياناً في خواتمها ، كما يفرد لها أحياناً قصائد مستقلة<sup>(٢)</sup>. يقول:

إلهي لا تعذّبني فإني مقرّ بالذي قد كان مني  
ومالي حيلة إلا رجائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني  
فكم من زلة لي في البرايا وأنت علي ذو فضل ومنّ  
إذا فكرت في قدومي عليها عضضت أناملي وقرعت سني  
يظنّ الناس بي خيراً وإني لشرّ الناس إن لم تعف عني  
أجنّ بزهره الدنيا جنوناً وأفني العمرَ فيها بالتغني  
وبين يدي محبتبس ثقيل وكأني قد دُعيتُ له كأني  
ولو أني صدقتُ الزهدَ فيها فليت لأهلها ظهر المجنّ

وابتهالاته معظمها نذور في جو ديني إسلامي بل في جو قرآني خالص. وهو عادة يبدوها بعبارات التسبيح والتحميد والتنزيه والتمجيد التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم ، كما يكثر فيها من ترديد أسماء الله الحسني. والثناء عليه سبحانه وبآلائه ونعمه. يقول<sup>(٣)</sup>:

كلُّ أمريءٍ فكما يدين يدان سبحان من لم يخل منه مكان  
سُبْحَانَ من يعطي المني بخواطر في النفس لم ينطق بهنّ لسان

(١) ديوانه، ص ١٤٩.

(٢) الديوان، ص ٢٢٣.

(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَحْجِبُ عِلْمَهُ      فَالسِّرِ أَجْمَعِ عِنْدَهُ إِعْلَانُ  
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ مَسْبُوحاً      أبدأً وليسَ لغيرِهِ السُّبْحَانُ  
سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَيَّ      مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعَيَانُ  
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ      لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ  
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طَرِقَ الرُّضَى      مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوحُ وَالرِّيحَانُ  
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يَفَارِقُ عِزَّهُ      يَعْصِي وَيُرْجِي عِنْدَهُ الْغُفْرَانُ  
مَلِكٌ لَهُ ظَهَرَ الْقَضَاءُ وَبَطْنُهُ      لَمْ تُبَلِّ جِدَّةً مُلْكُهُ الْأَزْمَانُ  
مَلِكٌ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ      تُعْصِي بِحُسْنِ بِلَائِهِ وَيُخَانُ<sup>(١)</sup>.

يقول<sup>(٢)</sup>:

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ      أبدأً وليسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَجَلَالُهُ      وَلِحِلْمِهِ تَتَّصَاغَرُ الْأَحْلَامُ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ لَمْ يَزَلْ      لَا تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِهِ الْأَفْهَامُ  
سُبْحَانَهُ مَلِكٌ تَعَالَى جِدَّهُ      وَتَوَجَّهَ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ

يقول<sup>(٣)</sup>:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْعَرْشِ يَا خَيْرَ مَعْبُودٍ      وَيَا خَيْرَ مَسْئُولٍ وَيَا خَيْرَ مَحْمُودٍ  
شَهَدْنَا لَكَ اللَّهُمَّ أَنْ لَسْتَ مُحَدَّثاً      وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى وَلَسْتَ بِمَجْحُودٍ  
وَإِنَّكَ مَعْرُوفٌ وَلَيْسْتَ مُحَدَّثاً      وَإِنَّكَ مَوْجُودٌ وَلَسْتَ بِمَحْدُودٍ  
وَأَنْكَ رَبٌّ لَا تَزَالُ وَلَمْ تَزَلْ      قَرِيباً بَعِيداً غَائِباً غَيْرَ مَفْقُودٍ  
علي هذا النحو الروحي الرقيق، وفي هذا الأسلوب القرآني الجميل كانت  
تجري ابتهالات أبو العتاهية وسط ذلك الضباب المتكاثف والظلام المترام، ضباب  
الحياة وظلام الموت، وإشراقات آلهية تشرق في نفسه لتصل ما بينها وبين  
خالقها، وهي إشراقات ظلت تأتلق في نفسه طوال حياته الزاهدة المتصوفة.

(١) ديوانه، ص ٢٠٨.

(٢) ديوانه، ص ٦٣.

(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

ويمكن لنا من خلال حديثنا عن شعر أبي العتاهية في الزهد أن نقسمه إلي  
ثلاثة أقسام:

١/ عظام دينية تشبه تلك العظام النثرية التي كانت تجري علي أسنة الزهاد  
وقبله.

٢/ الحكم الأخلاقية التي تدور حول محور النفس الإنسانية وما يعتمل فيها من  
صراع بين الخير والشر.

٣/ ابتهالات إلي الله تشبه الابتهالات الصوفية التي نراها عند صوفية العصور  
المتأخرة.

ومن خلال دراستنا لشعر أبي العتاهية باحثين عن السمات التجديد فيه،  
وجدنا أن شعره تميزه خصائص فنية تجديدية ومن أبرز هذه الخصائص كما أشار  
لها كثير من النقاد قبلنا تتمثل في منه الشعري علي النحو التالي:

١- قرب المعني وسهولة اللفظ:

كان أبو العتاهية كما تدل الأخبار شاعر الفطرة والموهبة، وأن طاقته  
الفنية تنبع من موهبته في الإحساس لسعة وتنوع التشكيل الموسيقي في  
مفردات اللغة وتراكيبها، فهو بعبرية فطرية اكتشف خصوبة اللغة في  
تشكيلاتها الموسيقية الواسعة العطاء ودلالاتها الخصبة حتى فيما تيسر من  
شائع اللفظ.

ولأنه من طبقة اجتماعية دنيا و يشتغل بصناعة الفخار كان يتردد في  
الطرق يصادف الشعراء أو المتشاعرين ونشدهم من فيض موهبته الفطرية ما  
يجعلهم يكتبون عنه ويتحلقون حوله، ولا تدل أخباره بأنه كان يلزم شاعراً أو  
يجلس إلي عالم، أو أديب كما أنه لم يذهب إلي البادية كما فعل بشار وأبو نواس ،  
وإذن فثقافته الفنية هي الثقافة الشعبية الحديثة في الشعر آنذاك ، فهو يسمع يقرأ  
ويستوعب وتتسلط عليه موهبته التي أساسها طبع يستوعب عبقرية اللغة في  
تشكيلاتها الموسيقية والدلالية ، من أجل هذا كان أبو العتاهية يدرك المعني ويضع  
يده عليه في بساطة ووضوح ، وإليه في لفظ سهل وإيقاع عذب.

وقد شخص ذلك عن ابن العلاء - صاحب المهدي - حيث مدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم. فأنكر ذلك بعض الشعراء عليه فأجابهم بقوله: " والله إن الواحد منكم ليدور علي المعني فلا يصيبه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشيب بخمسين بيتاً ثم يمدحنا ببعضها"<sup>(١)</sup>.

وهذا كأن المعاني تجتمع له، مدحني فقصر التشيب، وقال:

إني أمنتُ من الزمان وريبه      لما علقت من الأمير حباً  
لو يستطيع الناس من إجلاله      لحدو له حرّ الوجوه نعلاً<sup>(٢)</sup>.

وفي بيان قرب المعني وسهولة اللفظ عنده يقول صاحب الأغاني: " كان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتتان ، قليل التكلف إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك....."<sup>(٣)</sup>.

لكن قرب المعني وسهولة اللفظ صفة يمكن أن تعم هذا الشاعر وتميزه من الشعراء ، بمعني إنَّ هذه صفات عامه قد يشترك فيها أكثر من شاعر لكن أبا العتاهية يتميز بسمات أشدَّ إيضاحاً وإيغالاً في هذا الباب ، كما بقيه السمات التي سنتعرض لها.

## ٢ - الشعبية الشعرية:

يعدّ الوليد بن يزيد هو صاحب الاتجاه الأصيل في إبراز وقيادة الشعبية الشعرية إذ: " لم تلبث هذه الشعبية أن وجدت قائدها وصاحب لوائها، الذي يقول الشعر في بابها، لأنه لا يجد السبيل إلا إليه، ولأنه يعبر عن صميم نفسه وخالص انفعاله"<sup>(٤)</sup>.

والوليد بن يزيد قد أثر في العصر العباسي تأثيراً واضحاً خاصة في فن الشعر، حيث كان أستاذاً لأبي نواس في الخمریات، إلي المدى الذي يقال معه أن أبا نواس سلخ معاني الوليد من هذا الباب وجعلها في شعره، إلي جانب

(١) الأغاني ٤/٣٩-٤٠. ثقافة.

(٢) الأغاني ٤/٣٩ - ثقافة.

(٣) ديوانه، ص ٢١٩.

(٤) تاريخ الشعر العربي، د. نجيب محمد السهبي، ص ٢٩٥.

الموضوعات الأخرى التي كانت عنده، والمقصود علي وجه التحديد في فهم معني الشعبية لدى الوليد بن يزيد أيضاً معالجة العواطف المشتركة الخالصة التي تتوارد علي قلوب الناس جميعاً، وتتعلق بتفكيرهم لا فرق فيهم بين عامة وخاصة ولا تميز فيهم بين شيعي وآموي أو أعجمي وعربي، وإنما هي معالجة للمشاعر الإنسانية قائمة علي الإحساس بها وتخزينها واتساع صدى هذه التجربة بما سبق إلي حياة الشاعر من اختلاف ألوانها<sup>(١)</sup>.

إلا أن الشعبية عند أبي العتاهية تختلف من الوليد إذ أنها شعبية اللفظ أو الشعبية اللغوية، وكذلك شعبية الفكرة في قربها وبساطتها ، كما أنه يعمد إلي المعاني والأفكار المطروحة في طرقات العامة وينتشلها ويستطيع بموهبته النادرة أن يحيلها إلي عمل شعري يتميز بسهولة اللفظ وحلاوة الإيقاع، وهو في ذلك يتجاوز التقاليد الفنية في التصوير والتعبير. ثم أن هذه الشعبية في اللفظ قادته إلي استخدام الأسلوب الخطابي لأنه شديد الجذب والتأثير في العامة والخاصة وأبو العتاهية كان يستميل القلوب بوعظه وتذكيره للناس، وهذه هي من سمات التجديد في فنه في الزهد.

### الصنعة في شعره:

أنّ الفطرة الفنية التي قادت أبا العتاهية إلي تبوّ الساحة الشعبية والنفاز منها إلي ذوق المحدثين والمتذوقين للشعر والمحبين له، جرت عليه ألواناً من النقد والمنافسة وردود الفعل منها:

أ/ يروي صاحب الأغاني أن مسلم بن الوليد اجتمع مع أبي العتاهية في بعض المجالس ، فقال مسلم: "والله لو كنت أن أقول مثل قولك:

(١) السابق ، ص ٢٠٩، ٢٠٧، ٣٢٥.

الحمد والنعمة لك. والملك لا شريك لك . لبيك إن الملك لك لقلت في اليوم عشرة  
آلاف بيت ولكني أقول:

مَوْفٍ عَلِيٍّ مُهَجِّجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ      كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ  
يُنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعْيَا الرِّجَالُ بِهِ      كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلِيَّ مَهَلٍ  
يَكْسُو السِّيَوفُ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ      بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامُ تِيْجَانَ الْقَنَا الدُّبُلِ  
فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ: " قُلْ مِثْلَ قَوْلِي " الْحَمْدُ وَ النِّعْمَةُ لَكَ " أَقْلُ مِثْلَ قَوْلِكَ :  
كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَجَلٍ"<sup>(١)</sup>.

ب/ توجد في أشعار أبي العتاهية بعض نماذج شعرية فيها تكلف في البديع مثل  
قوله<sup>(٢)</sup>:

الدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ وَالمَوْتُ ذُو عِلٍّ      وَالمَرءُ ذُو أَمَلٍ وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ  
وَلَمْ تَزَلْ يَحِيرُ فِيهِنَّ مُعْتَبِرٌ      يَجْرِي بِهَا قَدْرٌ وَاللهُ أَجْرَاهُ  
فَقَدْ اتَّجَهَ إِلَى ظَاهِرَةِ التَّرْصِيحِ<sup>(٣)</sup>، كَمَا اتَّجَهَ إِلَى النَّاسِ فِي نَمُودَجٍ آخَرَ وَهُوَ  
قَوْلُهُ<sup>(٤)</sup>:

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَصْغَرَهُ      أَحْسَنَ فَعَاقِبَةُ الإِحْسَانِ حُسْنَاهُ  
هَذِهِ النَّمَاذِجُ وَأَشْبَاهُهَا تَمَثَّلُ اصْطِنَاعَ الصَّنِيعَةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِهِ فِي إِبْدَاعِ  
الشَّعْرِ. وَلَكِنِ الشَّاعِرُ يَلْجَأُ إِلَى ظَاهِرَةِ أُسْلُوبِيَّةٍ أُخْرَى يَبْرَهِنُ فِيهَا عَلِيٌّ مَدَى حَسَبِ  
القَنِيِّ وَاقْتِدَارِهِ اللِّغَوِيِّ فِي اسْتِخْدَامِ التَّضْمِينِ الشَّعْرِيِّ حَيْثُ تَبْدَأُ الجُمْلَةُ فِي بَيْتٍ  
وَيَتِمُّ مَعْنَاهُ فِي البَيْتِ التَّالِي. مِثْلَ قَوْلِهِ فِي هَذَا النَّمُودَجِ<sup>(٥)</sup>:

يَا ذَا الَّذِي فِي الحُبِّ يَلْحِي، أَمَا      وَاللهُ لَوْ كَلَفَتْ مِنْهُ ، كَمَا  
كَلَفَتْ مِنْ حُبِّ رُخِيمٍ، لَمَّا      لَمْتُ، عَلِيٌّ فِي الحُبِّ فذَرْنِي وَمَا  
أَلْقِي، فَإِنِّي لَسْتُ أَدْرِي بِمَا      بُلِيَّتُ ، إِلَّا أَنِّي: بَيْنَمَا

(١) الأغاني، ٢٩/٤-٣٠، ثقافة.

(٢) الديوان، ص ٢٤٨، دار الكتب، بيروت.

(٣) الترصيح: عبارة هن مقابلة كل لفظة من صدر البيت فقرة نثر يلفظه علي وزنها.

(٤) الديوان، ص ٢٤٨.

(٥) ديوانه، ص ٢١٩.

أنا بباب القصر، في بعض ما      أطوفُ من قصرهم، أذرمي  
 قلبي غزال، بسهام، فما      أخطأُ بها قلبي، ولكنها  
 سَهْمَاهُ عَيْنَانِ لِه كَلَّمَا      أَرَادَ قَتْلِي بِهِمَا سَلَمَا

هكذا يقوم أبو العتاهية في المقطوعة علي مستوي الشطر الواحد في البيت الواحد الدليل علي أنه متمكن غاية التمكن من اللعب وتوزيع الرقة توزيعاً موسيقياً يخضع فيه تركيب الجملة الواحدة إلي مدى من التقطيع يصدق معه قوله (( لو أردت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت ))<sup>(١)</sup>.

وهناك نمط آخر من صناعته اللفظية هو اتجاهه للتأثير بالقرآن الكريم من ناحية اللفظ، ويحكي إنه قال ذات مرة: قرأت بالأمس سورة" عم يتسألون..."<sup>(٢)</sup>. وقد تأثر أبو العتاهية بالقرآن الكريم ونظم قصيدة اهتدي فيها باللفظ من القرآن ليوضح أنه صاحب ملكة فنية فقط لا يزيد عن ذلك من تأثره بالقرآن، وهذه الظاهرة من الناحية الفنية تقف عند حدود استخدامه لفواصل ومفردات ورد بعضها في سورة عم والقصيدة يقول فيها<sup>(٣)</sup>:

أذللَّ الحرصَ والطمعَ الرقابا      وقد يَعْفُوا الكَريمُ إذا استَرابا  
 إذا اتضح الصوابُ فل اتدعه      فإنك كلما ذقت الصوابا  
 وجدت له علي اللهوات برداً      كبرد الماء حين صفا وطابا  
 وليس بحاكم من لا يبالي      أخطأ في الحكومة أم أصابا  
 وأن لكل حادثة لوقتا      وأن لكل ذي عمل حسابا  
 وكل سلامة تعد المنايا      وكل عمارة تعد الخرابا  
 وكل مملك سيصير يوماً      وما ملكت يداه معا ترابا  
 كأن محاسن الدنيا سرابٌ      وأي يد تناولت الشرابا  
 فيا عجباً نموت وأنت تبني      وتتخذ المصانع والقبابا  
 ألم تر أن غدوة كل يومٍ      تزيدك من فنيته أقترابا

(١) المرزباني، الموشح ص ٢٦١.

(٢) الأغاني ١٥١٤ ثقافة.

(٣) الخير في الأغاني ٣٦١٤.

يديرُ ما تَري ملكٌ عزيزُ به شهدتُ حوادثه وَاغابا  
وهذا الاقتباس اللفظي من شأنه أن يرفع منزلته الفنية في نظر  
مستمعيه، وكأنما ، كان أبو العتاهية يرفع عن السهولة التي اتهم بها لدى بعض  
النقاد والشعراء.

### الموسيقى في شعره:

كان يتحلل من نظام القافية العربية، وكما كان يتيح لنفسه أن يخرج علي  
تقاليدها المألوفة، كان أيضاً يخرج عن الأوزان المعروفة، ولا نعني أن شعره غير  
مقرون أو لم يحسن صبه في القوالب<sup>(١)</sup>، وإنما الذي حدث هو أن تقنه بأذنه  
الموسيقية كانت تدفعه إلي حيث شعره في قوالب موسيقية خارجه عن دوائر  
الخليل. يقول أبو الفرج: "وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها"<sup>(٢)</sup>.  
وقد سئل أبو العتاهية حول تعرف العروض فقال: "أنا أكبر من العروض"<sup>(٣)</sup>.  
ويضيف صاحب الأغاني ، قوله: "وله أوزان لا تدخل في العروض"<sup>(٤)</sup>.

ومن أوزانه التي لا تدخل في بحور الخليل بن احمد تلك الأبيات التي قالها  
تنغيماً مع صوت مدقه القصار منها<sup>(٥)</sup>:

للمنون دائرا      ت يدرن صرفها  
هنّ ينتقينا      واحداً فوجدا

(١) حياة الشعر في الكوفة ، د. يوسف خليق ، ص ٥٨٥.

(٢) الأغاني ، ٤١٤ ، ثقافة.

(٣) الأغاني، ١٥/٤.

(٤) السابق

(٥) حكي ذلك ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٤٩٧-٤٩٨ " قعد يوماً عند حصار، فسمع صوت المدقة، فحكي ذلك في ألفاظ شعره".



وجري شعره في الأوزان المحدثه كالمتدارك الذي استدركه الأخص علي  
الخليل حيث لم يذكره من جملة البحور ووزنه الصحيح "فاعل" أربع مرات وقد  
تعترية العلل و الزحفات مثل قوله<sup>(١)</sup>:

همُّ القاضي بيتَ يَطْرَبُ      قال القاضي لَمَّا عُوْتبَ  
ما في الدنيا إلا مُذْنَبٌ      هذا عذرُ القاضي وأقْلَبَ  
فهو علي "فعلن" أربع مرات.

ومن نماذج خروجه علي العروض أيضاً قوله<sup>(٢)</sup>:

عُتِبَ ما للخيالِ      خبريني وحالي  
لا أراه أتاني      زائراً مذليالي  
لو رأني صديقٌ      رَقَّ لي أو رثالي

وهذا تجديد واضح في الوزن ولكنه لم يكن ثورة علي المورث أو تنكر له  
ولا حتى رغبته في إظهار مهارة، بل غزاره طبعه الموسيقي كانت تدفعه لإبداع  
كلام موزون منغوم يشاكل ويشابهه، وعندما تكتشف هذه الأوزان عند القارض  
للشعر يكون أبو العتاهية أكثر فرحاً وقبلة لأنه يعتبر نفسه قد أضاف إلي موسيقي  
الشعر العربي أوزاناً جديدة ، ولذلك حق قوله: "أنا أكبر من العروض".

ونسبة للطاقة الموسيقية المتدفقة لديه كان خروجه علي التزام القافية في  
مزدوجته المعروفة بـ " ذات الأمثال" والتي سبق التعرض لها ومطلعها:  
حَسْبُكَ ما تَبْتَغِيهِ القَوْتُ      ما أكثر القوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

وكذلك خروجه علي نمط القافية في تضمينه الملفت للنظر الذي سبق  
الاستشهاد به في مقطوعته التي مطلعها:

يَا ذَا الذي في الحُبِّ يَلْحِي ، أما      والله كَلِفْتُ مِنْهُ ، كما  
كَلِفْتُ مِنْ حُبِّ رَخِيمٍ ، لما      لمن علي في الحُبِّ قُدْرِي وكما

فهو في هذين النموذجين يخرج عن القافية تارة بإهمال التزامها و أخرى  
بإهمال نظامها المعروف وإفضاعها نظام جديد هو أشق أداء. وتلك الطاقة الفنية

(١) الديوان، ص ٣٤٤ و ١٩٠١٩.

(٢) الموشح المزرباني ، ص ٣٦١ ط ١٤٣٣ هـ.

في إحساسه بالإيقاع الموسيقي في اللغة هي التي جعلته يحس بالبعد الموسيقي في لغة الخطاب اليومي" العامة الباعة" يروي صاحب الأغاني<sup>(١)</sup>. عن شيخ أهل بغداد قال: " أبو العتاهية أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلهم، قال فبينما نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مسح<sup>(٢)</sup>:

يا صاحب المسح تبيعُ المسحَا

فقال أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعه يقول: يا صاحب المسح تبيعُ المسحَا" قد قال شعراً وهو لا يعلم ، ثم قال الرجل:

تعال إن كنت تريد الربحا

وهذا يدل علي غزارة طبعه بالإحساس الموسيقي كما يدل علي موهبة فريدة وطبع غزير هو الذي مكنه من تلك التجديدات الموسيقية، وهذا ما أردنا الكشف عنه في بحثنا هذا إذ أنه يعدُّ من المجددين في أوزان الشعر، بل المجددين في الشعر العربي بهذه الطاقة الإبداعية الواسعة، المتمثلة في المعاني السهلة البسيطة و الألفاظ الواضحة الشعبية في اللفظ. وتجديده في الأوزان بهذا القدر يمكن لنا القول بأنَّ أبا العتاهية كان مجدداً في الشعر العربي كبشار وأبي نواس، وقد ظهر تجديده في الموضوعات الشعرية خاصة الزهد، ولكنه لم يقف عند الزهد فقط في استخدام الشعبية ، بل بدأها ثم سار سيره الشعراء في عصره يمدح ويهجو، وينشد كما تغزل أيضاً في "عتبة" وغير ذلك من الأغراض الشعرية التي نظم فيها. أما من ناحية الشكل فلاحظنا الإضافة الحقيقية التي أضافها الشاعر في الأوزان الشعرية كما بيّنا ذلك من قبل.

وإذا كان الشعراء الثلاثة: مجددين في الشعر العربي حسبما وصلت إليه، إلا أنه لا يعني أن ليس هناك غيرهم في هذا الاتجاه، وإنما هناك كثير من الشعراء أضافوا إضافات واضحة في هذا المجال منهم:

(١) الأغاني ٤١/٤ ثقافة.

(٢) المسح : كساء من شعر كتوب الرهبان.

مسلم بن الوليد: الذي عرف في شعره بالصنعة والتصنيع، وهو أول من قال الشعر المعروف بالبديع واتخذ مذهباً في شعره، وقد لقب هذا الشعر بالبديع واللطيف، وتبعه جماعة، أشعرهم أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: "كان مسلم بن الوليد شاعراً حسن اللفظ جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى، وهو أول من عقد . والقول في مسلم يشبه القول في أبي نواس وإلي حد. فقد كانا يجتمعان فيحتاجان في شعرهما<sup>(٢)</sup>. علي أن أبا نواس أقول طبعاً، ومسلم أكثر صناعة وإحاحاً علي البديع يطله من كل وجهة، يطلبه في اللفظ والصورة، ويستخدمه في كل وسيلة للتعبير عن معانيه.

وهو يعتمد في شعره اعتماداً شديداً الإطار التقليدي وما يرتبط من جزالة الأسلوب ومئاته ورسائته وقوته، ومسلم صاحب رؤية في الشعر لا يرتجل ولا يقول الشعر عفواً كأبي نواس وأبي العتاهية، فالشعر عنده صناعة مجهدة لا بد فيه من التريس والتمهل والصقل والتجويد.

وهذا البناء الضخم في شعره لا تكفي ضخامته بل لا بد أن يضاف إليه الزخرف الجديد الذي كان يأتي علي قلة في الشعر القديم وأكثر عنه بشار وخلفاؤه ولكنهم لم يتخذوه مذهباً كما فعل هو.

أنظر إليه في مديحه حيث نلحظ الصنعة والجهد واضح في اختيار الألفاظ ومن حيث إضافة المحسنات البديعية من طباق وجناس، يقول:

يرمي النوارس والأبطال بالشعلِ	يغشي الوغى وشهاب الموت في يده
إذا تغير وجه الفوارس البطلِ	يقترب عند اقتراب الحرب جشاً
كأنه أجل يسعى إلي أملِ	مؤف علي مهبج في يوم ذي رهج
كالموت مستعجلاً يأتي علي مهلِ	ينال بالرفق ما يعيا الرحالُ به

فهو يعتمد علي النحت وقوة البناء، كما يعتمد علي الزخرف وقوة الصنيع.

(١) نجيب محمد البهيتي: تاريخ الشعر العربي في آخر القرن الثالث، ص ٤٦٦. منقول عن ملحق بديوان

مسلم طبعة بمباي ص ١٥٤.

(٢) الموشح المزرياني: ص ٢٨٣.

ومسلم يسير بين التجديد والتقليد في شعره لا يفارق القديم، فهو يركب راحلة إلى المروح يقطع بها المهمة الفقر، ويلقي في ذلك ما اعتاد الراحلون أن يلقوه في رحلتهم إلى ممدوحهم<sup>(١)</sup>.

يقول مسلم:

إلى الإمام تهادانا بارحنا  
كان أفلاتها والفجر يأخذها  
يستودع الليل أسرار المهوم إذا  
فيهوي بأشعث لو يستطيع أعقبها  
قضت علي الليل بالأدلاج همته  
ولكنه لا يقف عند ركوب ناقته إلى  
فيصفهما فيبتدع في الوصف:

خلق من الريح في أشباح ظلمان  
أخلق صادرة عن قوس حُسبان  
باح النعاس يعجز الصاحب الواني  
ثغري مجاهل غيطان لغيطان  
فقدّه بسـوور الليل مذعان<sup>(٢)</sup>

وملتظم الأمواج يرمي عبابه  
مطعمه حيتانُهُ ما يقبُّها  
إذا عتقت في الجنوب تكفأت  
كأن مدبّ الموج في جنباتها  
كشفت أهاويل الدجى عن مهولة  
لظمت بخديها الحباب فأصبحت  
إذا أقبلت راعت بقنة<sup>(٤)</sup> قرهه  
تجافي بها النوتي حتى كأنها  
تخلج عن وجه الحياة كما أنثنت

بجرجرة الأذى للعب فالعبر  
ما كل زاد من غريق وفي كسر  
جواريه وقامت مع الريح لا بحر  
قرب الصبا بين الوعات من العفر<sup>(٣)</sup>  
بجارية محمولة حامل بكر  
موقفة الرايات مرتومة النحر  
وإن أقدمت راقن بقادمتي<sup>(٥)</sup> نسر  
تسير في الإشفاف في جبل وعر  
مخباة من كسر ستر إلى ستر

(١) نجيب محمد الدهيتي، ص ٤٦٩.

(٢) ديوان مسلم ص ٧٦، ٧٧.

(٣) الوعات: الناعمة - الاعفر: الكثيب الأحمر.

(٤) بقنة: أي براس ثور وحشى مسن.

(٥) بقادمتي: يشبه بهذين مقادفها.

فَـمَاتُ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا      عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءِ عَلِيٍّ وَكَرِ  
كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حَيْثُ وَاجَهَتْ      نَسِيمَ الصَّبَا مَشِيَّ الْعُرُوسِ إِلَى الْخَدْرِ  
يَمْمَنَا بِهَا لَيْلُ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ      فَجَاءَةٌ لَسْتُ قَدْ بَقِيْنَ مِنْ الشَّهْرِ  
فالشاعر هنا يركب السفينة إلى الممدوح، ويخلص محل الرحلة  
ويصفها ويصف البحر فيطنب في وصفها وكأنه يرضي ميلاً خاض فيه إلي وصف  
البحر والسفينة وإن اتخذ الممدوح سبباً إلي ذلك وهذا تجديد في شعره، وقد  
وصف النابقة قبل ذلك الفرات، ولكنه لم يستخدمه هذا الاستخدام ويجعله محل  
الرحلة ، ومسلم بن الوليد يشبه أبا نواس في غزله وخمره، ووصف الشراب  
ومجلسها. ولكن يمكن لنا أن نقول بأن شعر أبي نواس يميل إلي الطبع كثيراً  
بينما شعر مسلم فيه الصنعة واضحة، ولعله بهذه الصنعة أصبح صاحب هذا  
المذهب حقاً، فقد أخذ ينميه وحقق لنفسه منه نماذج بديعة، مما جعل الشعراء بعده  
تحاكيه وتقلده ، وهو لهذا يعدّ من شعراء الاتجاه التجديدي الذين ساهموا في  
التجديد في العصر العباسي الأول، وقد أدخل تحولاً ما في نظام القصيدة العربية  
في سواء في الشكل أو الموضوع. وغيره كثيرون في هذا الاتجاه مثل: ابن هرمة  
والعتابي ومسلم الخاسر و العباس بن الأحنف، وغيرهم من الشعراء الذين أسهموا  
في تطوير الشعر في العصر العباسي، ولا نريد ان نفصل فقد اكتفينا بهذه النماذج  
لما لها من أثر واضح في هذا الجانب ، ولقد سلطنا الضوء علي بشار وأبي نواس  
و أبي العتاهية لما تمتعوا به من قدرة شاعرية كان لها أثرها الواضح في تغيير  
نظام القصيدة العربية في الشكل والمضمون كما أوضحنا.

## الخاتمة

بنهاية الفصل الثالث الذي خصصناه لنماذج التجديد في الشعر في العصر العباسي الأول نكون قد حتمنا دراستنا في هذا الموضوع وآمل أن أكون قد وفقت في طرحه.

لأن موضوع الدراسة جدير بالاهتمام وذا قيمة واضحة فقد سلط الباحث عليه الضوء بشيء من التفصيل ، خاصة في العصر العباسي الأول. لأنه يعتبر البداية الفعلية للتجديد في الشعر. حيث لمسنا ذلك من خلال التطور الذي طرأ علي القصيدة العربية في مطلع القرن الثاني والثالث في مجال الشكل والمضمون ، كما رأينا في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية، ويعدّهم رواد هذا الاتجاه التجديدي في هذا العصر. رغم أن هنال مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف و ابن هرمة ، والعتابي وغيرهم ممن ساهم في إضافة أي جديد في شكل أو مضمون القصيدة العربية.

ولقد رأينا من خلال هذه الدراسة ، كيف كان التجديد في شكل القصيدة الجاهلية وفي مقدمتها بصفة خاصة، حيث ثار أبو نواس علي هذه الافتتاحية القديمة للقصيدة العربية " الوقف علي الأطلال" واستهل قصائده بوصف الخمر، ثم كان بشار من قبله بصماته الواضحة في اختيار المعاني والصور الشعرية، كذلك أبو العتاهية في بساطة أسلوبه وشعبية ألفاظه وأوزانه الشعرية، ثم مسلم بن الوليد وما أحدثه في القصيدة العربي باستخدامه للبديع في كثير من قصائده. كما شمل التطور والتجديد الموضوعات والأغراض في وصف الطبيعة المصنوعة، باعتبارها من مظاهر الحضارة الجديدة، ثم كان الرثاء للمدن و الحيوان و الطير، والتجديد الواضح في الأغراض عند أبي نواس في الغزل بالمذكر وتميزه.

قد تحدث الباحث في الفصل الثاني عن النهضة التي شملت أغراض وموضوعات القصيدة والأوزان والأساليب ، وكلما يتصل بهما. وجدنا أن هناك نقاداً معصبين للقديم رافضين للجديد، وآخرين وقفوا مع الجديد وارتضوه، وقد أورد الباحث آراءهم بشيء من التفصيل موضعاً ما راعه بكل تجرد وأمانة.

بالفصل الثالث الذي عقده الباحث لنماذج من الشعراء المجددين يكون قد وصل الباحث إلي ختام البحث آملاً أن يكون قد أضاف بعداً جديداً في هذا الموضوع حتى يشعر القارئ بالفائدة والامام ببعض جوانب هذه الدراسة. ولا يكون الباحث قد أوفي هذه الدراسة حقها كاملاً ، ولكن قد أوضح ما عثر عليه، وأظهر بعض ما خفي عن الأعين، ويبقى التقصير صفة الإنسان، والكمال لله وحده، فنسأله التوفيق والسداد فإنه نعم المولي ونعم النصير.

## نتائج البحث

من خلال هذه الدراسة التي عقدناها عن التجديد وشعرائه وأثره في ازدهار الشعر في العصر العباسي الأول. خرجنا من هذا البحث بعدة نتائج أرجو أن تكون معينة للدارس في الأدب العباسي وخاصة في مثل هذه الظواهر التي تركت بصمات واضحة في تاريخ الأدب، وما ترتب عليها من هجمة شرسة من النقاد، وأهم هذه النتائج تتلخص في الآتي:

- ١- أن القصيدة العربية قد أصابها بعض التغيير في شكلها ومضمونها، نتيجة للتطور الذي لازم الحياة العباسية حياة الحضارة والرقى، مقارنة بالشعر الجاهلي التي تسوده حياة البادية، وهو شعر البديهة والارتجال ، وكان يقوم علي السليقة والفطرة والطبع.
- ٢- وضح لنا من خلال الدراسة أن الحياة العباسية المتطورة جاءت بالإكثار من شعر اللهو والمجون والإسهتار بالشراب ، وجاءت بالغزل في المذكر، ووصف القصور والرياض وكل ذلك أعراض جديدة، ولكن لها أصل في الشعر الجاهلي والإسلامي. أما الجديد محض فهو الغزل بالمذكر. ولكن ليس شيئا ذا بال، وكل هذا ليس بجديد، وإنما مساييرة الشعر للحياة الجديدة وتمشٍ معها في بعض صورها،
- ٣- إن الشعراء العباسيين جددوا في مجال الأوزان حيث استخدم الشعراء العباسيين الأوزان الخفيفة المجزوءة لمناسبة تلك الأوزان لإيقاع العصر في الغزل والمجون، كما ابتدع الشعراء العباسيون بعض الأوزان الجديدة التي لم تكن أصلا موجودة في الشعر القديم، كالمقتضب والمضارع التي اكتشفتها الخليل، والمتدارك الذي اكتشفه الأخفش. كما حاول بعض الشعراء استنباط أوزان جديدة من الدوائر العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد، مثل: المستطيل وهو مغلوب بحر الطويل (مفاعيلين فعولن مفاعيلن فعولن).



٤ - التجديد في الموضوعات القديمة كان تجديدا لا يقوم علي التفاضل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم علي التواصل، لأنهم ظلوا ينظمون في المديح وغيره مما كان نظم فيه الجاهليون والإسلاميون، ولذلك أبقوا الشعر العربي علي شخصيته المورثة

٥ - كان للتجديد أثر كبير في ازدهار الشعر في العصر العباسي الاول تمثل في بعض الأغراض مثل: الشعر التعليمي، رثاء المدن، والحيوان والطيور، كذلك الغزل بالذكر، ووصف وسائل الثقافة، كذلك كان الأثر واضحا في مجال المقدمة الشعرية وما أحدثه أبو نواس من ثورة على الأطلال القديمة واستبدالها بالخمير.

٦ - من خلال هذا البحث وضح أن هناك خصومة بين القدماء والمحدثين نتج عنها أن النقد الأدبي في العصر العباسي عصر المحدثين أصبح يخوض في شعرين بعد أن كان يخوض في شعر واحد، وإلى أن يقبل النقاد عليهما بالتحليل والموازنة وكذلك ينتهي الأمر بالنقد إلى أن يخوض في مذهبين خفيين بعد أن كان يخوض في مذهب واحد وبعد أن كان النقد منصرفاً تماماً إلى النظر في شعر القدماء، وتحليل عناصر هذا الشعر وبيان طبقات أصحابه ولا يهتم في شعر المحدثين ولا يعتد به تحول الوضع وأصبح النقاد ينظرون في شعر المحدثين ويهتمون به اهتماماتهم بشعر القدماء.

٧ - نستنتج من هذه الخصومة بين القدماء والمحدثين أن الشعر الجديد جيد في معظمه، بل لا يقل جودة عن شعر القدماء إن لم يفقه في بعض نماذج، وهذا باعتراف اللغويين أنفسهم، ورؤوس المتعصبين للقديم، وذلك حيث كانوا يستجيدون شعر المحدثين، وهو يتلى علي مسامعهم لأول مرة، وقبل أن يعرفوا قائله، ويلهجون بالثناء عليه وعلي صاحبه، فإذا عرفوا قائله، وعرفوا أنه يعاصرهم، ويعايشهم ويساكنهم، استهجنوا الشعر واستردلوه، وتغير موقفهم تماماً من الثناء الكامل إلي الطعن

الكامل ، ومن هذا دلالة قوية وأكيدة علي تعصبهم الأعمى للقديم،  
وتناقصهم الواضح في موقفهم من شعر المحدثين، وقوة شعر المحدثين  
وجودته.

## ملخص البحث

تناول الباحث في هذه الدراسة الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول بتمهيد لها، تحدث فيه الباحث عن التغيير الذي طرأ على الحياة العباسية سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ثم تعرض للحياة الاجتماعية والثقافية، والتطور الثقافي والنهضة العلمية التي لازمت تلك الفترة، ثم تناول التقسيم الذي رآه النقاد للأدب وميزة كل تقسيم.

في الفصل الأول تحدث الباحث عن الشعر بين التراث والتجديد في العصر العباسي، حيث تناول بداية القصيدة العربية ومكوناتها، وصورة الشعر قبل بداية التجديد أي: في الجاهلية و صدر الإسلام، والعصر الأموي. مدعماً ذلك بنماذج من الشعر الرصين، وتناول في هذا الفصل أيضاً التطور والتجديد الذي لازم الشعر في العصر العباسي. كذلك الدوافع والأسباب التي أدت إلى التجديد ومظاهره من قبل.

تحدث عن السمات الفنية التي أفرزتها الحياة الثقافية والعقلية لدى الشعراء العباسيين، وختم الفصل بالحديث عن التجديد في الموضوعات القديمة، المدح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والغزل، وتعرض الباحث إلى الحديث عن الموضوعات الجديدة مستشهداً بالشعر موضحاً مواطن التجديد.

أما في الفصل الثاني، فقد أفرده الباحث للحديث عن أثر التجديد في نهضة الشعر في ذلك العصر. حيث حصر أثر التجديد في عدة جوانب منها: الأثر في الأغراض حيث شمل الشعر التعليمي، ورثاء المدن، ورثاء الحيوان، والغزل بالمدح، ووصف وسائل الثقافة. ثم الأثر في المقدمة، وفي الصياغة، والأوزان، والأثر في القوافي. ثم تحدث الباحث عن أثر التجديد في الأسلوب، وعن قيمة التجديد.

أما المبحث الثاني، فقد تناول فيه آراء النقاد وموقفهم من التجديد والمجددين، حيث قسم النقاد إلى قسمين: المتعصبون للشعر القديم وهم علماء اللغة وهم علماء اللغة، والنحو، وبعض الشعراء، والنقاد، والذين أنصفوا الجديد

وآزروه، وهم بعض علماء اللغة، والشعراء والنقاد، وفي ختام البحث تحدث الباحث عن أسباب موقف اللغويين من الجديد في الشعر.

أفرد الباحث الفصل الثالث للحديث عن نماذج من المجددين في الشعر. تعرض فيه ليشار بن برد في شاعريته والأغراض التي جدد فيها، وتجديده في المعاني والصورة، كذلك أبو نواس تحدث عن التجديد عنده محلاً بعض أشعاره، موضعاً ثورته علي الأطلال والخمر ثم تجديده في أغراض الشعر خاصة غزله بالمذكر الذي يعتبر غرضاً جديداً من أغراض الشعر.

كذلك تطرق للتجديد عند أبي العتاهية كنموذج ثالث من الشعراء المجددين. حيث وضح سمات التجديد عنده في قرب المعني وسهولة اللفظ، والشعبية الشعرية، والصنعة في شعره والموسيقى وتجديده في الأوزان. وقد تحدث الباحث بايجاز عن مسلم بن الوليد وما أسهم به في هذا الباب.

وقد أفرد الباحث لكل واحد منهم مبحثاً أوضح فيه التجديد عندهم سواء في المعني أو اللفظ أو الشكل أو الموضوع بصفة عامة. وبهذا يكون قد ختم الباحث دراسته التي قدر أن تكون قد أسهمت في تسليط الضوء علي هذه الظاهرة، ثم ختم الباحث بحثه باستخلاص النتائج والمصادر التي اعتمدت عليها في الدراسة.

## Abstract

This study deals with the modernist trend and its influence on the revival of poetry in the early Abbasid epoch. It discusses the changes in the political, social, and cultural life in that period. It also discusses the divisions of literature as seen by critics, and the characteristics of each type.

Chapter one is about poetry, traditional and modern, in the Abbasid era. It touches on the beginning of Arabic poem and its components, and the image of poetry before modernization, namely in the pre-Islamic era and early Islam, and the Umayyad era, this supported by samples from fine poetry. This chapter also discusses the development of poetry in the Abbasid era, and the motives and causes that led to the modernization and its manifestations. It discusses the artistic characteristics produced by cultural and intercultural life of the Abbasid poets. It is concluded by modernization in the old themes: eulogy, satire, lamentation, war and love. The researcher touches on the modern themes and where they are mentioned on poems.

Chapter two deals with the influence of modernization on the revival of poetry in that era. The influence is restricted to: the purposes such as teaching poetry, lamenting towns and animals, and love. And describing the means of culture, and rhymes. The researcher then discusses the influenced modernization on style and the value of modernization.

The second research theme discusses the opinions and attitudes of critics to modernization and modern poets. Critics are divided into two: the hardliners for old poetry and the modernists. The former are the linguists, grammarians, and some poets and critics, and those who did justice to modern poetry. The latter are some linguists, poets and critics.

At the end the researcher discusses the causes behind the linguists attitude to modern poetry.

Chapter three takes some samples of modern poets such as Bashar Ibn Bard and the changes he introduced to the purposes, images, and meanings; Abunawas and his revolt against the themes of remains poetry and wine, and the changes he made in

poetry purposes especially love of males which is regarded as a new purpose of poems; Abuala'tahiya and his poems' traits such as ease of meaning and phrasing , popularity music, and meters. The researches only touches on Muslim, Ibn Alwaleed and his contribution to that effect.

The researcher thus concludes the study which he hopes it will contribute to shedding some light on this phenomenon. The research in concluded with the results, recommendations, and the sources consulted.

## قائمة المصادر والمراجع

- ◆ إبراهيم أنيس ، موسيقي الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٨م .
- ◆ ابن رشيق، أبو الحسن ابن علي: العمدة في صناعة الشعر، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد.
- ◆ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء ، ط القاهرة.
- ◆ ابن المعتز: الطبقات، تحقيق: عبد الستار فراج ، ط ١ ، القاهرة دار المعارف.
- ◆ ابن منظور، محمد بن مكر بن علي أبو الفضل جمال الدين: أبو نواس ، تقديم: عمر أبو النصر، ط بيروت ، دار الجيل.
- ◆ ابن النديم أبو الفرج محمد بن اسحق: الفهرست، ط لبيّنزج.
- ◆ أبو العلاء المعري: العضول والغايات، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٣٨م.
- ◆ أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١.
- ◆ أحمد الشايب: تاريخ النقائص في الشعر العربي، ط القاهرة ،
- ◆ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٢م.
- ◆ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، دار الكتب المصرية ، الطبعة السادسة، دار الثقافة.
- ◆ الاصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب: فحولة الشعراء، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طه محمد الزين، مطبعة الجندية بالأزهر، ١٩٣٥م.
- ◆ أنيس المقدمة: أمراء الشعر في العصر العباسي، المطبعة الأمريكية، بيروت.
- ◆ بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط٦، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م..

- ◆ الجاحظ: الحيوان، دار الكتب بيروت.
- ◆ الجاحظ: رسائل الجاحظ ، نشر يوشع فنكل.
- ◆ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ الجرجاني، القاضي أبو الحسن علي بن العزيز بن الحسين بن علي: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة.
- ◆ الجمحي، محمد ابن سلام بن عبدالله: طبقات فحول الشعراء.
- ◆ جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ط القاهرة ، مطبعة دار الهلال.
- ◆ الحافظ أبوبكر أحمد بن علي البغدادي : خزنة الأدب ، ط١، القاهرة، مطبعة بولاق.
- ◆ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، القاهرة ، ط٤، حنا الفاخوري ، ط بيروت ، المطبعة البوليسية.
- ◆ الدينوري ابوحنيفة احمد بن داوه : الأخبار الطوال ط ليدن ١٨٨٨.
- ◆ ديوان ابن الزيات محمد بن عبد الملك ، بن ابان ، الديوان : دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ الحسن بن هاني ابو نواس ، ديوان أبو نواس: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ اسماعيل بن القاسم ابو العتاهية ، ديوان أبي العتاهية: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ حبيب بن أوس الطائي ابو تمام ديوان أبي تمام: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ ديوان أمراء القيس: دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ◆ بشار بن برد ديوان ، بشار بن برد: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ◆ مسلم بن الوليد ، ديوان مسلم بن الوليد، دار الكتب العلمية ، بيروت.



- ◆ أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبوبكر جلال الدين السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبوبكر جلال الدين، المزهر ، ط القاهرة ، مطبعة الحلبي.
- ◆ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ،العصر الإسلامي.
- ◆ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ط ، دار المعارف.
- ◆ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٩.
- ◆ الصولي، أبو بكر محمد بريجي: الأوراق ، ط ١.
- ◆ الطبري: أبوجعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري.
- ◆ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري، ط القاهرة ، الحسينية.
- ◆ طه حسين: حديث الأربعاء، ط ١٢، القاهرة ، دار المعارف.
- ◆ طيفور أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، تاريخ بغداد.
- ◆ عباس محمود العقاد: أبو نواس، ط دار المعارف ، القاهرة.
- ◆ عبد الرزاق حميدة: أدب الخلفاء الأمويين ، مطبعة الأنجلو المصرية.
- ◆ العربي حسن درويش: أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٧م.
- ◆ عز الدين إسماعيل: في الشعر العباسي الرؤية والفن، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- ◆ قحطان رشيد التميمي: مروان بن أبي حفصة شعره
- ◆ ابراهيم عبد القادر المازني ، بشار بن برد ، مطبعة دار الشعب ، القاهرة.
- ◆ محمد السعدي فرهود: اتجاهات النقد الأدبي العربي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
- ◆ محمد عبد العزيز الكفراوي: تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبني أمية، مطبعة القاهرة.
- ◆ محمد عنيمي خلال: النقد الأدبي ، ط ٣ ، نهضة مصر الفجالة.

- ◆ محمد مصطفى هداره: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١م، الطبعة الثالثة.
- ◆ محمود السعدي: نصوص نقدية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.
- ◆ محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، ط٢ ، القاهرة.
- ◆ المرزباني، محمد بن عمران بن موسى بن سعيد: الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء، ط١ ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ .
- ◆ المسعودي ابوالحسن علي بن الحسين: مروج الذهب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة رابعة القاهرة.
- ◆ مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط بيروت، مطبعة دار العلم للملايين.
- ◆ المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر (الضبي) المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق وشرح: احمد شاكر عبد السلام هارون.
- ◆ نجيب محمد البهبهتي: تاريخ الشعر العربي في آخر القرن الثالث الهجري ، دار الفكر.
- ◆ ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، ط١ ، القاهرة.
- ◆ يوحنا فك: العربية ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢م.
- ◆ يوسف خليف: تاريخ الشعر العباسي، القاهرة ، مطبعة دار الثقافة ١٩٨١م.
- ◆ يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ج	الشكر
١٤-١	التمهيد
	الفصل الأول
٥٨-١٤	الشعر بين التراث والتجديد
٢٩-١٤	المبحث الأول: صورة الشعر قبل بداية التجديد
٤٤-٣٠	المبحث الثاني: مظاهر ودوافع التجديد
٥٨-٤٥	المبحث الثالث: التطور في الموضوعات القديمة في العصر الأول
	الفصل الثاني
١١٤-٥٩	اثر التجديد في نهضة الشعر
٨٧-٦٠	المبحث الأول: اثر النهضة على القصيدة العربية
١١٤-٨٨	المبحث الثاني: اراء النقاد في ظاهرة التجديد
	الفصل الثالث
١٩٤-١١٥	نماذج من المجددين
١٤٥-١١٦	المبحث الأول: التجديد عند بشار
١٦٨-١٤٦	المبحث الثاني: التجديد عند أبي نواس
٩٤-١٦٩	المبحث الثالث: التجديد عند أبي العتاهية
١٩٦-١٩٥	الخاتمة
١٩٦-١٩٧	النتائج
٢٠١-٢٠٠	ملخص البحث باللغة العربية
٢٠٣-٢٠٢	ملخص البحث باللغة الانجليزية
٢٠٧-٢٠٤	قائمة المصادر والمراجع
٢٠٨	فهرس المحتويات